محمد هشام الشربيني

المخابرات في الدولة الإسلامية



العربي للنشر والتوزيع

المخابرات في الدولة الإسلامية

المخابرات فى الدولة الإسلامية
محمد هشام الشربينى

الطبعةالأولى: 2016

رقم الايداع: 14161/2015
الترقيم الدولي: 9789773192389
الغلاف: محمد السيد

60 شارع القصرالعيني - 11451 - القاهرة
ت 27921943 - 27954529 فاكس27947566
www.alarabipublishing.com.eg

بطاقة فهرسة
الشربينى، محمد هشام
المخابرات فى الدولة الإسلامية /محمد هشام الشربينى.- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع
2016
- ص؛ سم. تدمك 9789773192389
1- علوم سياسية
2- المخابرات أ- العنوان 23,302

المخابرات فى الدولة الإسلامية

محمد هشام الشربينى

العربي للنشر والتوزيع

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أنعم عليّ مرة أخرى حين هداني لحقيقة نظرية الأمن الإلهي. وكشف لي خفايا نظام التأمين المذهل الذي قدمه الدين الإسلامي للبشرية. فنسبته لنفسها واسمته مخابرات ... حتى استطعت ان اكشف الحقيقة واقدمها جلية بلا ادني شك. الا ممن يحاول هدم علم التاريخ من اساسه.

بدأت العمل في هذا الكتاب منذ ثلاثين عاماً على وجه التحديد. كنت قبلها بعامين قد استهواني الإطلاع على دقائق علم المخابرات. فالأفلام السينيمائية – واهمها سلسلة افلام جيمس بوند – وكذلك المسلسلات واولها جمعه الشوان،كانت قد بدأت تجذب القراء خاصة المثقفين لإستكشاف هذا العالم المثير والإستزادة من قصص المخابرات ومغامرات رجالها. كانت المعلومة المؤكدة في كل المراجع ان علم المخابرات هو وليد القرن العشرين. وقد استوعبت بدرجة كبيرة هذا العلم بشقيه الداخلي والخارجي مقتنعاً تماماً انه نشاط هام جداً وضروري لأمن اي دولة. وان كنت اتوقف احياناً امام بشاعة بعض اساليبه التي كنت ارى وقتها انها غير شرعية من الناحية الدينية التي لم اكن قد تبحرت فيها بعد.

ولكن كيف اكتشفت الحقيقة التي وصلت اليها في هذا الكتاب من ان علم المخابرات بصورته الحالية. هو نبت اسلامي تماماً؟

لهذا الإكتشاف قصة طريفة. فقد كان لي صديق مقرب متخرج في كلية الهندسة ومتخصص في الإتصالات وكان موهوباً بحق في هذا المجال. جاءني ذات يوم منفعل ومضطرب. فقد عرضت عليه المخابرات المصرية ان يعمل معها لتستفيد من موهبته. فرفض على الفور لأنه يرى ان عملهم غير شرعي وواجههم بذلك. ولكنهم اكدوا له ان عملهم شرعي واستدلوا بقصة نُعَيم بن مسعود الذي كذب لكي ينقذ المسلمين في غزوة الخندق ثم امهلوه للرد عليهم. ولأن صديقي هذا كان يرى انني مثقف فقد سألني عن حقيقة دعواهم ودليلهم الوحيد. ولم اكن اعرف عن نعيم وقتها اكثر مما قالوه له ولكنني وعدته ببحث الأمر لكي اساعده في اتخاذ قرار صائب خلال ايام. وكان اسم نعيم بن مسعود هو "افتح يا سمسم" التي فتحت لي مغارة الكنوز الإسلامية. ومنها كنز الأمن. وعرفت مبدئياً ما جعلني انصح صديقي مبدئياً بقبول العمل مع المخابرات المصرية لأنه عمل شرعي ... فقبل.

ثم ركبت سفينة الإبحار في محيط تاريخ الإسـلام، خاصـة هـذه الفـترة المبدئيـة مـن عمـر الدولة الإسلامية. واخوض في اسرار الغزوات والسرايا ... تلك الرحلة التي استغرقت ثلاثين عاماً - كما اسلفت – لأضع في نهايتها هذا الكتاب الذي ارجو ان يفيد اللـه به امة الإسلام. ويكون في ميزان حسناتي. علماً ينتفع به من بعدي.

محمد هشام الشربيني

مقدمة الكتاب

مرة أخري تكشف الدراسات المتعمقة للجوانب المتعددة للإسلام، أن هـذا الـدين الحنيـف جاء مشرعاً ومقنناً لكل جوانب حياتنا الإيمانية والعملية، في كل زمان ومكـان مصـداقاً لقولـه تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾الأنعام "38"[1].

وها نحن نؤكد هذه الحقيقة عندما نوضـح بالأدلـة القاطعـة أن الإسـلام وضـع التشريـع الأمثل والنظام المقنن لتوفير أهم عنصر من عناصر الحياة ... ألا وهـو الأمـن والأمـان، والـذي تحاول أجهزة المخابرات الحديثة في كل دولة تحقيقه لمجتمعها.

لنتفق أولاً علي الأهمية القصوى للنشاط الإستخباري بالنسبة لأمـن وأمـان أي مجتمـع أو دولة، والحقيقة أن الإحساس بالأمان لتوافر الأمن هـو مطلـب الإنسـان الأول والأسـاسي منـذ هبوط سيدنا أدم - عليه السلام – إلي الأرض، ثم انتشار أبناءه في أرجائها ليعمروهـا. ينصـحنا المولى فيقول:

﴿فَـإِنْ خِفْـتُمْ فَرِجَـالاً أَوْ رُكْبَانـاً فَـإِذَا أَمِنـتُمْ فَـاذْكُرُواْ اللـــهَ كَـمَا عَلَّمَكُـم مَّـا لَـمْ تَكُونُـواْ تَعْلَمُونَ﴾"239"[2].

فلا تستطيع أمة من الأمم أن تعيش حياتها بشكل طبيعي طالما هنـاك مـا يهـدد وجودهـا. لذلك فإن توافر عنصر الأمن سواء من الخطر الخارجي أو الداخلي مطلب أساسي في كل زمان ومكان. ومن هنا فإن كل دولة في عصرنا الحديث. لابد وأن يكون لها جهاز مخابرات توفر لـه كل متطلباته – بقدر استطاعتها – ليحقق أهدافه. وفى ظل نجاح هذا الجهـاز تمـارس الدولـة مختلف أنشطتها السياسية والاقتصادية لتصل بالشعب إلى أقصى درجات التحضر والرفاهية.

وإذا كانت بعـض الـدول قـد مارسـت - عـبر التـاريخ- بعـض الأسـاليب الأمنيـة في بعـض الظروف الخاصة. فإن العالم يدّعى انه لم يعرف وجود أجهزة أمنية متخصصة ومنظمة تمـارس مهام الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي. إلا في القـرن العشريـن ... أي أن علـم المخـابرات هو وليد القرن العشرين.

1- الأنعام

2- البقرة

وتشتهر بعض أجهزة المخابرات في العالم بأسماء رمزية معروفة مثل: الموساد "جهاز المخابرات الإسرائيلي" K.G.B "وكالة المخابرات الروسية" C.I.A "المخابرات المركزية الأمريكية" S.I.S "المخابرات البريطانية" وغيرها. وبحسب قوة هذه الأجهزة ونجاحها في عملياتها المتنوعة. تكون شهرتها.

والواقع أن العمل الأمني عملاً حساساً للغاية ومحاط بكثير من الغموض والاتهامات. فتحت شعار أن كل شئ مسموح به في حال الدفاع عن النفس- أي تحقيق الأمن للنفس- يمارس القائمون على العمل الأمني العديد من التصرفات الاستثنائية لتحقيق أهدافهم التي هي بلا شك أهداف الوطن. كما أن نسبية مفهوم الدفاع عن النفس توسع من نطاق هذه الممارسات التي يرفضها العامة ممن يجهلون طبيعة العمل الأمني. وهي أيضا ذريعة للمعارضين لنظام الحكم القائم. لإدانة هذا النظام وتقليب الجماهير عليه بهدف إسقاطه. ومن هنا يأتي التصادم والخلاف في وجهات النظر بين ما كان يجب أن يحدث من إجراءات وسلوكيات من القائمين على العمل الأمني في ظروف معينة أو أحداث بذاتها أو ضد فئة ما. وبين ما يراه العامة تمادي في الطغيان وتجاوز غير مبرر في استخدام السلطة. يدين النظام الحاكم. خاصة حين يستغل الطرف المعارض هذه السلوكيات – بعد أن يضخمها وربما يضيف إليها أكاذيب – في إثارة العامة تحت شعارات مغرضة وغير مستخدَمة في موضعها الصحيح مثل: الحرية – حقوق الإنسان ... وغيرها من الشعارات التي لا يختلف على ظاهرها أحد. ولكن الخلاف يكون في نسبية تفسيرها وحدودها من موقف لآخر وحسب الهدف النهائي ومدى شرعيته.

والواقع أن شرعية عمل أجهزة المخابرات ورجالها – خاصة في الدول الإسلامية – مثار جدل واسع رغم أن المعيار فيها واضح وثابت. ألا وهو الحلال والحرام ... ولكن ما هو الحلال وما هو الحرام في نظام يعتقد البعض أنه وليد العصور الحديثة. وكيف نحدده بدقة لتلتزم به أجهزة المخابرات الإسلامية؟

من منطلق حرص جهاز المخابرات المصري على الالتزام بهذه الحدود الشرعية في عمله. وجه القائمون على الجهاز الدعوة في ثمانينات القرن الماضي. للداعية الإسلامي الأشهر آنذاك. فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوى "رحمه اللـه" لإلقاء محاضرة على رجال الجهاز وكان عنوان المحاضرة المتفق عليه "شرعية عمل رجال المخابرات" وذلك لكي يوضح لهم الحدود الشرعية لعملهم المتهم دائماً. ولكن الشيخ الجليل استغرق المحاضرة في الحديث عن المفاهيم الإيمانية العامة وكيف نخشى اللـه في أي عمل نقوم به. وذراً للرماد

في العيون. تحدث في الدقائق الأخيرة عن موضوع المحاضرة ولكن من منطلق من يجهل تماماً طبيعة هذا العمل الحيوي الهام. وضرب مثالين أمنيين من التاريخ الإسلامي في زمن دولة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في المدينة المنورة. وهما من غزوة الأحزاب "الخندق" أصعب الغزوات التي خاضها المسلمون الأُول ... واقعة نُعَيم بن مسعود حين أوقع بين اليهود والمشركين لإنقاذ المسلمين وتجاهل الشيخ أن نعيماً قد كذب- بموافقة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ليحقق هدفه ... أي أنه أرتكب فعلاً محرماً.

ومن نفس الغزوة ذكر واقعة تجسس حذيفة بن اليمان على معسكر المشركين بأمر رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بعد واقعة نعيم ومع هبوب الرياح العاصفة على معسكر المشركين، ترك الشيخ تجسس حذيفة- وهو الأمر المحرم – وركز على أن حذيفة كانت لديه الفرصة أثناء تجسسه لأن يقتل أبا سفيان بن حرب وهو رأس الشرك المدبرة ... ولكنه لم يفعل لأن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أمره ألا يفعل شئ أخر غير مهمته إلا بعد الرجوع للقيادة.

نسى الشيخ الجليل أن هناك فارق بين القيادة الموجهة من السماء والقيادة البشرية. وأن من ينفذ مهمة أمنية لابد أن تكون له مساحة من حرية التصرف وتعديل الخطة بحسب مجريات الأمور وتطوراتها وتحولاتها بل ومفاجآتها. وقد حدث ذلك حتى مع القيادة الموجهة من الله. وذلك عندما انسحب خالد بن الوليد بجيش المسلمين في سرية مؤتة لأن جيش المسلمين كان مكلفاً بمهمة محددة ضد قبيلة معينة ولكنه فوجئ بجيش الروم في مواجهته فقاتله يوماً حتى استشهد قواده الثلاثة الذين عينهم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بالتناوب واتفق المسلمون على تولى خالد القيادة - وكان حديث عهد بالإسلام – فقرر الانسحاب الآمن حفاظاً على سلامة جيش المسلمين من مواجهة غير متكافئة. وبحمية المسلمين في المدينة واعتزازهم بدينهم وثقتهم في نصر الله لهم. هاجموا خالد حين عاد للمدينة ووصفوه بالتخاذل وضعف الإيمان. بل ولاموا أفراد الجيش لأنهم طاوعوه. ولكن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أشاد بتصرفه بل وأسماه سيف الله المسلول ... فسكت عنه المسلمون. لم يدرك المسلمون أن الحماس وقوة الإيمان والثقة في نصر الله. لها حدود واشتراطات بل واحتياطات. وأن هناك خيط دقيق بين الشجاعة وبين التهور وإيراد النفس مواضع التهلكة. وهو مانهانا عنه الله وإلا لما شرّع الله صلاة الخوف في المواجهات الحربية. ولكان المنطق لماذا نخاف والله معنا؟ ولكن الله يعلمنا أن السلامة والأمن هما السبيل للنصر.

واستمراراً في التعليق على محاضرة الشيخ الشعراوى نؤكد أن السنوات العشر الأولى من عمر دولة المدينة. وحتى موت رسول الله "صلى الله عليه وسلم". قد شهدت عمليات أمنية

مذهلة سواء على مستوى الأمن الداخلي أو الخارجي. عمليات تصل لمستوى الإعدام الجماعي بل والاغتيالات والتصفية للأعداء ... ومن يدرس هذه العمليات بدقة يدرك أنه لا يمكن أن يقوم بها إلا جهاز مخابرات منظم. فقد مارس كل ما تمارسه أجهزة المخابرات الحديثة من مهام بدون فرق إلا تطور وقوة الأجهزة الفنية المستخدمة في العمل حديثاً من أجهزة اتصال واستقبال ... وهذا الفارق هو لصالح مخابرات دولة المدينة التي نفذت عملياتها ببراعة كبيرة حققت الهدف منها ولم تعُقها الوسائل البدائية والتي اقتصرت على الاتصال الشخصى.

لقد حفزني موقف الشيخ الشعرواى على البحث في أمر شرعية عمل أجهزة المخابرات ورجالها. حتى وصلت إلى هذه النتيجة التي أضعها بين يدي القارئ المهتم. والتي تضيف سبقاً جديداً للإسلام في مجال حديث وحيوي للغاية. وهى أن دولة الإسلام في عهد رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في المدينة المنورة. شهدت إنشاء أول نظام مخابرات في التاريخ قام بنفس المهام التي تقوم بها أجهزة المخابرات الحديثة ... ولكن بأسلوب يشرعه اللـه ويرضى عنه فيدعمه وينصره. كما وعد عز وجل في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللـهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾"1"7".

وفي قوله أيضا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللـهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللـهِ إِنَّ اللـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾"2"10".

هذا الكتاب يحل محل محاضرة الشيخ الشعرواى فيوضح الحدود المشروعة لعمل أجهزة المخابرات. ويقدم الكتاب لهذا الأمر بشرح نظرية الأمن الالهى منذ خلق اللـه الأرض ومن عليها. لنوضح الفارق بين مقتضيات ومتطلبات الأمن قبل الإسلام وبينها بعد نزول الإسلام. درساً يقدمه ديننا الحنيف في فنون وأصول العمل الاستخباراتى المشروع من واقع القرآن والسنة لنؤكد قول المولى عز وجل

﴿ما فرطنا في الكتاب من شئ﴾"3"38".

محمد هشام الشربينى

1- محمد

2- الأنفال

3- الانعام

الباب الأول : الحياة الآمنة قبل الإسلام

مقدمة الباب الأول

جاء الإسلام ورسوله الكريم "صلى الله عليه وسلم" مختلفان عن الأديان السابقة والأنبياء والرسل في كل شئ. فبنزول القرآن الكريم تغيرت كل المفاهيم وتحددت الشرائع النهائية والتي لم تتعارض في صلبها مع الكتب السماوية السابقة والتي قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أنها كانت كتب للرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن. يروي لنا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري فيقول: دخلت على رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وهو في المسجد جالس. فاغتنمت خلوته. وحده فجلست إليه قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كم كتابًا أنزَله اللهُ؟ قال: "مئةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على شِيثَ خمسونَ صحيفةً وأُنزِل على أخنوخَ ثلاثونَ صحيفةً وأُنزِل على إبراهيمَ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل على موسى قبْلَ التَّوراةِ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والقرآنُ" قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ ما كانت صحيفةُ إبراهيمَ؟ قال: "كانت أمثالًا كلُّها: أيُّها الملِكُ المسلَّطُ المبتلى المغرورُ إنِّي لم أبعَثْكَ لتجمَعَ الدُّنيا بعضَها على بعضٍ ولكنِّي بعَثْتُك لترُدَّ عنِّي دعوةَ المظلومِ فإنِّي لا أرُدُّها ولو كانت مِن كافرٍ وعلى العاقلِ ما لم يكُنْ مغلوبًا على عقلِه أنْ تكونَ له ساعاتٌ: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه وساعةٌ يُحاسِبُ فيها نفسَه وساعةٌ يتفكَّرُ فيها في صُنعِ اللهِ وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِه مِن المطعَمِ والمشرَبِ وعلى العاقلِ ألَّا يكونَ ظاعنًا إلَّا لثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ أو مَرمَّةٍ لمعاشٍ أو لذَّةٍ في غيرِ محرَّمٍ وعلى العاقلِ أنْ يكونَ بصيرًا بزمانِه مُقبِلًا على شأنِه حافظًا لِلسانِه ومَن حسَب كلامَه مِن عملِه قلَّ كلامُه إلَّا فيما يَعنيه" قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فما كانت صحفُ موسى؟ قال: "كانت عِبَرًا كلُّها: عجِبْتُ لِمَن أيقَن بالموتِ ثمَّ هو يفرَحُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالنَّارِ ثمَّ هو يضحَكُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالقدرِ ثمَّ هو ينصَبُ عجِبْتُ لِمن رأى الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلِها ثمَّ اطمَأنَّ إليها وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالحسابِ غدًا ثمَّ لا يعمَلُ"[1].

1- الراوي: أبو ذر المحدث: ابن حبان المصدر: صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: 361 خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه

ومن المفاهيم التـي تغـيرت في الإسـلام. مفهـوم الأمـن ومقتضـياته والمطلـوب لتحقيقـه. فالثابت تاريخياً – كما ورد في مقدمة هذا الكتاب وسنؤكده في الباب الثاني – أن دولة الإسلام في المدينة المنورة. هي أول دولة في التاريخ تنشئ جهازاً للمخابرات يضاهي في نظامه ومهامه احدث أجهزة المخابرات الحديثة. كان ذلك في اعقاب غزوة بدر الكبرى. وكان انشـاءه ضرورة امنية فرضتها ظروف الدولة. ونتيجة حتمية لتلك الغزوة. وكان انشاء هذا الجهـاز إعلانـاً بـأن مقتضيات الأمن للبشر لم تعد العقيدة فقط بل العقيدة والعمل الأمني المنظم لحماية الدولة الناشئة داخلياً وخارجياً كما سنرى.

وعندما تشرع دولة في إنشاء جهازاً جديداً فريـداً في نوعـه بـين دول عصرهـا. جهـازاً يضـع أسساً وقواعد لعملٍ كان ارتجالياً غير متكامل حتى هذه الفترة. فلابد أن تكـون قواعـد إنشـاء هذا الجهاز هي الأسس والقواعـد الإلهيـة التـي تـنظم هـذا العمـل مـن خـلال كتـاب اللـــه وتوجيهات رسوله الذي لا ينطق عن الهوى. ثم الجذور التاريخية لهذا العمل وتجـارب الأمـم السابقة. لكي يفهم القائمون على إنشاء الجهاز. ما الجديد الذي سيقدمونه مما جاء به الإسلام ليطوروا النظرية الأمنية التي كانت سائدة قبـل الإسـلام. بمـا يتوافـق مـع الظـروف الجديـدة والتي ستدوم لنهاية الحياة بالنسـبة لكـل دول العـالم. وسـنرى ان السـبب الأسـاسي فى تغيـير النظرية الأمنية في دولة المدينة والتي جاء بها الإسلام. هـو وجـود اليهـود داخـل المدينـة. بـل وجود بني اسرائيل في العالم اجمع والى نهاية الكون. كأكبر خطر يهدد البشر. لـذلك يعتبرهـذا الباب من كتابنا هو الخلفية المعلوماتية اللازمة لوضـع اسـس عمـل جهـاز مخـابرات الدولـة الإسلامية الأولى في المدينة المنـورة. قبـل أن يشرع هـذا الجهـاز الهـام في التخطـيط لعملياتـه والتي كان لها دورا كبيرا في توطيد أركان دولـة المدينـة المنـورة والـدفاع عنهـا وحمايتهـا مـن أعدائها في داخل المدينة وخارجها.

فما الذي كان يحقق الأمن للإنسان منذ بدء الخليقة وحتى قبل نزول الإسلام؟

الفصل الأول : بداية الخلق

- لماذا خلق اللـه العالم؟
- خلق الملائكة
- خلق الجن
- خلق الأنسان
- فماذا فعل الجن أزعج الملائكة؟
- من هو إبليس؟
- الخروج من الجنة
- الأفعى
- الحياة على الأرض
- الإنتشار فى المعمورة
- المواجهة الأولى والأخيرة

لماذا خلق اللـه العالم؟

تجيب هذه الآية الكريمة التالية عن السؤال.﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾"1"56.

هذا ما يؤكده المولى عز وجل في محكم كتابه. فهذه الآية الكريمة تحدد بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل أن الهدف الوحيد من خلق الجن والأنس هو عبادة اللـه عز وجل. ونلاحظ أن الآية حددت أن خلق الجن سبق خلق الإنس. ولكن أين يعبد الجن والإنس اللـه؟ لاشك أن خلق الجن ثم الإنس بهدف عبادة اللـه يحتاج إلى مكان يعيشون فيه. يعمرونه ويستقرون فيه بفضل اللـه ونعمه فيشعرون بالأمن ويعبدون اللـه شكراً على هذه النعم. وهذا المكان لا يجب أن يكون منفرداً وحده أو في خلاء. بل يجب أن يكون هذا المكان مركزا لمنظومة متكاملة مرتبة يحكمها نظام دقيق. وهي متطورة ومتحركة ولكن بتحكم وآلية ثابتة. فلا يصيبها خلل قد يهلك الجن والإنس. وعندما تشعرالمخلوقات بإعجاز هذا النظام الرائع المستقر. يشعرون بالأمن ويتعمقون في عبادة اللـه. وفي نفس الوقت تكون بعض الظواهر المدمرة من هذه المنظومة إنذاراً من اللـه لمن يغالبه الشيطان فيخرجه عن طاعة اللـه وعبادته. أو عقاب جارف لمن أصر على الكفر بأنعم اللـه. فهذه المنظومة إذن هي من أسباب الأمن الهامة على كوكب الأرض ... هذه المنظومة هي الكون الواسع الممتد والذي يزيد اتساعه وتتطور أحواله حسب ترتيب الأحداث الذي وضعه المولى – عز وجل – بدقة متناهية. والتي تنتهي بنهاية الكون. هذا الكون الذي كانت بدايته انفجار القبضة الذي فصل الأرض عن السماوات.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾"2"104.

وقد اكتشف العلم الحديث هذه الحقيقة بعد سنوات من الدراسات والمشاهدات لما يحدث في الكون المحيط بالأرض.فلقد أكتشف العلماء أن الكون كان كتلة واحدة ثم انفجرت. ولكنهم قلقون بشأن هذه النظرية. إذ أن الانفجار لا يمكن أن يولِّد إلا الفوضى. فكيف نشأ هذا الكون بأنظمته وقوانينه المحكمة؟ هذا ما يعجز عن تفسيره العلماء.ولكن القرآن أعطانا الجواب حيث أكد على أن الكون كان نسيجاً رائعاً. وقد فتَق اللـه تعالى هذا النسيج ووسعه وباعد أجزاءه. وهذا ما يلاحظه العلماء اليوم. يقول تعالى:

1- الذاريات

2- الأنبياء

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾"1"3.

وتأمل معي كلمة "رتقاً" التي توحي بوجود نظام ما في بداية خلق الكون. وهذا ما يعتقده العلماء وهو أن النظام موجود مع بداية الخلق. ونلاحظ أيضا أن الآية الكريمة تؤكد أن من سيكتشف هذه الحقيقة هم الذين كفروا وليس الذين آمنوا. وهذه إرهاصة بأن التقدم العلمي سيكون للذين كفروا. لعلهم يؤمنون. انفصلت الأرض عن السماء كما اورد القرآن الكريم في الآية الشريفة. وقد أيدت الأبحاث العلمية ماورد في الآية الكريمة، ففي البحث الذي نشر في مجلة "ساينتيفيك أمريكان" في أكتوبر عام 1994 عن نشأة الكون، والذي أجراه مجموعة من العلماء في الطبيعة والفلك ونالوا عنه جائزة تقديرية من جامعة شيكاجو، ذكر الباحثون أن هذا الكون نشأ منذ مايقرب من خمسة عشر بليون سنة نتيجة انفصال الأرض عن السماء. ولعلنا ندرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته حين يتحدث عن السماوات والأرض فيظن البعض أن السماوات إنما هي القمر والشمس وتلك النجوم التي نراها ساطعة في السماء، إلا أن التقدم العلمي والتكنولوجي الرهيب في مجال أبحاث الفضاء قد مكن العلماء ـ وبعد إطلاق التلسكوب الفضائي هابل ـ من إدراك أن هناك مائة بليون بليون نجم مماثل لتلك الشمس الهائلة التي نراها وندور في فلكها، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: و﴿الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾"2"10، ولكي يعبد الجن والإنس الله حق عبادته فلابد أن يسود مُناخ آمن في الأرض. لذلك فالأمن هو مطلب الجن والإنس الأساسي لتستقر حياتهم ويحققوا الهدف الأصلي والوحيد لخلقهم. والعكس صحيح فالعبادة سبيل الأمن الوحيد.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾"3"28، وقد بحث العلماء في كيفية تهيئة الأرض لكي تصلح ليعيش عليها الإنسان، وكيف هيأها الخالق عز وجل لهذا منذ بلايين السنين وقبل خلق الإنسان؟

فمنذ نحو خمسة عشر بليون عام كان الكون عبارة عن كتلة من اللهب. مفاعل نووي حراري، وفي هذه الأثناء ومع بداية انكماش الكون ثم تمدده، بدأت ذرات الغازات تتكون- كما سبق أن ذكرنا - مثل الهيدروجين والهليوم، وتبع ذلك تكوين ذرات الكربون

1- الأنبياء

2- الرحمن

3- الرعد

والأكسجين والكالسيوم والحديد وغيرها من العناصر التي ثبت أن جسم الإنسان يتكون منها جميعا. أيضا مصداقا لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ "1"21".

ولقوله جل في علاه:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ "2"2".

أما العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم فقد تكونت نتيجة لإنفجارات نووية حدثت عندما كانت الأرض قطعة من اللـهب لا حياة عليها علي الإطلاق. وبعد أن تكونت كل هذه العناصر انطلقت في الفضاء الخارجي أيضا لتوجَد بين النجوم، ومن خلال الشحنات التي تحملها كل هذه العناصر الأولية، تولدت قوي كهرو مغناطيسية، وجاذبية متبادلة بين كل هذه الكواكب والنجوم أعطتها ثبات الوجود والاستقرار. ثم تأمل الآية الكريمة التي يقول فيها المولي عز وجل:

﴿هو الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ "3"59". ونجده سبحانه تعالى يقول أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ "4"4"،ويذكر المولي جل وعلا في آيات أخري نُبذة عن خلق السموات والأرض فنجده يقول عز من قائل:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ"9" وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ"10" ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"11" فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ "5"12".

ويحتار القارئ لهذه الآيات. في حساب الأيام الست. فيظن ان خلق الأرض في يومين بخلاف الأيام الأربع المذكورين في الآية العاشرة فيصبح اكتمال خلق الأرض في ستة ايام. بخلاف يومي خلق السماوات ليصبح اجمالي مدة خلق الأرض والسماوات ثمان ايام. مما يخالف ماجاء في الآية الرابعة من سورة الحديد من ان خلق السماوات والأرض تم في ستة ايام. والتفسير المقبول هو ان اليومين

1- المؤمنون

2- الأنعام

3- الفرقان

4- الحديد

5- فصلت

المذكورين في الآية التاسعة ضمن الأيام الأربع المذكورة في الآية العاشرة وليستا بخلاف الأيام الأربع.

وتأمل قوله تعالى في الآيات السابقة "ثم استوي إلي السماء وهي دخان" وتطابق هذا مع ما أثبته العلم الحديث من أن السموات والأرض كانتا شيئا واحدا وانفصلا بفعل الانفجار العظيم الذي نتج عنه انفجارات هائلة جعلتهما كتلة متوهجة من النار والدخان.

كَون متكامل أبدع اللـه في خلقه وتنظيمه. ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام ليكونا إعجازا وآية وشاهداً على عظمة الخالق امام خلقه فيقتنعون بعبادته جل في علاه. وكلما غالبتهم نوازع الشر والجحود. تأملوا في حياتهم وما أنعم اللـه به عليهم وإعجاز الكون.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللـهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللـهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1"18"]، فيعودوا لجادة الصواب وعبادة اللـه. هذا هو الهدف من خلق الكون المتكامل المعجز:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [2"53"].

وإذا كان العلم قد قال كلمته في كيفية تهيئة الأرض لكي تصلح ليعيش عليها الإنسان، وكيف هيأها الخالق عز وجل لهذا منذ بلايين السنين وقبل خلق الإنسان فماذا يقول اللـه في قرآنه الكريم عما هيأ به الأرض لحياة الإنسان؟ لنعرض لشكلين فقط مما هيأ اللـه به الأرض:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[3"4"]. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"15" وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [4"16"]، هذا جانب من تهيئة اللـه الأرض لحياة مستقرة رغدة آمنه لمن يعمرها من جن أوإنس. تمتعوا بالاستقرار والأمن في الأرض. واعبدوا اللـه على نعمته يدوم لكم الأمن والاستقرار.

خلق الملائكة:

ونعود لقصة الخلق. فقد انتهى الخالق من تنظيم الكون ووضع سيناريو تطوره حتى نهاية الوجود. وكذلك رتب أمورالأرض والسماء واستقر على عرشه على الماء:

1- النحل

2- فصلت

3- الرعد

4- النحل

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ "7"[1].

وجاءت مرحلة خلق المخلوقات الحية المرتبطة بخلق الكون. ولقد خلق اللـه أولاً الملائكة - ومفردها ملاك. وهم أعلى المخلوقات مكانة عند اللـه وأقربها له عز وجل.

﴿شَهِدَ اللـهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "18"[2].

وتُعَرِّف المعاجم اللغوية كلمة ملاك بأنه: جِسمٌ لطيفٌ نُورانيٌّ يتشكَّل بأَشكال مختلفة[3].

❖ هو مخلوق لطيف نورانيّ يتشكّل بأشكال مختلفة[4].

❖ يتحدث القرآن الكريم عنهم موضحاً طبيعتهم ودورهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللـهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ "6"[5]. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ "34"[6]. ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللـهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللـهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ "39"[7].

وعن عائشة- رضي اللـه عنها- قالت: قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: خُلِقَت الملائكة من نور. وخُلِقَ الجان من مارج من نار. وخُلِقَ آدم مما وصف لكم[8]. ومعنى كلمة نور ... النُّورُ: الضَّوْءُ وسُطوعُه ... والنُّورُ ما يُبَيِّن الأشْياءَ ويُرِي الأبْصَارَ حقيقتها. والجمع: أَنْوَارٌ[9]

نور: ضوء. جمع: أنوار ونيران ... تموجات مغنطيسية تعين على رؤية الأشياء[10].

أما ضوء ... الضَّوْءُ: النُّورُ، وهما مُتَرَادِفانِ. أَو الضوءُ أَقوى وأسطع من النورِ. أَو الضوء لما

1- هود

2- آل عمران

3- المعجم الوسيط

4- المعجم اللغة العربية المعاصر

5- التحريم

6- البقرة

7- آل عمران

8- رواه مسلم

9- المعجم الوسيط

10- المعجم الرائد

بالذاتِ كضوءِ الشمس والنارِ. والنورُ لما بالعَرَضِ والاكتساب من جسم آخر. كنور القَمَر.
وفي التنزيل العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يونس. والجمع: أَضواءٌ[1].

❖ضَوْء: اسم علم مؤنث عربي، معناه: النور. الإشراق. ما يدركه البصرمن الضياء. ويسمون كذلك ضوء النهار. وضوء الصباح[2].

أما صفات الملائكة فهم:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾"7"[3].

ومهامهم المتنوعة:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"75"[4].

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾"45"[5].

وهم عباد الرحمن الذين لا يعصون له أمراً. ويعبدونه حق عبادته. ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾"38"[6].

❖ ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾"166"[7].

وهم لايذنبون لذلك لايُحاسَبون. كما أن لهم درجات ومستويات ومناطق تحرك في السماوات لا يتعدونها ابداً ... كما رأى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في رحلة المعراج. وهم أيضا مقاتلون.﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ

1- المعجم الوسيط
2- المعجم معاني الأسماء
3- غافر
4- الزمر
5- آل عمران
6- فصلت
7- النساء

مُرْدِفِينَ﴾"9"[1]. والأهم أنهم من عوامل إستباب الأمن على الأرض. ويحبون أبناء آدم ويتمنون لهم الخير في الدنيا والآخرة. ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللـهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾"5"[2].

ويُبغضون الكفار ويسعدون بإيرادهم موارد العذاب بأمر اللـه في الآخرة. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللـهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾"33"[3].

وقد ورد ذكرهم أيضا في الأحاديث النبوية. الملائكةُ يَتَعاقَبون، ملائكةٌ بالليلِ، وملائكةٌ بالنهارِ، ويَجْتَمِعون في صلاةِ الفجرِ والعصرِ، ثم يَعْرُجُ إليه الذين باتوا فيكم، فيسألُهم وهو أعلمُ، فيقولُ: كيف تركْتُم عبادي؟ فيقولون: تركْناهم يُصَلُّون، وأتيناهم يُصَلُّون[4]. "كما جاء في الحديث لَقَّتِ الملائكةُ روحَ رجلٍ ممَّنْ كان قبلَكم. قالوا: أعملتِ من الخيرِ شيئًا؟ قال: كنتُ آمرُ فتياني أن يَنظروا المُعسرَ ويَتجاوزوا عن المُوسرِ.قال: فتجاوزوا عنهُ"[5].

خلق الجن:

ولأن الملائكة تسكن السماوات العلا. فقد أراد الخالق أن يخلق مَن يعمر الأرض التي أعدها اللـه لاستقبال من يعمرها ويعبد اللـه فيها. كما تعبده الملائكة في السماء لذلك خلق اللـه الجن. وتعرف المعاجم اللغوية كلمة الجن بأنها: الجنُّ: خِلاَفُ الإِنْس. واحده جِنِّيٌّ ويقال: باتَ فلانٌ ضَيفَ جِنٍّ أي بمكان خالٍ لا أَنيس به، والجِنُّ من كلِّ شيءٍ: أَوّلُهُ ونشاطُهُ وشِدَّتُه، وجِنُّ الشَّبابِ: عُنفُوانه، وجِنُّ النبات: زَهْرُه ونَوْرُه، وجِنُّ الليلِ: جَنَانُه. وجِنُّ الناس: جَنَانُهُم[6].

1 - الأنفال

2- الشورى

3- النحل

4- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 3223 خلاصة حكم المحدث: "صحيح"

5- الراوي: حذيفة بن اليمان المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 77.2

6- المعجم الوسيط

❖ الجان: من جن بمعنى ستر. وهي مخلوقات لا نراها خلقت من النار تتمتع بقوة خارقة[1].

❖ خلق اللـه الجن في زمن كانت الأرض فيها كتلة ملتهبة تبرد تدريجياً لذلك خلقهم من مارج من نار. ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[2]"15" ليستطيعوا التكيف مع الحياة على الأرض. والمارج في المعاجم اللغوية تعني الشُّعْلَةُ الساطعةُ ذاتُ اللـهَب الشَّديد. أَوهو اللـهَبُ المختلِطُ بسواد النَّار. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾"15"، ورجلٌ مارِجٌ: مُرْسَلٌ غيرُ مَمْنُوع[3].

❖ مارج: شعلة ذات لهب شديد مختلط بسواد النار[4].

❖ وفي آية أخرى ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[5]"27".

وهي نار لا دخان لها تنفذ من المسام. أو هي الرّيح الحارّة القاتلة كما ورد في:

معجم كلمات القران وربما أخذ اللـه حفنة من تربة الأرض الملتهبة وخلق سوميا - أبا الجن- وذلك ليتوافق الجن مع حالة الأرض – كما جاء في البداية والنهاية لأبن كثير- وذلك كما أخذ بعد ذلك من تربة الأرض - بعد أن بردت- وخلق آدم أبو البشر ... على كل الأحوال فقد استقر الجن في الأرض ليعمروها ويعبدوا اللـه. ولقد حكى لنا القرآن الكريم في مواضع متعددة قصة الجن وحالهم. فقد وردت لفظة "الجن" اثنتان وعشرين مرة في أحد عشرة سورة منها سورة كاملة باسم "الجن"﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾[6]"1".

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾[7]"13".

ولفظة"جان"خمس مرات في ثلاث سور منها:

1- المعجم مصطلحات فقهية

2- الرحمن

3- المعجم الوسيط

4- المعجم الرائد

5 - الحجر

6- الجن

7- الأنعام

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ﴾[1]"31"

❖ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[2]"39".

ولفظة "الجان" مرتان ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[3]"15"

❖ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[4]"27"ودعمت الأحاديث النبوية وروايات الصحابة رضوان اللـه عليهم أخبارهم ومعلوماتنا عنهم. قال أبو هريرة أنه كان يحملُ معَ النبيِّ صلَّى اللـهُ عليه وسلَّم إداوَةً لوَضوئِه وحاجتِه. فبينما هو يَتْبَعُه بها. فقال: "مَنْ هذا؟" فقال: أنا أبو هُرَيرَةَ. فقال: "ابْغِني أحجارًا أستَنفِضْ بها. ولا تأتني بعظمٍ ولا برَوْثَةٍ". فأَتَيْتُهُ بأحجارٍ أحملُها في طَرَفِ ثوبِي. حتى وضعْتُها إلى جنبِه. ثم انصَرَفْتُ حتى إذا فرَغَ مَشَيْتُ. فقُلْتُ: ما بالُ العَظْمِ والرَّوْثَةِ؟ قال: "هما من طعامِ الجنِّ. وإنه أتاني وَفْدُ جِنِّ نَصيبينَ. ونِعْمَ الجِنُّ. فسَألوني الزَّادَ. فدَعَوْتُ اللـهَ لهم أن لا يَمُرُّوا بعظمٍ. ولا برَوْثَةٍ إلا وجَدوا عليها طعامًا"[5].

❖ وقال عبد اللـه بن مسعود أن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" قال: ما منكُم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللـهِ؟ قال: وإيَّايَ إلَّا أنَّ اللـهَ أعانَني عليهِ فأسلَمَ فلا يأمرُني إلَّا بخيرٍ. غيرَ أنَّ في حديثِ سفيانَ. وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ، وقرينُهُ منَ الملائكةِ[6].

❖ وعن عبد اللـه بن مسعود ايضاً انه قال في مناسبة نزول آية

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[7]"57". قال: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفرًا من الجنِّ. فأسلم النفرُ من

1- القصص

2- الرحمن

3- الرحمن

4- الحجر

5- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم 386 خلاصة حكم المحدث: صحيح

6- الراوي عبد اللـه بن مسعود المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم 2814: خلاصة حكم المحدث: صحيح

7- الإسراء

الجـنِّ. واستمسـك الإنـسُ بعبـادتِهم. فنزلـت: ﴿ أُولَئِـكَ الَّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَى رَبِّهِـمُ الْوَسِيلَةَ﴾[1].

خلق الإنسان:

وبعد زمن. قال ابن عباس- رضي الـلـه عنه – انه بعد الفي عام. اتخذ الخالق قراراً هاماً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْـفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ﴾[2]"3"، والخليفـة هنـا هـو الإنسان. وقد وردت كلمة خليفة في القرآن مرتان. الأولى في هذه الآية الكريمة والثانية في الآية التالية:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِـلَّكَ عَـن سَبِيلِ الـلـهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الـلـهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[3]"26".

وفي تفسير الجلالين: "يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض" تدبر أمر النـاس "فـاحكم بـين الناس بالحق ولا تتبع الهوى" هوى النفس "فيضلك عن سبيل الـلـه" عن الدلائل الدالـة عـلى توحيده "إن الذين يضلون عن سبيل الـلـه" عن الإيمان بالـلـه "لهم عـذاب شـديد بمـا نسـوا" بنسيانهم "يوم الحساب" المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنـوا في الـدنيا ... هذه هي مهمة الخليفة في الأرض كما حددها المولى لنبي الـلـه داوود.

ولكن لماذا انزعج الملائكة بهذه الصورة من قرار الخالق؟! وكيف عرفوا أن الخليفة المنتظر سيفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ هل الملائكة تعلم الغيب؟ حاشا لله. إنمـا يُجْمِـع المـفسرون على أن توقع الملائكـة بـأن الخليفـة الـذي سـيجعله الـلــه في الأرض. سيفسـد فيهـا ويسـفك الدماء. راجع إلى ما فعله الجن من قبل حين مكنهم الـلـه في الأرض ...

فماذا فعل الجن أزعج الملائكة؟

يقول ابن عباس رضي الـلـه عنه أن الـلـه عز وجل خلق "سوميا" أبو الجـن قبـل خلـق آدم عليه السلام بألفي عام ... وقال عز وجل لـ"سوميا": تمن ... فقال "سـوميا": أتمنـى أن نـرى ولا

1- الراوي: أبو معمر المحـدث: مسـلم - المصـدر: صـحيح مسـلم - الصـفحة أو الـرقم: 3.3. خلاصـة حكـم المحدث: صحيح

2- البقرة

3- ص

نُرى. وأن نغيب في الثرى. وأن يصير كهلنا شاباً ... ولبى اللـه عز وجل لـ"سوميا" أمنيته. وأسكنه الأرض له ما يشاء فيها ... وهكذا كان الجن أول من عَبَدَ اللـه في الأرض.

وربما طلب سوميا من اللـه هذه الصفات الخارقة لمواجهة الوحوش التي كانت لاتزال منتشرة على الأرض. لكن أتت أمة من الجن، بدلاً من أن يداوموا الشكر لله على ما أنعم عليهم من النعم. فسدوا في الأرض بسفكهم للدماء فيما بينهم ... والملاحظ أن الجن لم يقيض اللـه لهم من يضلهم ويوسوس لهم بالشر. كما يحدث للإنسان من إبليس وشيعته. إنما كان شرهم من أنفسهم وربما من طبيعتهم النارية. والمؤكد أن المؤمنين من الجن ساكني الأرض قد افتقدوا الأمن في حياتهم مما أثر على تركيزهم وتفرغهم لعبادة اللـه. فاستغاثوا باللـه من فعل كفارهم الأشرار. وكوعد اللـه للمؤمنين بأن يدافع عنهم فقد أمر اللـه جنوده من الملائكة بغزو الأرض لاجتثاث الشرّ الذي عمها وعقاب بني الجن على إفسادهم فيها.

وغزت الملائكة الأرض وقتلت من قتلت وشردت من شردت من الجن ... وفرّ من الجن نفر قليل. اختبئوا بالجزر وأعالي الجبال. وهدأت الأمور على الأرض لمؤمني الجن الواضح أنهم كانوا قلة قليلة للغاية لا تكفي لعمارة الأرض التي كانت قد هدأت تربتها ولم تعد ملتهبة بل صارت تربة طينية.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾"71"[1].

والطين في المعاجم اللغوية هو: مادّةٌ تتكوَّن من سليكات وألومنيات بعض العناصر مختلطةٌ ببعض المواد العضوية. حبيباتها دقيقة متماسكة.

والطِّينُ: الترابُ المختلطُ بالماءِ. وقد يُسَمَّى بذلك وإِن زالت عنه رطوبة الماء. و الطِّينُ الوحل. والجمع: أَطيانٌ[2].

❖ طِين: الجمع أطيان: "البيئة والجيولوجيا" وحل؛ تراب مختلط بالماء. مادَّة تتكوَّن من سليكات وألومينات بعض العناصر مختلطة ببعض المواد العضويّة. حبيباتها دقيقة متماسكة"طين مستنقع/ الأرض."هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِين"الحجر الطِّينيّ: صخر مشكَّل

1- ص

2- المعجم الوسيط

من الصَّلصال أو الطِّين ذو لون رماديّ غامق. يتحلَّل إلى طين عند تعريضه للهواء. زاد الطِّينَ بِلَّة: زاد الأمرَ سوءًا. أو خطورةً". أو: أرض صالحة للزراعة "من ذوي الأطيان"[1].

❖ وفي آية أخرى وصف اللـه تربة الأرض التي خلق منها آدم بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾"28"[2].والصلصال في المعاجم هو الصَّلْصَالُ: الطِّينُ اليابِسُ. والصَّلْصَالُ صخرٌ طينيٌّ يحتوي على مادَّةٍ لاحمة هي السِّليكا[3].

❖ صَلْصال: طين يابس لم تصبه النّار. أو طين مخلوط برمل ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾.

❖ صخر طينيّ يحتوي على مادّة لاحمة هي السِّليكا. يتميّز بشدّة لزوجته عند البلل[4].

❖ والحمأ هو: الطِّينُ الأَسْودُ المنتن والقطعةُ منه: حَمَأَةٌ. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر آية"26"[5]

❖ حمِئ الماءُ كثُر فيه الطِّينُ الأسودُ المُنتن فتكدَّر وتغيَّرت رائحتُه"حمِئ ماءُ النَّهر"تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَة.حمِئ فلانٌ على فلانٍ: غضب"تروَّ ولا تَحْمَأ على صديقك.رجلٌ حمِئٌ[6].

❖ أما المسنون فهو: طين مسنون"من تن فاسد الرائحة[7].

❖ مسنون:مصوّر صورة إنسان أجوف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾الحجر"26"[8].

❖ إن اللـه عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره فجرت من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ونزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حوى. ثم أخذ عليهم العهد والميثاق ألست

1- اللغة العربية المعاصر

2- الحجر

3- المعجم الوسيط

4- المعجم: اللغة العربية المعاصر

5- المعجم الوسيط

6- المعجم اللغة العربية المعاصر

7- المعجم: الرائد

8- المعجم كلمات القران

بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين قال ثم أقبس كل نسمة رجل من بني آدم بنوره في وجهه وجعل فيه البلوى الذي كتب أنه يبتليه بها في الدنيا من الأسقام ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك فإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع السقام فقال آدم لم فعلت هذا بذريتي قال كي يشكروا نعمتي يا آدم[1].

خلق اللـه آدم وعلمه الأسماء كلها وهو ما اعجز الملائكة. ثم أمر كل الملائكة ومن يتواجد في العالم العلوي بأن يسجدوا لآدم الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه. فسجدوا كلهم بمعنى "تبارك اللـه فيما خلق".

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾"[2] 75".

سجد الجميع إلا إبليس وهو من الجن. أبى واستكبر لأنه رأى انه خير من آدم لأن إبليس خُلِق من نار وآدم من طين. والنار – كما يرى- أنقى وأرقى من الطين. فطرده اللـه من رحمته وغضب عليه. فمن هو إبليس؟ وما الذي جعله يعصى اللـه؟ وماذا فعل بعد أن غضب اللـه عليه؟ وماذا كان موقفه من آدم وزوجه؟

من هو ابليس:

هناك أكثر من رواية عن هوية إبليس لابد لنا أن نستعرضها. ففي تفسير ابن مسعود انه بعد أن غزت الملائكة الأرض بأمر اللـه – كما سبق أن ذكرنا - وقتلت من قتلت وشردت من شردت من الجن ... لأنهم افسدوا في الأرض بسفكهم للدماء فيما بينهم. وفرّ من الجن نفر قليل. اختبئوا بالجزر وأعالي الجبال وأسر الملائكة من الجن "إبليس" الذي كان حينذاك صغيراً. وأخذوه معهم للسماء. كبر "إبليس" بين الملائكة. واقتدى بهم بالاجتهاد في الطاعة للخالق سبحانه ... وأعطاه اللـه منزلة عظيمة بتوليته سلطان السماء الدنيا. ورُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ. خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ. وَكَانَ خَازِنًا مِنْ خُزَّانِ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَخُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ. وَخُلِقَتِ الْجِنُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مارج مِنْ نَارٍ. وَهُوَ لِسَانُ النَّارِ الَّذِي يَكُونُ

1- الراوي: أبو هريرة المحدث: ابن منده - المصدر: الرد على الجهمية - الصفحة أو الرقم: 5. خلاصة حكم المحدث: صحيح

2- ص

فِي طَرَفِهَا إِذَا الْتَهَبَتْ. وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ طِينٍ. فَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَ فِي الْأَرْضِ الْجِنُّ. فَاقْتَتَلُوا فِيهَا. وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ. وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ إِبْلِيسَ فِي جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَهُمْ هَذَا الْحَيُّ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ. فَقَاتَلَهُمْ إِبْلِيسُ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَلْحَقَهُمْ بِجَزَائِرِ الْبُحُورِ. وَأَطْرَافِ الْجِبَالِ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اغْتَرَّ فِي نَفْسِهِ. وَقَالَ: قَدْ صَنَعْتُ مَا لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ. فَاطَّلَعَ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ. وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مَعَه. وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ نَحْوُهُ. وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَمُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُمَا قَالَا: لَمَّا فَرَغَ اللهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. فَجَعَلَ إِبْلِيسَ عَلَى مُلْكِ سَمَاءِ الدُّنْيَا. وَكَانَ مِنْ قَبِيلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ. وَإِنَّمَا سُمُّوا الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ مِنْ خَزَنَةِ الْجَنَّةِ. وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ مُلْكِهِ خَازِنًا فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ كِبْرٌ. وَقَالَ: مَا أَعْطَانِي اللهُ تَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِمَزِيَّةٍ لِي عَلَى الْمَلَائِكَةِ. فَاطَّلَعَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :وَكَانَ اسْمُهُ عزازيل. وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ اجْتِهَادًا وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا. فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْكِبْرِ. وَهَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ فِي سَبَبِ كِبْرِهِ. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ "5"[1] وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فُسُوقُهُ مِنْ إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ. وَاجْتِهَادِهِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لِكَوْنِهِ مِنَ الْجِنِّ[2] أما عن سبب عصيانه لله في السجود لآدم فالقرآن الكريم يجيب على هذا السؤال في أكثر من موضع وكذلك الأحاديث النبوية. ومن كل هذا نقول انه لما أراد اللـه خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده. وصور جثته منها. جعل إبليس وكان اسمه عزازيل. يطيف به. فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لايتمالك. وقال: أما لئن سُلطت عليك لأهلكنك. ولئن سُلطت علي لأعصينك. فلما أن نفخ اللـه في آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسد عظيم. وامتنع من السجود له. وقال: أنا خير منه خلقتني من نار. وخلقته من طين. فخالف الأمر. واعترض على الرب عز وجل. وأخطأ في قوله. وابتعد من رحمة ربه. وأُنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته. وكان قد تشبه بالملائكة. ولم يكن من جنسهم ؛ لأنه مخلوق من نار. وهم من نور فخانه طبعه في أحوج ما كان إليه. ورجع إلى أصله الناري:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَة إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ"71" فَإِذَا سَوَّيْتُه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"72" فَسَجَدَ الْمَلَائِكَة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"73"إِلَّا إِبْلِيسَ سْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ"74" قَالَ يَا إِبْلِيسُ

1- الكهف.

2- البداية والنهاية

مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ"75" قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"76" قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ"77" وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"78" قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"79" قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ"80" إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ"81" قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"82" إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"83" قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ"84" لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]"85".

والمقصود: أن الـلـه أنظر إبليس إلى يوم معلوم واضح انه ليس يوم يبعثون كما طلب ابليس بل قبله ولا شك وذلك محنة لعباده. واختبارًا منه عز وجل لهم. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[2]"21" ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ الـلـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[3]"23-22".

وقال تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾[4].

طرد الـلـه إبليس من ملكوت السماء ومن رحمته عز وجل وأسكن الـلـه عز وجل "آدم" الجنة. وخلق له أم البشر "حواء" لتؤنسه في وحدته. وأعطاهما مطلق الحرية في الجنة. إلا شجرة نهاهما عن الأكل منها إختباراً لمدى طاعتهما المطلقة ... قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5]"19" .

في حين بقيت النار في داخل "إبليس" موقدة. تبغي الانتقام من "آدم" الذي يراه السبب في طرده من رحمة الـلـه ... وهو غير مدرك أن كبره وحسده لـ"آدم" هما اللذان أضاعا منه منزلته التي تبوأها بين الملائكة. وضياع الأهم. طرده من رحمة ربه.

كانت الجنة محروسة من الملائكة الذين يُحَرِّمون على "إبليس" دخولها كما أمرهم الـلـه بذلك ... وكان "إبليس" يُمني النفس بدخول الجنة حتى يتمكن من "آدم" الذي لم يكن يغادرها. فاهتدى لحيلة ... وهي أنه شاهد الحية يتسنى لها دخول الجنة والخروج منها.

1- ص
2- سبأ
3- إبراهيم
4- الكهف
5- الأعراف

دون أن يمنعها الحراس الملائكة من الدخول أو الخروج ... فطلب من الحية مساعدته للدخول للجنة. بأن يختبئ داخل جوفها حتى تمر من الحراس الملائكة .. ووافقت الحية. واختبأ "إبليس" داخلها حتى تمكنت من المرور من حراسة الملائكة لداخل الجنة دون أن تُكتشف الحيلة.. وذلك لحكمة لا يعلمها إلا اللـه سبحانه[1].

وطلب "إبليس" من الحية أن تكمل مساعدتها له. ووافقت ... وعلم "إبليس" بأمرِ الشجرة التي نهى الرب سبحانه "آدم" و"حواء" من الأكل منها. ووجد أنها المدخل الذي سيتسنى له خداع "آدم" و"حواء" حتى يخرجهما عن طاعة اللـه وخروجهما من رحمته تماماً كحاله .. ووجد "إبليس" والحية "آدم" و"حواء" داخل الجنة. فأغوى "إبليس" "آدم". بينما أغوت الحية "حواء" حتى أكلا من الشجرة. بعد أن أوهماهما بأنهما من الناصحين. وأن من يأكل من هذه الشجرة يُصبح من الخالدين ومن أصحاب مُلك لا يُبلى.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"20"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾"21"[2].

وغضب اللـه على "آدم" و"حواء" لأكلهما من الشجرة. وذكرهما بتحذيره لهما:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾"22"[3].

لم يجدا "آدم" و"حواء" أي تبرير لفعلتهما سوى طلب المغفرة:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾"23"[4].

الخروج من الجنة:

نجح الشيطان في أولى محاولاته لغواية آدم وحواء. فقد أخرجهما اللــه من الجنة جزاء عصيانهما. وهذا ما كان يريده إبليس. أن يخرجا له من الجنة التي حُرم عليه دخولها بعد عصيانه لله. كان يجب أن يخرجا ولاشك أن إبليس كان يعلم أنهما سيخرجان من الجنة لأنه لا

1- تفسير ابن كثير

2- الأعراف

3- الأعراف

4- الأعراف

تزاوج ولا إنجاب في الجنة. وهو توعد ذرية آدم بالغواية إلا المخلصين منهم ... إذن كان يعلم انه ستكون لآدم ذرية. وربما علم أن ذلك سيكون على الأرض. فقد كان قريباً من الملائكة وربما علم أن اللـه سيجعل في الأرض خليفة وتوقع أن يكون هو آدم وذريته ... لذلك توعدهم.

وحكم اللـه على "آدم" و"حواء" و"إبليس" والحية بعد ما حدث:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1]"36" يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: "فأخرجهما مما كانا فيه" قال أبو جعفر: وأما تأويل قوله: "فأخرجهما" فإنه يعني: فأخرج الشيطان آدم وزوجته مما كانا،يعني مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة، وسعة نعيمها الذي كانا فيه. وقد بينا أن اللـه جل ثناؤه إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان، وإن كان اللـه هو المُخرج لهما؛ لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان، وأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه كما يقول القائل لرجل وصل إليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه: ما حولني من موضعي الذي كنت فيه إلا أنت، ولم يكن منه له تحويل، ولكنه لما كان تحوله عن سبب منه جاز له إضافة تحويله إليه.والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ قال أبو جعفر: يقال: هبط فلان أرض كذا ووادي كذا: إذا حل ذلك كما قال الشاعر:"ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت أيدي الركاب بهم من راكس فلقا". وقد أبان هذا القول من اللـه جل ثناؤه عن صحة ما قلنا من أن المُخرج آدم من الجنة هو اللـه جل ثناؤه، وأن إضافة اللـه إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما كان على ما وصفنا. ودل بذلك أيضا على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقت واحد. بجمع اللـه إياهم في الخبر عن إهباطهم، بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته، وتسبب إبليس ذلك لهما، على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم. وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: "اهبطوا" مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن عنى به. فحدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح: "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" قال: آدم، وحواء، وإبليس، والحية. حدثنا ابن وكيع وموسى بن هارون، قالا: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" قال: فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها وجعل رزقها من التراب، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية ويقول القرطبي: والهبوط: النزول

1- البقرة

من فوق إلى أسفل، فأهبط آدم بسرنديب في الهند بجبل يقـال لـه "بـوذ" ومعـه ريـح الجنـة فعلق بشجرها وأوديتها فامتلأ ما هناك طيبا، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح آدم عليه السلام. وكان السحاب يمسح رأسه فأصلع، فأورث ولده الصلع. وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبـي صلى الـلـه عليه وسلم قال: "خلق الـلـه آدم وطوله ستون ذراعا" الحديث[1].

وأهبطت حواء بمكة والموقف منطقي لأن حواء أُهبِطَت في المنطقة التي سيسـتقرون بهـا فهي لا تستطيع السعي، وهبط أدم بعيداً ثم دله الـلـه- عز وجل- عـلي مكـان حـواء وأمـره بالتوجه إليها وأمره أيضاً ببناء بيتاً للصلاة – وهو الكعبة – ليصلي فيه هو وأبنـاءه ويطوفـون حوله ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾"[2]96".

ورغم بُعد المسافة إلا أن ضخامة جسد أدم الذي بلغ ستين ذراعاً طولا وسبعة أذرع عرضاً – كما أخبرنا رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسلم" – وكـذلك مسـاعدة الملائكـة، أوصـلت أدم إلي مكة حيث كانت حواء فوق جبل عرفات وعندما رأته فرحت به وازدلفت إليه مـن فـوق الجبل فالتقيا في المزدلِفة وعاشا في أمان بعد بناء بيت الـلـه الحرام الذي قال عنـه المـولي عـز وجل أنه أمناً للناس. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾"[3]125".

والمطلع علي الخرائط الجيولوجية لحركة القارات عبر ملايين السنين،والتي أوضحتها نظرية العالم الألماني ألفريد فغنر عام 1912 يجد أن الأرض في بدايتها كانت مكونة مـن قـارة واحـدة كبيرة ونجد أن الهند كانت جزيرة منفصلة أسفل قارة أفريقيا.

1- أخرجه مسلم
2- آل عمران
3- البقرة



وظلت تتحرك مع حركة القارات





حتى التصقت بقارة أسيا- في موضعها الحالي – مع الحركة قبل الأخيرة للقارات – لتستقبل أدم الهابط إليها من الجنة لتبدأ الحياة البشرية علي الأرض. ونلاحظ ان كل حركات القارات حركات تباعدية إنفصالية إلا حركة الهند القافزة من مكان لمكان متوجهة لموضع محدد استقرت فيه عند الحركة قبل النهائية للقارات. وهو الوضع الحالي لها.

وهبط إبليس بالأُبُلّة, و'الأبلة: بضم الهمزة والباء واللام المشددة. مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ونهرها الذي في شمالها. وجانبها الآخر على غربي دجلة. وهي صغيرة المقدار حسنة الديار واسعة العمارة متصلة البساتين عامرة بالناس المياسير وهم في خصب من العيش ورفاهية. وهي في قول محمد بن سيرين القرية التي مر بها موسى والخضر عليهما السلام فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. وكان عمر بن الخطاب قد أمر بحفر نهر الأبلة فلما ولي عثمان جعل نصف النفقة على أهل الخراج والنصف الثاني على بيت المال. فمدوه إلى البصرة. والأبلة مدينة قديمة عامرة فتحها عتبة بن غزوان في زمن عمر[1].

ونزلت الحية ببيسان, وقيل: بسجستان. وسجستان أكثر بلاد الله حيات, ولولا العربد"ثعبان ضخم لا يتغذى الا على الحيات" الذي يأكلها ويفني كثيرا منها لأخليت سجستان من أجل الحيات, "ذكره أبو الحسن المسعودي".

ويُحكى أن شبيب بن شبة دخل على المنصور فقال يا شبيب أدخلت سجستان فإنه بلغني أنها كثيرة الحيات. فقال نعم يا أمير المؤمنين دخلتها. قال صف لي أفاعيها. فقال دقاق الأعناق صغار الأذناب مفلطحة الرؤوس رقش برش. كأنما كسين أعلام الحبرات. كبارهن حتوف وصغارهن سيوف.

- وحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى بن ميمون, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ قال: آدم, وإبليس والحية وحدثني المثنى بن إبراهيم, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ آدم, وإبليس, والحية, ذرية بعضهم أعداء لبعض. وحدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ قال: آدم وذريته, وإبليس وذريته - وحدثنا المثنى, قال: حدثنا آدم بن أبي إياس, قال:

1- "انظر الروض المعطار للحميري 8/1".

حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية في قوله:﴿بعضكم لبعض عدو﴾ قال: يعني إبليس, وآدم - حدثني المثنى, قال, حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن إسرائيل, عن السدي, عمن حدثه عن ابن عباس في قوله: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ قال: بعضهم عدو آدم, وحواء, وإبليس, والحية. وحدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن وهب, قال: حدثني عبد الرحمن بن مهدي, عن إسرائيل, عن إسماعيل السدي, قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ قال: آدم, وحواء, وإبليس, والحية. - وحدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ قال: لهما ولذريتهما. قال أبو جعفر: فإن قال قائل: وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته,وإبليس, والحية؟ قيل: أما عداوة إبليس آدم وذريته, فحسده إياه, واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ وأما عداوة آدم وذريته إبليس, فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره ; وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيمان بالله. وأما عداوة إبليس آدم, فكفر بالله. وأما عداوة ما بين آدم وذريته, والحية, فهي شبيهة بعداوة ابليس للبشر. فقد تآمرت مع إبليس لغواية آدم وحواء فغضب الله عليها وحرمها من قوائمها التي كانت تمشي عليها وصارت تزحف على بطنها دون سائر المخلوقات الحية وطعامها التراب.

الأفعى:

هي الأنثى من الحيات ويقال للذكر أُفْعُوَان.قال الزبيدي الحية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين. وقال الدميري كنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان شر الحيات. وشرها أفاعي سجستان. قال ومن عجيب أمرها ما حكاه ابن شبرمة أن أفعى نهشت غلاما في رجله فانصدعت جبهته. وقال القزويني حية قصيرة الذنب أخبث الحيات إذا فقئت عينها تعود ولا تغمض حدقتها البتة. تختفي في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينها به فيرجع إليها ضوءها. وقال الزمخشري يُحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت. وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها فربما كانت في برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في البساتين على شجر الرازيانج لا

تخطئها فتحك بها عينها فترجع باصرة بإذن اللـه تعالى. وقال الدميري وإذا قُطِعَ ذنبها عاد كما كان وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للإنسان وبقر الوحش يأكلها أكلا ذريعا وحكى أنها نهشت ناقة في مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل في الحال قبل موت أمه. وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى.الأفعى من عادتها الهرب من الإنسان فهي لا تعضه إلا مضطرة كأن يدوس عليها وهو غافل أو أن يساورها ليقتلها فتعضه حينئذ وتنفذ فيه سمها بواسطة نابين لها موضوعين في الفك الأعلى. ذانك النابان مثقوبان ومتصلان بغدتين وراءهما تفرزان سما. متى عضت الأفعى إنسانا أحس بآلام شديدة وقد لا يتأثر أيضا بألم يذكر ولكن على أي الحالتين يعقب العضة انتفاخ واحمرار حول الجرح ثم يتزايد الألم وتزداد حمرة الجرح وتكتسب لمعانا وتارة يكون لون الجرح مصفرا أو كدرا ثم ينتشر ألم العضو إلى الجرح كله ومنه إلى البدن جميعه و يحصل للمصاب إغماء ويسرع النبض ويقصر ويضطرب ويطرأ قيء وبرودة وضلال في الأبصار والعقل ويسود الدم المنصب من الجرح ويستحيل في الغالب إلى صديد وفي النادر جدا يطرأ غنغرينة وفي غالب الحالات تقل هذه الأعراض شيئا فشيئا ويحصل الشفاء وقد يعقبه الموت. لذلك تجب المبادرة بالمعالجة بواسطة الطبيب. هنا ننبه بلزوم الاحتراس من القرب من الحية إذا قتلت فإن عضلاتها تحفظ خاصية الانقباض والانبساط زمنا ما فيمكنها أن تعض من يعرض جسمه لفمها عضة الأفعى تميت بنسبة واحد إلى ثلاثين وهي لا تطول عن 8 سنتيمتر ولونها يختلف بين الأسمر الرمادي والزيتوني وعلى جانبيها بقع. ولون بطنها يضرب إلى لون الاردواز أو الصلب وتسكن المحلات الخشبية والحجرية وتختفي في الحر وتظهر غالبا في فصل الربيع. فإذا جاء الشتاء اختفت ولبثت متحجرة تحت الأحجار أو في شقوق الأشجار حتى يأتي الربيع وهي تبيض من 8 إلى 12 بيضة وتحفظها في جسمها وبعد ثلاثة أشهر يظهر من كل بيضة أفعوان وهي تأكل الضفادع والفيران وغيرهما وتحتمل الجوع أسابيع.

يقول رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": خمسٌ فواسقٌ يُقتلْنَ في الحلِّ والحرمِ: الحيةُ. والغرابُ الأبقعُ. والفارةُ. والكلبُ العقورُ. والحُدَيَّا[1].

1- الراوي: عائشة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 1198 خلاصة حكم المحدث: صحيح

❖ ويقول ايضاً "صلى الـلـه عليه وسلم": اقتلوا الأسودين في الصلاة الحية والعقرب[1].

❖ كانَ رسولُ الـلـهِ صلَّى الـلـهُ عليهِ وسلَّمَ إذا سافرَ فأقبلَ اللَّيلُ قالَ: يـا أرضُ ربِّي وربُّـكِ الـلـهُ، أعوذُ بالـلـهِ من شرِّكِ، ومن شرِّ ما فيكِ، وشرِّ ما خُلِقَ فيكِ، وشرِّ ما يـدبُّ عليـكِ، أعـوذُ بِكَ من أسدٍ وأسوَدَ منَ الحيَّةِ والعقربِ ومن ساكنِ البلدِ، ومن والدٍ وما ولدٍ[2].

ويؤكد "صلى الـلـه عليه وسلم" على انه: من ترك الحيَّـاتِ مخافـةَ طلـبهِنَّ فلـيس مِنَّـا مـا سالمناهنَّ منذُ حاربناهُنَّ[3]، قال أبو جعفر: وأحسب أن الحرب التي بيننا كان أصـله مـا ذكـره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم في إدخالها إبليس الجنة بعد أن أخرجـه الـلــه منهـا حتـى استزله عن طاعة ربه في أكله ما نهي عن أكله من الشجرة.

سئل رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم عن قتل الحية قال: سُئِلَ رسولُ الـلـهِ صلَّى الـلـهُ عليهِ وسلَّم عن قتلِ الحيَّةِ قال: خُلِقَتْ هيَ والإنسانُ، كلُّ واحدٍ منهما عدوٌّ لصاحبِه، إن رآهـا أفزعَتْهُ وإن لدغَتْهُ قتلتْهُ، فاقتُلْهـا حيـثُ وجـدتها[4] والقـول في تأويـل قولـه تعـالى: ﴿ولكـم في الأرض مستقر﴾، قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم بما: حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا آدم العسقلاني، قال: حـدثنا أبـو جعفـر، عـن الربيـع، عـن أبي العالية في قوله: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ قال: هو قوله: ﴿الذي جعل لكـم الأرض فراشـا﴾، وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الـلـه بن أبي جعفر، عـن أبيـه، عـن الربيـع في قوله: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ قال: هو قولـه: ﴿جعـل لكـم الأرض قـرارا﴾، وقـال آخـرون: معنى ذلك: ولكم في الأرض قرار في القبور. ذكر من قال ذلك - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حـدثنا أسـباط، عـن السـدي: ﴿ولكـم في الأرض مسـتقر﴾ يعنـي القبور. وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قـال: حـدثني عبـد الـرحمن بـن مهـدي، عـن إسرائيل، عن إسماعيل السدي، قـال: حـدثني مـن سـمع ابـن عبـاس قـال: ﴿ولكـم في الأرض مستقر﴾ قال: القبور- وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد: ﴿ولكـم في الأرض مسـتقر﴾ قــال: مقــامهم فيهــا. قــال أبــو جعفــر: والمســتقر في كــلام العــرب هــو موضع الاسـتقرار. فـإذا كـان ذلـك كـذلك، فحيـث كـان مـن في الأرض موجـودا حـالا، فـذلك

1- الراوي: أبو هريرة المحدث: أبو داود - المصدر: سـنن أبي داود - الصـفحة أو الـرقم: 921 خلاصـة حكـم المحدث: سكت عنه "وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح".

2- الراوي: عبدالـلـه بن عمر المحدث: النسائي المصدر: السنن الكبرى الصفحة أو الرقم: 10322

3- الراوي:عبدالـلـه بن عباس المحدث: أحمد شاكر المصدر: مسند أحمد الصفحة أو الرقم: 328/3 خلاصـة حكم المحدث: إسناده صحيح

4- الراوي: عبدالـلـه بن عباس المحدث: الذهبي المصدر: سير أعلام النبلاء الصفحة أو الرقم: 338/10

المكان من الأرض مستقره. إنما عنى اللـه جل ثناؤه بذلك: أن لهم في الأرض مستقرا ومنزلا بأماكنهم ومستقرهم من الجنة والسماء، وكذلك قوله ﴿ومتاع﴾ يعني به أن لهم فيها متاعا بمتاعهم في الجن. والحقيقة أن الإحساس بالأمان لتوافر الأمن هو مطلب الإنسان الأول والأساسي منذ هبوط سيدنا أدم - عليه السلام – إلي الأرض، ثم انتشار أبناءه في أرجائها ليعمروها.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللـهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ "239"[1].

وفي هذا الصدد أود أن أعلق علي ما جاء في بعض الروايات والأفلام، من تصوير لحياة الإنسان في أيام وجوده الأولي علي الأرض، وكيف عاني الأهوال من الزلازل والبراكين والعواصف والتغيرات المُناخية التي صاحبت ظروف النشأة الأولي للكرة الأرضية ... حتى استقرت الأرض علي صورتها النهائية فاستقرت معها حياة الإنسان وأمن بطش الطبيعة. وبقي صراعه غير المتكافئ مع حيوانات ما قبل التاريخ من ديناصورات وغيرها، شديدة الوحشية... واراه تصوراً خاطئاً لحياة الإنسان الأولي علي الأرض يفتقد لعنصر الإيمان باللـه خالق كل شيء، ومنظم الأكوان، ومعارض لما جاء في الكتب السماوية في هذا الصدد ... فهذه الأعمال الدرامية لا توضح كيف تواجد الإنسان علي الأرض وهي إما تواكب نظرية المادية الجدلية التي تري أن الكون كله نشأ متزامناً ومعه الإنسان أو أنها تروج لنظرية النشوء والارتقاء التي قال بها "تشارلز دارون"... ومن هنا جاء التصور بعيداً عن الحقيقة غير مستند إلي وقائع مؤكده، لأن المتعمق في القرآن الكريم يعرف أن الإنسان عندما تواجد علي الأرض – بنزول سيدنا أدم وزوجه حواء- كانت الأرض قد استقرت علي حالتها النهائية – كما أراد لها اللـه – وأصبحت صالحة ومهيأة لسكن الإنسان. صحيح أن هبوط سيدنا أدم علي الأرض كان عقاباً له علي مخالفة أمر اللـه والاستجابة لوسوسة الشيطان ولكن السيناريو الإلهي كان محدداً سلفاً. كما أن اللـه تاب عليه. بل إن اللـه أوحى إليه بما يقوله لكي يتوب عليه. لكن اللـه هيأ الأرض تماماً. وهذا ما أكده القرآن الكريم في العديد من المواضع:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ"31" وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ "32"[2].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللـهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"60" أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللـهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ "61"[3].

1- البقرة

2- الأنبياء

3- النمل

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ "33" وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ "34"[1].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا "25" ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا "26" فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ "27"[2].

والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ومتاع إلى حين﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: ولكم فيها بلاغ إلى الموت. ذكر من قال ذلك: حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في قوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾ قال يقول: بلاغ إلى الموت.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل، عن إسماعيل السدي، قال: حدثني من سمع ابن عباس: ﴿ومتاع إلى حين﴾ قال: الحياة. وقال آخرون: يعني بقوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾ إلى قيام الساعة. ذكر من قال ذلك. حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ومتاع إلى حين﴾ قال: إلى يوم القيامة إلى انقطاع الدنيا. وقال آخرون إلى حين، قال: إلى أجل. ذكر من قال ذلك. حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿ومتاع إلى حين﴾ قال: إلى أجل. والمتاع في كلام العرب: كل ما استمتع به من شيء من معاش استمتع به أو رياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه قد جعل حياة كل حي متاعا له يستمتع بها أيام حياته، وجعل الأرض للإنسان متاعا أيام حياته بقراره عليها، وإغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات والثمار، وإلتذاذه بما خلق فيها من الملاذ وجعلها من بعد وفاته لجثته كفاتا، ولجسمه منزلا وقرارا، وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك؛ كان أولى التأويلات بالآية، إذ لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة دالة على أنه قصد بقوله: "ومتاع إلى حين" بعضا دون بعض، وخاصا دون عام في عقل ولا خبر ؛ أن يكون ذلك في معنى العام، وأن يكون الخبر أيضا كذلك إلى وقت يطول استمتاع بني آدم وبني إبليس بها، وذلك إلى أن تبدل الأرض غير الأرض. فإذ كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وصفنا، فالواجب إذا أن يكون تأويل الآية: ولكن في الأرض منازل ومساكن، تستقرون فيها استقراركم كان في السموات، وفي الجنات في منازلكم منها، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها، وبما جعلت لكم فيها من

1- يس

2- عبس

المعاش والرياش والزين والملاذ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرماسكم وأجداثكم، تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها.

الحياة على الأرض:

وهبط "آدم" و"حواء" من السماء إلى الأرض وتاب اللـه على "آدم" و"حواء". ووعدهما بالفوز بالجنة إن اتبعا هداه. وبالنار إن ضلا السبيل:

﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"38" والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾"39"[1].

هبطا للأرض ومعهما إبليس اللعين ليفقدا الأمان الدائم ويبدأ صراع الإنسان مع الشيطان الرجيم. وكان سلاح الإنسان هو الإيمان باللـه وطاعته ليتحقق له الأمان النسبي في الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وابشروا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾"3"[2].

وبدأ إبليس هو الآخر استعداده لمعركة التحدي وصراعه مع بني آدم. ولكي يكون الصراع حقيقياً سلح اللـه إبليس بأسلحة قوية ولكنها قاصرة.بل عاجزة أمام تمسك الإنسان بالإيمان باللـه – فقد أخبرنا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم":ما منكُم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللـهِ؟ قال: وإيَّايَ إلَّا أنَّ اللـهَ أعانَني علَيهِ فأسلَمَ فلا يأمرُني إلَّا بخيرٍ. غيرَ أنَّ في حديثِ سفيانَ. وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ، وقرينُهُ منَ الملائكةِ[3]. كما سمح عز وجل لإبليس بعرش علي البحر يقود منه حركة الأقران ويوجههم ويتلقي منهم التقارير عن أعمالهم ونشاطهم ضد ابن أدم.

1- البقرة

2- فصلت

3- الراوي: عبد اللـه بن مسعود المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2814 خلاصة حكم المحدث: صحيح،

﴿إِنَّـهُ يَـرَاكُمْ هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِـنْ حَيْـثُ لاَ تَـرَوْنَهُمْ إِنَّـا جَعَلْنَـا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَـاء لِلَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ "1"27".

يقول جابر بن عبد اللـه أن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم" قـال: إنَّ إبلـيسَ يضَـعُ عرشَه على الماءِ ثمَّ يبعثُ سراياهُ فأدناهم منهُ منزلـةً أعظمُهـم فتنـةً يجـيءُ أحـدُهم فيقـولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ مـا ترَكتُـه حتَّـى فرَّقـتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ[2].

❖ إنَّ الشيطانَ واضِعٌ خَطْمَهُ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإنْ ذَكَرَ اللــهَ تعـالى خَـنَسَ، وإنْ نَسِيَ اللـهَ الْتَقَمَ قلبَه[3].

وهكذا بدأت المعركة التي نحن طرفا فيها، ولكن طرفاً قوياً إن أردنـا أو ضـعيفاً إن أردنـا، والموقف واضح للإنسان ... إذا أطعت اللـه وتمسكت بأهداب الإيمـان سـتعيش في أمـان مـن نزغات الشيطان، وختامك الجنة. ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّـا يَـأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ "4"133"

غير ذلك ستعيش في خوف وضلال، ويتلاعب بك الشيطان ثم يتبرأ منك في النهاية وحجته قويـة ومنطقيـة. ﴿وَقَالَ الشَّـيْطَانُ لَـمَّا قُضِيَ الأَمْـرُ إِنَّ اللَّــهَ وَعَـدَكُمْ وَعْـدَ الْحَـقِّ وَوَعَـدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُـلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَـوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي فَـلَا تَلُومُـونِي وَلُومُـوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُـمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "5"22". وهذا واضـح مـن تعهـد الشـيطان لله عـز وجـل بمـا سـيفعله بالإنسـان إلا المؤمنين منهم.﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"82" إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ "6"83-82".

من هنا بدأ آدم وحواء وذريتهما الحياة المقـررة لهـما بعـد الـدرس القـاسي بـالخروج مـن الجنة. وبعد أن عرفوا أن إبليس يتربص بهما وبذريتهما وهو قـد كسـب الجولـة الأولى ولكـن لاتزال هناك جولات طويلة حتى نهاية الحيـاة لابـد أن يسـتعد البـشر لهـا ليكونـوا الغـالبين. خاصة وأنهم يتمتعون بدعم غير محدود مـن اللــه. القـوة القـادرة قـدرة مطلقـة ... وعـلى

1- الأعراف

2- الراوي: جابر بن عبد اللـه المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الـرقم: 2813 خلاصـة حكم المحدث: صحيح

3- الراوي: أنس بن مالك المحدث: الألباني المصدر: ضعيف الجامع الصفحة أو الرقم: 1480

4- طه

5- إبراهيم

6- ص

الطرف الآخر كان ولازال هناك إبليس يستعد هو الآخر للتحدي الأكبر. التحدي مع اللـه حول البشر بأن يغويهم أجمعين ولكنه أعلن أنه عاجز أمام عباد اللـه المخلصين. لذلك فهو يحاول أن يكون هؤلاء هم الإستثناء من القاعدة العامة التي يحلم إبليس بإغوائها. وعاش سيدنا أدم – عليه السلام – عمره الذي امتد ألف عام. يتذكر حياته في الجنة، ويحكي لأبنائه عنها فيشتاقون لها ويعرفون أن الإيمان باللـه سبيلهم لهذه الجنة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"35"[1] ولا شك أنه ندم علي فعلته التي أخرجته منها.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾"117"[2].

والمؤكد أنه لام حواء كثيراً وحمّلها مسئولية ما حدث عنِ النبيِّ صلَّى اللـهُ عليه وسلَّم انه قال: "لولا بنو إسرائيلَ لم يَخنَزِ اللحمُ. ولولا حَوَّاءُ لم تَخُنْ أنثى زوجَها"[3]. والخيانة ليست كما نفهم في العصر الحديث ولكن رسول اللـه "صلَّى اللـهُ عليه وسلَّم" قصد بها أنها أساءت النصح له وحرضته تحريضاً خاطئاً فأضرته وأضرت نفسها. ولعلها كانت معترفة بخطئها ونادمة وتحاول استرضاء آدم فقد خسرت هي الكثير ... خسرت الحياة الآمنة الطاهرة، حيث عانت ويلات الحمل والولادة والرضاعة بل والمعاناة الشهرية. يقول المولى عز وجل:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"14"[4]وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾"15"[5].

ولقد أكدت الأحاديث الشريفة هذا. فعَنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللـهُ عنهُما قال: قال اللـهُ – تباركَ وتعالى – لِآدمَ: يا آدمُ ما حَمَلَكَ على أنْ أكلْتَ مِنَ الشجرَةِ التي نَهَيْتُكَ عَنْها؟ قال: فَاعْتَلَّ آدَمُ، فقال: يا رَبِّ،

1- الأعراف

2- طه

3- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 333. خلاصة حكم المحدث: صحيح

4- لقمان

5- الأحقاف

زَيَّنَتْهُ لِي حَوَّاءُ. قال: فإني عَاقَبْتُها أنْ لا تَحْمِلَ إِلَّا كُرْهًا، ولا تَضَعَها إِلَّا كُرْهًا، ودَمَيْتُها في كلِّ شهرٍ مَرَّتَيْنِ. قال: فَرَنَّتْ حَوَّاءُ عندَ ذلكَ، فقيلَ لها: عَلَيْكِ الرَّنَّةُ وعلى بناتِكِ[1] وهذا هو الفارق بين حياتنا الدنيا وحياتنا في الآخرة إن كنا من أهل الجنة، فالجنة هي ثواب طاعتنا لله في الحياة الدنيا، أي أن طاعتنا لله وإيماننا المطلق به والعمل بما أمرنا به، هو سبيل الأمن النسبي في الدنيا و الأمان المطلق في الجنة إن شاء اللـه كانت هذه هي الدعوة التي حملها الأنبياء والرسل للبشر عبر ملايين السنين.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ "65"[2]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللـهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللـهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ "36"[3]

وجاء في حديث طويل لأبي هريرة. عن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ان آدم عليه الصلاة والسلام عندما نفخ اللـه فيه من روحه وتكلم: وإذا قومٌ عليهم النُّورُ فقال: يا ربِّ من هؤلاء الَّذين عليهم النُّورُ؟ فقال: هؤلاء الأنبياءُ والرُّسلُ الَّذين أُرسِلُ إلى عبادي[4].

وقد عاش آدم ألف عام. يعلم ابناءه درس الإيمان باللـه واهميته لحياتهم في الدنيا والآخرة. وكانت الأرض صحراء مقفرة. لكن الرب أعطى "آدم" من ثمار الجنة ليزرعها وعلمه صنعة كل شيء وزرع "آدم" ثمار الجنة. وأنجب من "حواء" الأولاد. وبقي على طاعة ربه فيما أمر وإجتناب ما نهى عنه. كان هذا هو حال الطرف المدافع. فماذا فعل الطرف العدواني المتحفز ابليس؟

لم تخمد "إبليس" نار عداوته لـ"آدم" رغم ما فعل بطرد أبو البشر من الجنة ... فكان يُمني النفس أن يُحَرِّم عليه وعلى ذريته الجنة للأبد. تماماً كحاله ... لكن ما العمل؟ فهو يرى أن عداوته قد انكشفت. ولم يعد بإمكانهِ مواجهة "آدم" الذي هو على طاعة الرب قائم. غير أن "إبليس" بالأصلِ ضعيف كما أخبرنا سبحانه بذلك: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ "76"[5].

ولا قوة له إلا على الضالين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ "82" إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ "83"[6].

1- الراوي: سعيد بن جبير المحدث: ابن حجر العسقلاني المصدر: المطالب العالية الصفحة أو الرقم: 119/1

2- الأعراف

3- النحل

4- الراوي: أبو هريرة المحدث: الوادعي المصدر: صحيح دلائل النبوة الصفحة أو الرقم: 383 خلاصة حكم المحدث: صحيح

5- النساء

6- ص

الإنتشار في المعمورة:

إنتشر ابناء آدم – عليه السلام – في الأرض ليعمروها كما أمر اللـه فأتجهوا شمالاً إلى أرض بابل.ولكن لماذا ارض بابل دون سائر البلاد؟ ارض بابل في العراق. والعراق بها نهر الفرات حيث المياه الوفيرة الجارية بخلاف الحياة في مكة.فمن اين عرف ابناء آدم بأرض بابل ونهر الفرات؟ بدأت الهجرات بعد عهد شيت ابن آدم. وقد أخبرنا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بأن اللـه أنزل على شيت خمسين كتاباً من السماء. كان بها توجيهات هامه لأبناء آدم لاشك انه كان منها التوجيه للتحرك لأرض بابل عند نهر الفرات لقيمة هذا النهر الدينية. فما هي قيمته؟

أخبرنا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ان هناك أربعةُ أنهارٍ من أنهارِ الجنةِ: سَيْحَانُ، وجَيْحَانُ، و النيلُ، و الفراتُ[1]، تحرُك ابناء آدم إذن لأرض بابل، كان لمجاورة احد انهار الجنة.

وهم وإن كانوا أبتعدوا عن آدم وسلطته وتوجيهه. إلا انهم كانوا محملين بما علمهم إياه من إيمان قوي باللـه وإلتزام بطاعته. ولكنهم لم يعرفون- هم ولا آدم- أن بابل قريبة من الأُبُلة الذي نزل فيه إبليس من السماء. ولم يعرفوا بما يرتب إبليس لحربه المتوقعة ضد البشر ولا خطته لذلك.

المواجهة الأولى والأخيرة:

وظن "إبليس" أن إبتعاد ذرية آدم عن مكة فيه انتهاءً لهروبه من المواجهة. وأن بإمكانه الظهور علناً للبشر وشنّ حربه عليهم. لأنهم ضعفاء لا يقدرون على المواجهة ... فظهر للعلن ومعه خلق من شياطين الجن والمردة والغيلان وعفاريت الجن. ممن بقي حياً بعد قهر جيش الملائكة لهم وهروبهم لأعالي الجبال وجزر البحار البعيدة. ولا شك انه حكى لهم ماحدث له بسبب آدم وبرأ نفسه وحمّل آدم المسئولية. ومنّى هؤلاء الأشرار بالعودة للسيطرة على الأرض كما كانوا وعليهم ان يساعدوه ليبسط نفوذه على الحياة في الأرض. وهو مَن هو مِن الجن الذي قربه اللـه منه ليقترب من الملائكة. وطمئنهم بأن اللـه خلى بينه وبين بني آدم ولن يتدخل لصالحهم – كما حدث للجن من قبل – إن هو إنتصر عليهم. وإنتصاره سيؤكد لله أن إبليس كان على حق حين رفض السجود لآدم. فيرضى عنه

1- الراوي: أبو هريرة المحدث: الألباني- المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 876 خلاصة حكم المحدث: صحيح

مرة أخرى ويستغفر لهم إبليس الـلـه فيغفر لأشرار الجن. لذلك أنضم له كل هـؤلاء واسـتعد جيش إبليس لمعركة مضمونة النتيجة ضد بني البشر.

وتقول المعـاجم اللغويـة أن الشَّـيْطانُ: روح شِرِّيـر مُغْـوٍ. والشَّـيْطانُ كـلُّ متمـرِّد مفسـد. والشَّيْطانُ الحيَّة الخبيثة. ويقال في تقبيح الشيءِ: كأَنه وجه شيطان. أو رأْس شيطان.

وفي التنزيل العزيز في وصف شجرة جهنم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الصافات[165].

❖ شيطان - جمعها شياطين، شيطان: روح شريرة. شيطان: كـل متمـرد شريـر. شـيطان: حية خبيثة. شيطان: "شيطان الشِعر": جني يقال إنه يلهم الشـاعر. شـيطان: "شـيطان الفـلا" العطش.[2]

❖ شَيْطان: جمع شياطينُ: وشيطان قرين إبليس. وهو روح شرِّير مغوٍ بالفساد "وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ" وهوكلُّ متمرِّد مفسد من إنس أو جنّ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَـدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ﴾ الأنعام "112"[3].

❖ امـا اسـم إِبلـيس فيعنـي إِبلـيس رأس الشـياطين. وإِبلـيس المتمـرد. والجمـع أبـاليس. وأبالِسة[4].

❖ إبليس اسم علم للشيطان. جمع: أبالسة وأباليس[5].

❖ إبليسُ: جمع أَبالِسَة وأباليسُ: عَلَم للشيطان. كبير الشـياطين ورأسـهم. روح مجسّـدة للشرّ وهو عدوّ لله تعالى جُنْد إبليس:المُجَّان والخُلَعاء[6].

❖ اما المارِدُ: الطاغيةُ. والمارِدُ العملاقُ. وفي التنزيل العزيز: "وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ" الصافات"7" والمارِدُ الذي يجيء ويذهب نشاطًا. والمارِدُ المرتفعُ. يقال: بناءٌ مارِدٌ.والجمع:مَـرَدَةٌ. ومُرَّادٌ[7].

1- المعجم الوسيط

2- المعجم: الرائد

3- المعجم اللغة العربية المعاصر

4- المعجم الوسيط

5- المعجم الرائد

6- المعجم اللغة العربية المعاصر

7- المعجم الوسيط:

❖ واسم الغُولُ: كلُّ ما أَخَذَ الإنسانَ من حيث لا يدري فأَهلكه. والجمع: أَغْوَالٌ. وغِيلانٌ. والغُولُ مفرد الغِيلان. تزعم العربُ أَنه نوعٌ من الشياطين يَظهر للناس في الفلاة. فَيَتَلَـوَّن لهـم في صورشتَّى ويَغُولهم. أَي يُضلِّلهم ويُهلِكُهُم. والغُولُ كلُّ شيءٍ يذهب بالعقل. والغُـولُ المنيَّـةُ. والغُولُ الداهيةُ. يقال: غالتْ فلانًا غُولٌ: إذا أَهلكته[1].

❖ وأخيراً العِفْرِيتُ هو: العِفْرِيتُ: الخبيثُ المنكَرُ. والعِفْرِيتُ النَّافِذُ في الأَمـرِ مـع دهـاءٍ. والجمع: عفاريتُ.﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْـلَ أَنْ تَقُـومَ مِـنْ مَقَامِـكَ وَإِنِّي عَلَيْـهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ النمل "39"[2]

لكن شاء الـلـه أن ينصر بنـي الإنـس عـلى الجـيش الإبلـيسي الـذي أسسـه "إبلـيس". حـين نصرهم برجلٍ عظيم اسمه "مهلاييل" ونسبه هو: ‹مهلاييل بن قينن بن انـوش بـن شـيث بـن آدم عليه السلام›. ويُروى أنه ملك الأقاليم السـبعة وأول مـن قطـع الأشـجار. قـام "مهلاييـل" بتأسيس مدينتين محصنتين هما: مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى ليحتمي بهـا الإنـس مـن أي خطرٍ يهددهم. وما يؤكد مكان ابناء آدم في هذا الموقع. مـا جـاء في قصـة سـيدنا إدريـس عليه السلام – وهو من أحفاد مهلاييل – من انه ضاق بالعُصاة من قومه والذين لم يستجيبوا لدعوته للعودة لله. فخرج بمن استجاب له من قومه الى أرض أخرى. ولاشك ان ذلك كان بأمر الـلـه لأول انبياءه بعد آدم. وكان خروجه من بابل. أسس مهلاييـل جيشـه الإنسي الـذي كـان أول جيش في حياة الإنسان للدفاع عن بابل والسوس الأقصى. وقامت معركةٌ رهيبة بين جيش "مهلاييل" وجيش "إبليس". وكتب الـلـه النصر بهـا للإنـس. حيـث قُتـل بهـا المـردة والغـيلان وعدد كبير من الجان. وفرّ "إبليس" من المواجهة[3].

وواضح ان هذه الواقعة كانت قبل قصة قابيل وهابيل. فالبشر الضعفاء لم يكونـوا ليهزمـوا جيش الأبالسة والغيلان إلا بدعم من الـلـه. وربما بمشـاركة الملائكـة. لـبشر مـؤمنين ورعـين لا يزالون على العهد مع الـلـه. لم يرتكبوا الشرور بعد. ولاشـك ان هـذا الإنتصـار قـد أسـعد آدم وطمأنه على ذريته من بعده. ولكن البشر أسكرهم الإنتصار غـير المتوقـع. فلـم يفكـروا فـيما يمكن ان يفعله إبليس بعد هزيمته النكراء. لمواصلة توعده للـبشر بالغوايـة بعـد ان انكشـف أمامهم في العلن. فماذا فعل إبليس؟

1- المعجم الوسيط

2- المعجم الوسيط:

3- البداية والنهاية لابن كثير

الفصل الثاني : مملكة ابليس

- مثلث برمودا
- الجريمة الأولى
- الأيمان هو سبيل الأمان
- أدم يتدخل
- إدريس أول الأنبياء
- الأبناء الخمس
- البداية قوم عاد

بعد هزيمة "إبليس" وفراره من الأراضي التي يحكمها "مهلاييل" ... ظل يبحث عن مأوى يحميه ومن معه من شياطين الجن الخاسرين في المعركة ضد "مهلاييل" ... واختار أن يكون هذا المأوى بعيداً عن مواطن الإنس. يبني به مملكة يحكمها وتلم شمل قومه شياطين الجن الفارين من غزو الملائكة من قبل. ومن الهزيمة امام الإنس ... فأي مأوى اختار "إبليس" لبناء مملكته؟ طاف "إبليس" في الأرض بحثاً عن المنطقة الملائمة لبناء حلمه. وكان لابد ان ينشئ هذه المملكة على بحر كما سمح له اللـه. كما أراد إبليس أن تكون مملكته في المواطن التي فرّ إليها معظم شياطين الجن إبان غزو الملائكة والتي كانت لجزر البحار التي يصل تعدادها عشرات الآلاف. استغل "إبليس" قدرات الجن الخارقة في بناء المملكة. والتي كان من أهم تلك القدرات التي تلائم طبيعة البحر ما ذكرها القرآن الكريم: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾[1"37"].

وبعد ذلك وضع عرشه على الماء. وأسس جيشه من شياطين الجن الذين التفوا حوله في مملكته. ينفذون كل ما يأمرهم به ... ووضع "إبليس" للحيات مكانة خاصة عنده. جزاء ما فعلت له الحية في السماء من مساعدة تسببت في خروج "آدم" و"حواء" من الجنة ... وذلك بأن جعلها من المقربين لعرشه وأسس "إبليس" مجلس وزرائه الذين سيقود مخططاته الشيطانية في عالم الإنس ... كما جاء في كتاب "'آكام المرجان" للشلبي'، فقد روي عن "زيد" عن "مجاهد" قوله: "لإبليس خمسة من ولده. قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره. ثم سماهم فذكر: ثبر. الأعور. سوط. داسم. زلنبور ... أما ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ... وأما الأعور فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه. وأما سوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيُخبره بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيتُ رجلاً أعرف وجهه وما أدري أسمه حدثني بكذا وكذا ... أما داسم فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يُريه العيب فيهم ويُغضبه عليهم ... أما زلنبور فهو صاحب السوق الذي يركز رايته في السوق[2].

ولم يعرف الإنسان بأمر هذه المملكة حتى أخبرنا بها رسول اللـه. فقد قال صلى اللـه عليه وسلم: "إنَّ إبليسَ يضَعُ عرشَه على الماءِ ثمَّ يبعثُ سراياهُ فأدناهم منهُ منزلةً أعظمُهم

1- ص

2- البداية والنهاية لابن كثير

فتنةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ ما ترَكتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ[1].

كما لم يعرف الإنسان بموقع الحيات في هذه المملكة إلا من خلال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ايضاً - وقد ورد في مسند أبي سعيد: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ: "مَا تَرَى؟"، قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، أَوْ قَالَ عَلَى الْبَحْرِ، حَوْلَهُ حَيَّاتٌ، قَالَ رَسُولُ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ذَاكَ عَرْشُ إِبْلِيسَ".

فمن هو ابن صائد هذا الذي يسأله النبي "صلى اللـه عليه وسلم"؟ ابن صياد اسمه: صافي. وقيل عبد اللـه بن صياد أو صائد. كان من يهود المدينة. وقيل من الأنصار. وكان صغيراً عند قدوم النبي "صلى اللـه عليه وسلم" إلى المدينة. وقيل إنه أسلم. وكان ابن صياد دجّالاً. وكان يتكهن أحياناً فيصدق ويكذب. فانتشر خبره بين الناس. وشاع أنه الدجال. فأراد النبي "صلى اللـه عليه وسلم" أن يطّلع على أمره ويتبين حاله. فكان يذهب إليه مختفياً حتى لا يشعر به.رجاء أن يسمع منه شيئاً. وكان يوجه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته. وقد عاش بعد النبي "صلى اللـه عليه وسلم" ثمّ فُقِدَ ابن صياد يوم الحرّة. ووقعة الحرة كانت بين أهل المدينة من طرف ويزيدبن معاوية والأمويين من طرف اخر، وفيها أن أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد بن معاوية لما كان عليه من سوء ولماحدث في معركة كربلاء ومن مقتل الحسين بن علي، فطردوا والي يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن معه من بني أمية من المدينة، فأرسل على اثرهم يزيد جيش من الشام وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري فوقعت بينهم وقعة الحرة وانتهت بمقتل عدد كبير من الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين وكانت عام 63هـ.

وفي الحديث السابق - الذي فيه بعض أحوال ابن صياد وامتحان النبي "صلى اللـه عليه وسلم" له - ما يدل على أن النبي "صلى اللـه عليه وسلم" كان متوقفاً في أمر ابن صياد. لأنه لم يُوحَ إليه أنه الدجّال ولا غيره. وكان كثير من الصحابة يظنون أن ابن صياد هو الدجال. وكان عمر بن الخطاب رضي اللـه عنهما يحلف أنه الدجال بحضرة النبي "صلى اللـه عليه وسلم" وحضرة الصحابة. ولم ينكر عليه النبي "صلى اللـه عليه وسلم" ذلك. ففي الحديث عن محمد بن المنكدر قال: "رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللـهِ يَحْلِفُ بِاللـهِ أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَّالُ. قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللـهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ

1- الراوي: جابر بن عبداللـه المحدث: مسلم المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2813 خلاصة حكم المحدث:صحيح

عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لم يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام عن البحر الذي به مملكة الشياطين؟ربما يعود هذا لأحد سببين: إما أن موقع هذه المملكة كان في علم الغيب في ذلك الوقت. وإما أن عالم الجن الغير مرئي يمنعنا من الإطلاع على أسراره. فلم يُرِد الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينشغل المسلمون بما لا ينفعهم وربما يعرضهم للهلاك.

ولعله من المناسب ان نتحدث عن موقع هذه المملكة التي ينطلق منها مصدر الشر الأساسي للإنسان ألا وهم شياطين الجن أعوان إبليس- والذي يهدد أمنه ويحرضه على معصية اللـه فيلقى هلاكه ... والواقع ان الإنسان لم يهتم بالبحث عن موقع هذه المملكة لعدة أسباب:

- اول هذه الأسباب خاص بالمسلمين والمتعمقين منهم في دينهم وفي سيرة رسولهم – عليه الصلاة والسلام – فقد عرفوا منه بأمر هذه المملكة. ولو كان في أمر كشف موقع هذه المملكة خير لهم لأخبرهم به بأمر اللـه ... لذلك لم يفكروا في البحث عنها. ولكن غير المتعمقين منهم في دينهم قصروا في حق أمنهم حين ركبوا البحر لإستكشاف العالم ومناطقه المجهولة وهم لايعلمون بأمر هذه المملكة. فعرضوا أنفسهم لخطر شديد ظهر بشدة في قرون تالية.

- اما السبب الثاني فيخص غير المسلمين الذين لم يتعرفوا على الإسلام وبالتالي لم يعرفوا بأمر مملكة الشيطان التي تقع على أحد البحار. وربما عرفوا المعلومة وانكروها ... حتى حدث ما جعلهم يعرفون هذه المعلومة او يصدقوها. وقائع مهولة شكلت تهديد بالغ لأمن العالم لقرون عديدة. هذه الأحداث او الحوادث - على وجه الدقة – وقعت في منطقتين محددتين من بحار العالم. المنطقة الأولى والأشهر هي منطقة مثلث برمودا.

مثلث برمودا:

مثلث برمودا هو لغز من ألغاز الطبيعة احتار الناس في حله منذ مئات السنين. ولا يزال حتى الآن رغم الإفتراضات الكثيرة. وهو أحد غرائب الطبيعة الذي تتحدث عنها الصحف والمجلات و التليفزيون من وقت الى آخر وتحيطه بهالة من الدهشة والغموض. هذا المثلث

1- الراوي: جابر بن عبداللـه المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 7355 خلاصة حكم المحدث: "صحيح"

هو ذلك الجزء الغامض من المحيط الأطلسي الذي يبتلع بداخله السفن و الطائرات دون أن تترك أي أثر. ولم يستطع أحد حتى الآن أن يفسر بشكل مؤكد سر هذا الإختفاء الغريب.

مثلث برمودا "بالإنجليزية: Bermuda Triangle" "المعروف أيضاً باسم"مثلث الشيطان" هي منطقة جغرافية على شكل مثلث متساوي الأضلاع "نحو 15 كيلومتر في كل ضلع" ومساحته حوالي مليون كم^2. يقع في المحيط الأطلسي بين برمودا. وبورتوريكو. وفورت لودرديل "فلوريدا". ويعتبر شقيق مثلث التنين الذي يقع في اقصى شرق الكرة الأرضية كما سنرى. وتوجد في منطقة برمودا نباتات بارزة تبين وجوده وتوضح أطرافه. وعندما زار كريستوفر كولومبوس هذه المنطقة انخدع فيها وظن أن الشاطئ قد اقترب ولكن دون جدوى. فهذه النباتات تنمو في مناطق كثيرة من البحر وليست مثل النباتات الأخرى التي تنمو بالقرب من الشاطئ. والحديث عن "مثلث برمودا" مثل الحديث عن الحكايات الخرافية والأساطير الإغريقية والقصص الخالية. ولكن يبقى الفارق هنا هو أن مثلث برمودا حقيقة واقعية لمسناها في عصرنا هذا وقرأنا عنها في الصحف والمجلات العربية والعالمية. ويذهب بنا القول بأن مثلث برمودا يعتبر التحدي الأعظم الذي يواجه إنسان هذا القرن والقرون القادمة. وقد أطلق هذا الإسم على هذه المنطقة لأول مرة سنة 1954م. وقد سميت هذه المنطقة بعدة أسماء منها "جزر الشيطان" "مثلث الشيطان".

يقع مثلث برمودا في غرب المحيط الأطلنطي تجاه الجنوب الشرقي لولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية. وبالتحديد أكثر هذه المنطقة تأخذ شكل مثلث يمتد من خليج المكسيك غرباً إلى جزيرة ليورد من الجنوب ثم برموداً "مجموعة من الجزر ... جزيرة صغيرة مأهولة بالسكان يعيش بها زهاء 65 ... نسمة" ثم من خليج المكسيك وجزر باهاما.



اما نقطة الاختفاء في برمودا فهي منطقة معينة تقع شمال غرب المحيط الأطلنطي حيث يقع بحر سارجاس والذي اشتهر بغرابته. حيث يقع في منطقة كبيرة. وتتميز مياهه بوجود نوع معين من حامول البحر يسمى"سارجاسام"حيث يطفو بكميات كبيرة على المياه على هيئة كتل كبيرة تعوق حركة القوارب والسفن.

وكانت بداية ظاهرة الاختفاء في برمودا في عام 1850م. حيث اختفت من هذه المنطقة أو بالقرب منها أكثر من 50 سفينة. استطاع بعض قادتها أن يبعثوا رسائل في لحظات الخطر. وهذه الرسائل كانت مبهمة وغامضة ولم يستطع أحد أن يفهم منها شيئاً. ومعظم هذه السفن المختفية تتبع الولايات المتحدة الأمريكية. أولها السفينة "انسرجنت" التي اختفت وعلى متنها 34 راكباً تلاها اختفاء الغواصة: اسكوربيون"عام 1968م وعلى متنها 99 بحاراً. وقد وصل نشاط الإختفاء إلى سماء المحيط الأطلنطي حيث تفشت ظاهرة اختفاء الطائرات وهي تحلق في سماء الأطلنطي أو لنقل سماء برمودا. وهناك نظرية علمية تفسر ما يحدث في مثلث برمودا تسمى نظرية الجذب المغناطيسي. ذلك أن أجهزة القياس في الطائرات أثناء مرورها فوق مثلث برمودا تضطرب وتتحرك بشكل عشوائي وكذلك في بوصلة السفينة مما يدل على وجود قوة مغناطيسية أو قوة جذب شديدة وغريبة.

اما المنطقة الأخرى المشابهة تماماً لخطر مثلث برمودا فهي مثلث التنين. وتوجد في بحار ومحيطات العالم منطقة أغرب وأخطر من مثلث التنين المنطقة المخيفة الغامضة من المحيط الهادي التي عُرف عنها منذ مئات السنين حدوث حوادث اختفاء للسفن والطائرات المارة بها اختفاءً تاماً بلا أثر إن كثير من الناس قد سمع أو قرأ عن حدوث حالات اختفاء للسفن والطائرات في مثلث برمودا الشهير. لكن قليلاً من الناس من يعرف أن هناك مثلثا آخرا مشابهاً لمثلث برمودا في حدوث حالات اختفاء أيضاً للسفن والطائرات. وهو مثلث التنين ورغم قلة الاهتمام بهذا المثلث وقلة شهرته بالنسبة لمثلث برمودا ... إلا أنه في الحقيقة يعد أخطر وأبشع منه. كما أن خطورته عُرِفَت قبل معرفة الناس بخطورة منطقة مثلث برمودا بسنوات عديدة ... فأين يقع مثلث التنين؟!

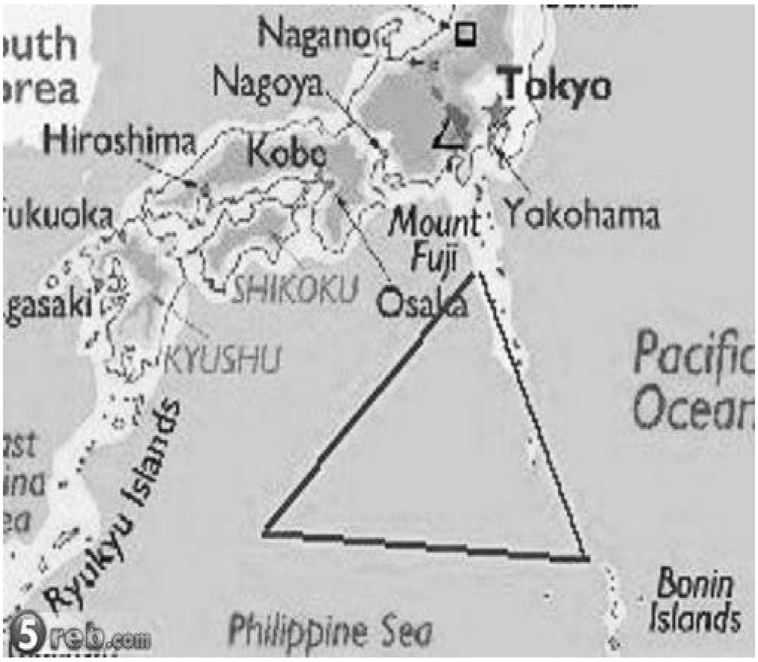
هو منطقة مثلثة الشكل بالفعل تقع بالقرب من الفلبين في الاتجاه الشمالي الشرقي. وأضلاعه الثلاثة تمتد بين هذه المناطق:

أولاً: يمتد الضلع الأكبر بين جزيرة يوكوهاما اليابانية شمالاً وجزيرة جوام الفلبينية جنوباً ماراً بجزيرة أيوجيما.

ثانياً: يمتد الضلع الأصغر بين جزيرة جوام جنوباً ومجموعة جزر ماريانا شمالاً.

ثالثاً: يمتد الضلع الأوسط بين جزر ماريانا جنوباً وجزيرة يوكوهاما شمالاً.

ومن يعرف مثلث برمودا يلاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين موقع مثلث برمودا وموقع مثلث التنين. ويظهر من هذا التشابه أن هناك منطقة اختطاف غامضة في الشرق وأخرى في الغرب ... فكلاهما يعتبر مناظراً للآخر في الموقع. ولكن أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب ... وكلاهما يقع على نفس خط العرض 25 درجة



إن الاختفاء المحير الذي يحدث في مثلث التنين ليس في الحقيقة ظاهرة جديدة على العالم. بل إنه أمر قديم يرجع إلى مايزيد على ألف عام أو أكثر !! ... لذا شاع بين اليابانيين القدامى في تلك الفترة البعيدة من الزمن تسميته ببحر الشيطان ... "ما - نو- يومي" باليابانية. ولا تزال هذه التسمية معروفة حتى يومنا هذا. كما رمزوا لذلك الشر بحيوان التنين. هذا الحيوان الأسطوري المهول الحجم المخيف المنظر ... حيث قالوا إن هناك تنيناً رابضاً تحت المياه في تلك المنطقة

يخرج من وقت لآخر ليخطف القوارب العابرة بالمنطقة ويسحبها إلى جوف المياه ... ومن هنا أطلق على هذه المنطقة المخيفة الغريبة تسمية مثلث التنين.

هذه هي المعلومات العلمية المؤكدة عن هذين المثلثين. وهي عاجزة عن تفسير ما يحدث. ولم يجد الإنسان حلاً سوى اصدار قرار دولي بمنع الملاحة في منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين ... ولاشك ان ابليس واعوانه استراحوا لهذا القرار. ونلاحظ ان كلا المثلثين يطلق عليه اسم يشير الى انه موطن الشيطان. ولكن هل هما فعلاً جناحا مملكة الشيطان؟

ذكرنا الشرح العلمي لظاهرة الإختفاء في هذين المثلثين. وإحتمالات تفسيرها غير المؤكدة والتي منها انهما موطن الشيطان. والواقع ان التفسير الديني يدعم فكرة انهما جناحا مملكة الشيطان. ولديه ايضاُ الأدله على هذا الرأي.

بداية نتذكر احاديث رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم "عن ابليس ومملكته،فعن جابر بن عبد اللـه قال: قال رسول اللـه صلى اللــه عليه وسلم: "إنَّ عرشَ إبليسَ على البحرِ. فيبعثُ سراياهُ فيفتِنونَ النَّاسَ. فأعظمُهم عندَه أعظمُهم فتنةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ ما ترَكتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ "[1]. من خلال الحديث السابق للرسول عليه الصلاة والسلام تتضح لنا حقائق عدة هي:

أولاً: أن عرش "إبليس" على البحر. وذِكر الرسول عليه الصلاة والسلام لكلمة البحر فحسب. تأكيد على أن هذا البحر لا يعدو كونه أحد بحار الأرض.

ثانياً: أن "إبليس" اتخذ من العرش قاعدة لتنطلق منها سراياه لتنفيذ أعمال الشرّ في عالم البشر.

بين لنا الرسول عليه الصلاة والسلام وجود مملكة في البحر ... فقد ذكر لنا أن هناك عرش والعرش حوله سرايا. والعرش والسرايا كانا أهم ما يميز الممالك في العصور الأولى. وكأن الرسول يوضح لنا بذلك وجود مملكة لشياطين الجن بزعامة "إبليس" في البحر. وهذه المملكة قديمة قدم الزمان.ولو بحثنا في بحار الأرض عن الموقع الذي يُشتبه بوجود مملكة شياطين الجن به. لوجدنا أن منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين هما أكثر منطقتين تثيران الشكوك حولهما. نظراً لما تحويانه من شرّ وغموض وأسرار لبني البشر منذ آلاف السنين. وهناك عدة

1- الراوي: جابر بن عبد اللـه المحدث: مسلم المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2813 خلاصة حكم المحدث: صحيح

ادلة على صحة هـذا الـرأي. واول هـذه الأدلـه اختفـاء المركبـات العـابرة والطـائرات والـذي اوضحناه سابقاً. فهناك عدد لا يحصى من المركبات المختفية على مرّ آلاف السنين في منطقتـي مثلث برمودا ومثلث التنـين. وعقـود مـن الـزمن مضـت عـلى الاعـتراف الرسـمي بهـا. ولازال الغموض يكتنف الأمر وعقول البشر في حيرة بل عاجزة تماماً عـن تقـديم أي تفسـير منطقـي لهذه الظاهرة؛ سوى بعض النظريات التي أوردها بعض الباحثين.لكن يبقى إصرار العامة على احتمال وقوف شياطين الجن وراء الاختفاءات في برمودا والتنين هو الاحتمال الأكبر بعد فشـل العلماء والباحثين في تقديم التفسير العلمي المقنـع لهـذه الاختفـاءات. فهـل لشـياطين الجـن علاقة بأمر الإختفاء في منطقتي مثلث برمـودا ومثلـث التنـين؟ لـدى شـياطين الجـن الـدوافع للقيام بإخفاء أو بالأصح باختطاف المركبات العـابرة في منطقتـي برمـودا والتنـين. كـون هـذه المركبات تشكل خطراً عليهم وعلى مملكتهم وذلك بافتضاح سرهـم للـبشر ... وكـما أن لـدى شياطين الجن الدوافع للقيام بذلك. لديهم أيضاً القدرة على القيام باختطاف هـذه المركبـات. والقرآن الكريم يؤكد على ذلك من خلال القصة التي حكاها لنا وحـدثت قبـل آلاف السـنين. تقول القصة:

كان نبي الـلـه "سليمان" عليه السلام أحد ملوك الأرض العظماء. وأعطاه الـلـه من النعم ما لا يُعد ولا يُحصى. من تلك النعم. ان علمه منطق الطير. وسخر له الجن. وجعل الرياح تجري بأمره. وفي ذات يوم أخبر الهدهد "سليمان" عليه السلام بأنه رأى في مملكة سبأ قـوم تملكهـم امرأة لها عرش عظيم ويسجدون للشمس مـن دون الـلــه. فأرسـل "سـليمان" كتابـاً بواسـطة الهدهد لملكة سبأ التي تدعى "بلقيس" جاء فيه: ﴿بسم الـلـه الرحمن الرحيم. ألا تعلوا عـلي وأتوني مسلمين﴾ [1]"29" ووصل كتاب "سليمان" لـ"بلقـيس" ... واطلعـت "بلقـيس" عـلى الكتـاب. وبعد مشاورات مع مستشاريها وبعد أن علمت أن لدى "سليمان" جيشاً عظيماً لا يقدر أحـد عـلى تحديـه يتشـكل مـن الـبشر والجـن والوحـوش والحيوانـات والطيـور. قـررت الـذهاب لـ"سليمان" خشية القتال.وعلم "سليمان" بأن "بلقيس" قادمة إليه بالطريق. فأراد أن يعد لها مفاجأة لعلها تكون لـ"بلقيس" المعجزة التي تثبت لهـا نبوتـه لتكـون مـن المسـلمين. فجلـس "سليمان" في مجلسه المعتاد الذي يبتدئ من أول النهار إلى قريب الزوال. وجمع أتباعه الجن من حوله وقال لهم: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسـلمين﴾ أي مـن يـأتي بعرش الملكة "بلقيس" العظيم الذي حدثنا عنه الهدهد من الـيمن إلى هنـا بالقـدس قبـل أن تصل الملكة "بلقيس" إليّ، فعرض أحد عفاريت الجن الحاضرين قدرته وخدمته قائلاً:

1- النمل

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾"1"39 أي قبل أن ينقضي وقت انتهاء مجلسك هذا الذي كان سينتهي بغضون الساعتين فقط. مختصراً بذلك رحلة تستغرق عدة أشهر. وعرض آخر من مؤمني الجن قدرته وخدمته على "سليمان" قائلاً: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾"2"4.

أي قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته. واستعان "سليمان" بالأخير في إحضار عرش "بلقيس". وأحضر مؤمن الجن العرش كما قال أمام أعين "سليمان" عليه السلام. وبهذا يتضح لنا من خلال هذه القصة التاريخية التي ذكرها القرآن الكريم مدى القدرات الخارقة التي وهبها الخالق سبحانه وتعالى للجن. وأن مسألة اختطاف المركبات العابرة في منطقتي برمودا والتنين ليست بالأمر العسير عليهم. فمن يقدرعلى نقل عرش عظيم من سبأ في اليمن إلى القدس في ظرف زمن خيالي أليس بقادر على اختطاف طائرة بالسماء أو سفينة على البحر أو غواصة تحت الماء ونقلها إلى أي مكانٍ يشاء .لكن السؤال الأكثر أهمية الذي يبحث عن إجابة: ما هو مصير المركبات المختفية؟ هناك احتمالان لمصير المركبات المختفية:

ـ الاحتمال الأول: أن يكون قد تم نقل المركبة المختطفة سواءً طائرة أو سفينة أو غواصة أو غيرها إلى مكانٍ في قاع البحر. حيث أن تضاريس منطقتي برمودا والتنين تتميزان بقاعيهما العميقان جداً. وفي نفس الوقت هذه الأعماق تتشعب بحيث تصنع خنادق على عمق كبير جداً من سطح الأرض ... وقد ذكر أحد الباحثين مصوراً مدى عمق هذه الخنادق البحرية أن جبل "أفرست" الذي يبلغ طوله 29.28 قدماً لو وضعت قاعدته بأحد هذه الخنادق ما ظهر منه إلا جزء قصير لا يتعدى ميلاً واحداً ... فبالتالي يكون هذا المكان مناسباً جداً لدى الجن ـ الذين يملكون القدرة على الغوص في الأعماق كما قال تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾"3"37.

وذلك لإخفاء المركبات المختطفة بعيداً عن العين المجردة للإنسان الذي لا يستطيع الوصول والتوغل أكثر في هذا القاع العميق جداً.

ـ الاحتمال الثاني: أن يكون قد تم التخلص من المركبات المختطفة بشكلٍ نهائي. فطبيعة قاعي منطقتي برمودا والتنين تتميزان بأنهما منطقتين بركانيتين. قد تكون المركبات المختطفة صُهرت بمن فيها وتلاشى بالتالي أي أثر يُذكر لها.

1- النمل

2- النمل

3- ص

ولنستعرض آراء العلماء في العصر الحديث حول الاختفاءات في مثلث برمودا ومثلث التنين:

رأي إيفان ساندرسون:

من خلال دراسة قام بها هذا العالم حول ظاهرة الاختفاء. قدم نظريته والتي تنص على أنه يوجد 12 منطقة في العالم تتميز بظواهر غير طبيعية متشابهة. ويوجد منها خمسة مناطق في النصف الشمالي من الكرة الأرضية. وخمسة مناطق في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية. أما المنطقتان الأخرتان فإحداهما عند القطب الشمالي والأخرى عند القطب الجنوبي ومعظم هذه المناطق توجد في صورة مزدوجة في شرق القارات وغربها. حيث تصطدم تيارات المحيط الدافئة المتجهة إلى الشمال بالتيارات البادرة المتجهة إلى الجنوب. إلى جانب حدوث هذا التصادم عند هذه المناطق. تمثل هذه المناطق في نفس الوقت نقاطاً محددة. حيث تبدأ عندها تيارات المحيط السطحية في الدوران إلى اتجاه آخر بينما تبدأ التيارات التي تسير تحت سطح الماء في الدوران إلى الاتجاه المعاكس. مما يتسبب في حدوث دوامات مغناطيسية تؤثر على الاتصال اللاسلكي والقوة المغناطيسية في طرد الطائرات أو السفن العابرة في هذه المنطقة. حيث تطير ـ أو تبحر ـ إلى منطقة مجهولة خارج عالمنا أو بمعنى آخر خارج حدود المكان الذي نعيش فيه! ...

رأي جون سبنسر:

يرى "جون سبنسر" ـ الخبير في علوم الفضاء ـ الذي قام بدراسة ظاهرة الاختفاء في مثلث برمودا لعدة سنوات. أن التفسير الوحيد والمعقول لاختفاء الطائرات والسفن على هذا النحو وبكامل طاقمها. هو أن هناك قوة معينة قد حُمِلَت إليها هذه السفن والطائرات أثناء سفرها ... ويرى "سبنسر" أن اختفاء بعض هذه السفن والطائرات الضخمة وفي ظروف مناخية جيدة. لا يمكن أن يحدث طبقاً لقوانين الأرض. فلا بد أن قوى أخرى خارجية قد أخذتها إليها وسارت بها بعيداً عن كوكب الأرض،ولو لاحظنا نظريتي "إيفان ساندرسون" و"جون سبنسر" سنجد أنهما تشيران بشكل غير مباشر إلى وقوف عالم آخر وراء مسلسل الاختفاءات في منطقتي برمودا والتنين والاختفاءات التي وثقتها لنا السجلات الرسمية أعطت لنا حدوث ثلاث حالات من الاختفاء هي:

1- اختفاء بلا أثر للطائرات والغواصات وبعض السفن والقوارب بمن عليها.

2- اختفاء بعض السفن والقوارب فترة زمنية. ثم العثور عليها لكن دون طاقمها.

3- اختفاء لأطقم بعض السفن والقوارب.مع بقاءها في حالة جيدة دون تلف أو سرقة لها أو لحمولتها. ويتضح لنا من ذلك أن الإنسان هو المستهدف في هذه الاختفاءات. فهو حلقة الوصل في جميع حوادث الاختفاء. وشواهد عدة تؤكد ذلك. منها ما حدث للسفينة "ماري سيلستي" التي وجدت عائمة في عرض البحر لكن دون بحارتها. مع بقاء الأشياء الشخصية الثمينة من نقود وغيرها للبحارة وأيضاً بقاء شحنة الكحول التي تحملها السفينة سليمة كما هي والمحير للأمر وجود مئونة من طعام وماء بقدرٍ كاف طوال الرحلة المقررة للسفينة.والغريب أيضاً في حالات الاختفاءات في برمودا والتنين هو أنه كثيراً ما صاحب تلك الاختفاءات مشاهدات وحوادث غريبة وغامضة مثل مشاهدة أضواء غريبة فوق المياه تظل من المساء حتى الصباح. وكذلك حدوث كثافة من الظلام الشديد تبقى راكدة فوق المياه لفترة قصيرة ثم تختفي تماماً. وأيضاً حالة البحر الذي يضطرب على نحو مفاجئ هذه شواهد تؤكد وقوف قوى خارقة نتصور انها تتمثل في شياطين الجن الذين لهم الدوافع لفعل ذلك من أجل حماية مملكتهم في منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين من البشر الذين دخلوا معهم في صراع منذ التقائهم في السماء وهناك دليل آخر هو ثعابين الماء. فكما ذكرنا سابقاً في قصة خروج "آدم" و"حواء" كيف أن الحية قدمت المساعدة لـ"إبليس" في دخول الجنة والوسوسة لآدم وحواء لكي يأكلا من الشجرة. وكيف أن الرب عاقبها مع "إبليس" بالطرد من السماء للأرض ... ويأتي السؤال: هل الحية ما زالت تقدم المساعدة لـ"إبليس" على الأرض مثلما قدمتها له في السماء؟ هناك دليل من الأحاديث النبوية يشير إلى أن هناك علاقة ما مازالت بين "إبليس" والحية بعد الهبوط للأرض ... حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ: " مَا تَرَى؟ "، قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، أَوْ قَالَ عَلَى الْبَحْرِ، حَوْلَهُ حَيَّاتٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "ذَاكَ عَرْشُ إِبْلِيس" [1].

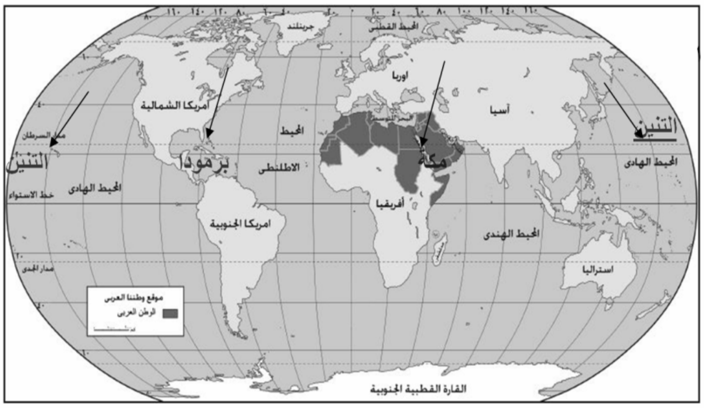
وهذا الدليل يؤكد أن هذه العلاقة قويةً جداً. فالحيات مقربة من العرش ولا يكون أحداً مقرباً من العرش إلا إذا كانت له مكانةً خاصةً عند صاحب العرش وهناك معلومةٌ علمية تشير إلى وجود علاقة غريبة وغامضة للحيات بمنطقة مثلث برمودا. علاقة لم يجد العلماء لها أي تفسير. وهي أمر تلك الثعابين التي تهاجر من أوروبا وأمريكا. فمنطقة بحر سارجاسو في منطقة برمودا تعتبر مركزاً لبيض الثعابين. حيث تهاجر ثعابين البحر من الدول الأوروبية عبر البحار

1- الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الترمذي - الصفحة أو الرقم: 2247
خلاصة حكم المحدث: صحيح

والبحيرات الى ان تصل الى بحر سارجاسو حيث تستقر لوضع البيض. ثم تموت الثعابين الكبيرة ويبدأ البيض في الفقس فتهاجر الثعابين الصغيرة الى موطنها الأصلي. وفي الطريق تقابل ثعابين البحر الأمريكية التي تنهج نفس المنهج وتستغرق هذه المدة قرابة العامين. والغريب في ذلك هو قيام الثعابين برحلة طويلة من أوروبا وأمريكا لكي تضع بيضها في قاع بحر لا يختلف عن قاع أي بحر آخر. فما هو السرّ الذي يدفع الثعابين لفعل ذلك؟! ربما تأتي هذه الثعابين لموطنها الأصلي الذي سكنته الحية الأم التي ساعدت "إبليس" في السماء. والتي قربها "إبليس" إليه لتكون معه في مملكته جزاء ما قدمته له في السماء من مساعدة. وربما يقوم "إبليس" باستغلال هذه الثعابين لتكون وسيلة نقل لجنوده شياطين الجن إلى عالم البشر. مثلما أدخلته الحية الأم إلى الجنة هذه الأدلة كلها تؤكد ان هذين المثلثين هما جناحا مملكة إبليس. ولكن لماذا أختار ابليس هذين المثلثين؟ في إختياره لهاتين المنطقتين، راعى مايلى:

- أولاً: أمنه هو وأعوانه في وقتها وفي المستقبل، فقد كانت هاتان المنطقتان ملاصقتين ليابستين كان إبليس يعلم ان الإنسان سيصلها ذات يوم فيستطيع إفزاعهم بل وإيذائهم إن حاولوا بعلمهم فضح أمر وجوده.

- ثانياً: أسباب إختيار هاتين المنطقتين فهو انهما تحيطان بمكة – البلد الحرام وموطن الحجاج من الشرق والغرب، وقد أثبت العلم الحديث أن مثلث برمودا ومثلث التنين ومكة يقعون على خط عرض واحد وهو خط 25، بل إنهما على مسافة واحدة من مكة، فلو نظرنا إلى مكة المكرمة نجد موقعها يكون على خط طول أربعين درجة شرقاً بالنسبة لخط جرينتش الذي أُقتُرِحَ عام 1884م والذي يمر بقرية جرينتش قرب لندن، فلو افترضنا أن هذا الخط الذي تقع عليه مكة المكرمة هو خط المركز بين الشرق والغرب ليمثل خط الصفر وأخذنا مائة وعشرة خطوط طول في كل من شرق وغرب موقع مكة المكرمة لنجد أنه في حالة الإضافة لخط طول أربعين درجة من جهة شرق مكة فإنه يمثل خط طول مائة وخمسين درجة بالنسبة لخط جرينتش "110 +40=150 جهة الشرق" وهذا الخط يمر بشرق كل من أستراليا واليابان وروسيا وسائر الجزر التي تتواجد قرب هذا الخط، وهو الخط الذي عليه موقع مثلث التنين، أما في حالة الإضافة لخط طول أربعين درجة من جهة غرب مكة فإنه يمثل خط طول سبعين درجة بالنسبة لخط جرينتش "110 - 40 =70 جهة الغرب" وهذا الخط يمر في بلدان الأرجنتين وتشيلي وباقي الدول الواقعة غرب أمريكا الجنوبية وشرق كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ومختلف الجزر التي تقع قرب هذا الخط الوهمي، وهو الخط الوهمي الذي يقع علية مثلث برمودا

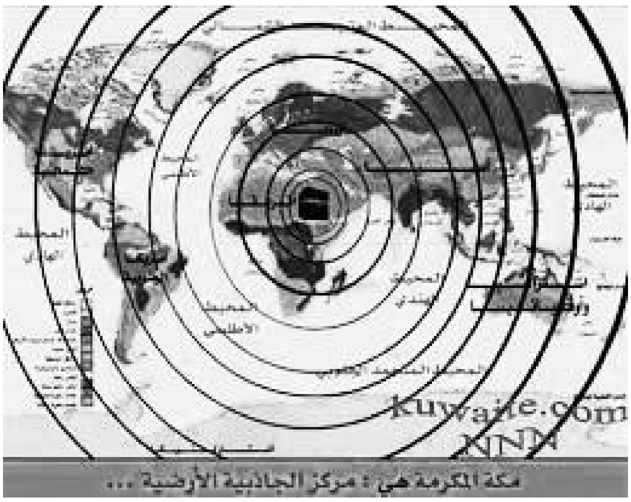


-ثالثًا: لإختيـارهما، فكـونهما مناسـبتين لطبيعـة حياتـه هـو واعوانـه مـن حيـث الظـروف المُناخية والكونية، كما انهما تمثلان موقعـاً اسـتراتيجياً مناسـباً لحربـه مـع الإنسـان فتشـكلان وضعاً يهدد أمن الإنسان مستقبلاً، فيفزعه فيصرفه عن عبادة اللـه ... وهـو الهـدف الوحيـد من خلق الإنسان. هناك سبب آخر لإختيار إبليس لهذين الموقعين. فقد اكـد العلـم الحـديث حقيقــة هامــة بالنســبة لمكــة.فحــين نــتكلم عــن الجغرافيــة وعلــم المســاحة والخــرائط نجدانهاتطورت تطوراً كبيراً بعد إختراع الاقمار الصناعية وسفن الفضاء. وهي التي قامـت ولا تزال بتصوير وجه الكرة الأرضية من أبعاد واتجاهات مختلفـة وظهـرت حقـائق علميـة عديدة لم تكن معلومـة للإنسـان عـن مسـاحات ومسـافات وتضـاريس لقـارات وبحـار وجزر ومحيطات وتوضع على الخرائط الجغرافية خطـوط ودوائـر. أمـا الخطـوط فهـي خطوط الطول وهي عبارة عن خطـوط يتصـورها العلـماء عـلى سـطح الكـرة الأرضـية. وتصل فيما بين القطبين. وخط الطول الأساسي فيها يأخذ رقم الصـفر. وهـو الخـط المـار بضاحية غرينتش بالقرب مـن لنـدن. وخطـوط الطـول هـذه هـو 3 خطـا نصـفها شرق



جرينتش. والنصف الآخر غربه. تساعد هذه الخطوط على تحديد المكان على سطح الكرة الأرضية. وأما الدوائر فهي دوائر يتصورها العلماء على وجه الأرض ومنها دائرة أو خط الاستواء. وتقع في منتصف المسافة بين القطبين ودرجتها الصفر. ثم توجد دوائر موازية لخط الاستواء هذا عند 90 درجة شماله وكذلك 90 جنوبه. والمسافة بين دوائر العرض واحدة تقريبا على خرائط العالم. أما فائدتها فهي معرفة بُعد الموقع بالدرجات عن خط الاستواء شمالا أو جنوبا وحديثاً استطاع العلماء أن يتحققوا من وسطية مكة المكرمة بالصور الحقيقية التي يصورها القمر الصناعي للكرة الأرضية مبتعدا عن سطحها بما لا يقل عن مائة كيلومتر في الفضاء وهو البعد الذي تستطيع أجهزة التصوير بالقمر الصناعي أن تلتقط صورا للكرة الأرضية مشتملة على القطبين. وباستعمال أجهزة التكبير في فحص هذه الصور الحقيقية تتضح وسطية مكة بين أقصى يابسة في القطب الشمالي وأقصى يابسة في القطب الجنوبي.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي. قام أحد العلماء الأمريكان والمتخصصين في علم الطبوغرافيا بإجراء بحوث استنتج منها أن مكة المكرمة هي المركز المغناطيسي للكرة الأرضية. وقد قامت بحوث هذا العالم على أساس ظاهرة كونية موجودة منذ خلق الكون. وهي ظاهرة التجاذب في ما بين الأجرام السماوية "التجاذب المتبادل فيما بينها" وتصدر فاعلية هذا التجاذب من مراكز هذه الأجرام أي الكواكب والنجوم. والكرة الأرضية شأنها شأن أي كوكب آخر. تصدر قوة جذبها للأشياء من مركزها في باطنها. وهي النقطة أو المركز الذي درسه ذلك العالم الأمريكي وتحقق من وجوده وموقعه والمكان الذي يدل عليه على سطح الأرض. وإذا به يجد أن موقع مكة هو الموقع الذي تتلاقى فيه الإشعاعات الكونية



وبعد ذلك نشرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر بتاريخ 1977/2/4م. نبأ العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين الذي كان يعمل آنذاك رئيسا لقسم المساحة التصويرية بجامعة الرياض في السعودية. تذكر فيه أنه توصل لنفس النتيجة التي توصل إليها العالم الأمريكي. وهي أن مكة مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي بالكرة الأرضية. وقد ذُكر هذا البحث بالتفصيل في مجلة العربي الكويتية[1] ومن هنا يتضح ان ابليس اختار موقع مملكته على خط واحد مع مكة ليستفيد من كونها مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي بالكرة الأرضية في تزويده بالقوة المغناطيسية اللازمة لدفاعه عن مملكته امام التعدي المتوقع من بني البشر على مملكته مستقبلاً. وهي ظاهرة الجذب المغناطيسي التي تحدث عنها العلماء في محاولتهم تفسير الإختفاء المريب للسفن والطائرات.

ونعود للسبب المُناخي لإختيار إبليس هذين الموقعين المتشابهين بدرجة كبيرة. أكد لنا الرسول عليه الصلاة والسلام. طبيعة شياطين الجن وأماكن تواجدهم. وذلك في نهيه عليه الصلاة والسلام عن الجلوس ما بين الظل والشمس. فقد نهَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يقعُدَ الرجُلُ بينَ الظِّلِّ والشمسِ وقالَ: إنه مَقْعَدُ الشيطانِ[2] نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس[3]. كون هذا المكان يمثل مجلس شياطين الجن.

وتتميز مياه منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين بخاصية التقاء التيارات الباردة القادمة من جهة الشمال بالتيارات الدافئة القادمة من جهة الجنوب ... فهل حرص "إبليس" على وجود هذه الخاصية في المكان الذي سيتخذه موقعاً لمملكة شياطين الجن قبل أن يقع اختياره على منطقتي برمودا والتنين. أم أن الأمر جاء مصادفة في كلتا المنطقتين؟ لم يكن الأمر مصادفة. بل كانت هذه الخاصية إحدى أهم الأسباب في اختيار "إبليس" لمنطقتي برمودا والتنين موقعاً لمملكة شياطين الجن ... فالنقطة التي يحدث بها تصادم بين البارد والدافئ تعني أمراً هاماً في طبيعة حياة شياطين الجن. فهي تعني المكان الذي يتمركزون فيه. الذي ربما يوفر لهم الطاقة اللازمة للحياة. وبذلك نجد تشابه بين صفتي إلتقاء التيارات الباردة بالدافئة والظل والشمس.

1- كتاب المنظارالهندسي للقرآن الكريم لمؤلفه د. خالد فائق العبيدي.

2- الراوي: جابر بن عبد الله المحدث: ابن حجرالعسقلاني - المصدر: لسان الميزان - الصفحة أوالرقم: 555/4

3- الراوي: أبوهريرة وبريدة بن الحصيب الأسلمي المحدث: السيوطي - المصدر: الجامع الصغير– الصفحة أو الرقم 9525 - خلاصة حكم المحدث: صحيح

❖ بعد الهزيمة اختار إبليس أن يستخدم سلاح الوسوسة ليحقق هدفه من البشر. ووضع جلَّ أهدافه في ذرية آدم التي رآها تضعف أمام الأهواء. ولكن هل كان سيعمل وحده على إغواء كل البشر؟ منحه الله ابناً قريناً لكل مولود من البشر كما أخبرنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم". فقد قال: ما منكم مِن أحَدٍ إلَّا وقد وُكِّل به قرينُه مِن الجنِّ" قالوا: وإيَّاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: "وإيَّاي إلَّا أنَّ اللهَ قد أعانَني عليه فأسلَم فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ[1] فتزوج لينجب الأبناء المطلوبين. ولكن ماذا سيفعل بفلول المردة والغيلان والعفاريت الباقية بعد هزيمته امام البشر؟ هم غير مدربين على فن إغواء البشر. لذلك كلفهم بمهام تناسب طبيعتهم وقدراتهم. كلفهم بالتعرض للبشر وإفزاعهم ومحاولة تحريم بعض مناطق الحياة عليهم بدعوى ان المردة والغيلان والعفاريت تسكنها. وهو وهم بالطبع. ولكنهم نجحوا بدليل ظهور مسمياتهم في تاريخ الإنسان ... وأتصور أنهم ظلوا يمارسون هذا الدور حتى تحضر الإنسان وقل الظلام الذي يستغلونه دائماً لمخايلة الإنسان. ولكنني اكاد أجزم ان دورهم هذا انتهى بنزول الإسلام. كما حُرم على شياطين الجن التسمع لأخبار السماء بنزول الإسلام.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا"8" وأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾"9"[2].

ولم يعد امامه من مساعدين إلا شياطين الجن فدربهم قرون على فن الإغواء الذين هم مجبولين عليه. والذي خُلق ابليس وهو يتقنه. فعلمهم إياه ليبدأوا عملهم. والمتوقع ان تكون الحيات من هذه الشياطين. فكما عرضنا سابقاً ربطت أغلب المعاجم اللغوية بين لفظ شيطان ولفظ حية. مما يشير الى ان لها دور في إيذاء البشر. فقد غضب عليها الله وطردها من الجنة ومسخها بلا قوائم بسبب آدم ودورها في إغوائه. فيجب ان تكرهه مثل ابليس. وتشارك في الإنتقام منه. اياً كان التصور فقد استعد إبليس بجدية هو واعوانه لحربهم مع البشر ولكن بأسلوب مختلف هذه المرة. فبدأ شرّهم يظهر للوجود وبلا حدود.

1- الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: ابن حبان المصدر: صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: 6417.

2- الجن

الجريمة الأولى:

وقدم ابليس الدرس العملي على فن الإغواء. وكانت البداية مع "قابيل" أحد ابناء آدم. الذي قتل اخاه كما قص علينا القرآن.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"27" لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ"28" إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ"29" فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"30"﴾[1].

واخبرنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" تفاصيل هذه الجريمة،فعنِ ابنِ عبَّاسٍ وعن ابن مسعودٍ. وعن ناسٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ انه قال أنَّهُ كانَ لا يولَدُ لآدَمَ مولودٌ إلا وُلِدَ معهُ جارِيةٌ. فكان يُزَوِّجُ غلامُ هذا البَطنِ جاريةَ هذا البَطنِ الآخَرِ. ويزوِّجُ جاريةُ هذَا البَطنِ غلامَ هذا البَطنِ الآخَرِ. حتَّى وُلِدَ له ابنَانِ يقال لهما: قابيلُ وهابيلُ. وكان قابيلُ صاحبَ زَرعٍ. وكانَ هابيلُ صاحبَ ضَرعٍ ... فلمَّا قَرَّبا قرَّبَ هابيلُ جَذَعةً سمينَةً، وقرَّبَ قابيلُ حِزمَةُ سُنبُلٍ ... فنزَلتِ النَّارُ فأكلت قُربانَ هابيلَ، وترَكَت قُربانَ قابيلَ، فغضِبَ وقال: لأَقتُلَنَّكَ. فقال هابيلُ: إنما يتقبَّلُ اللهُ منَ المتَّقينَ[2].

وواضح من صيغة الحديث في "حتى ولد له" ان قابيل وهابيل لم يكونا من ابناء الأجيال الأولى من سلالة آدم المباشرة. بل المتوقع انهما من الأجيال البعيدة. بعد مهلاييل والتي بدأت تهتز في إيمانها وإلتزامها الديني بعد ان زاد عددها واتسع إنتشارها بعيداً عن آدم. كان قابيل وهابيل يعيشان في ارض بابل بالعراق والقريبة من "الأُبُله" موضع نزول ابليس من السماء – كما سبق وذكرنا -. فوسوس إبليس لقابيل قتل أخيه "هابيل" فحدث ما حدث من القتل. كانت هذه اول جريمة قتل يرتكبها البشر. والملاحظ أنها كانت بين أخوين. وهذه الجريمة التي بكى آدم حين عرف بها. كانت اول تهديد من فعل البشر للأمن الذي يعيشه آدم وذريته منذ نزل الأرض. وكان بوسوسة الشيطان. فأصبح الأمان الذي ينشده الإنسان هو الأمن أولاً من الأخطار التي يمكن مواجهتها والحماية منها وأهمها اعتداء الإنسان علي أخيه الإنسان طمعاً فيما بين يديه من خيرات وحسداً علي النعمة التي

1- المائدة

2- المحدث: الألباني- المصدر: بداية السول - الصفحة أو الرقم: 71 خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد رجاله ثقات رجال مسلم

أنعم الـلـه بها عليه ... هذا بخلاف الأخطار التي لا حيلة للإنسان في مواجهتها إلا قلـيلاً. مثـل الكوارث الطبيعية والحيوانات المتوحشة.

الإيمان هو سبيل الأمان:

وقد تفنن الإنسان في ابتكار أساليب الأمان من أطماع أخيه الإنسان وحسـده لـه منـذ قتـل قابيل أخاه هابيل. وهذه الواقعة علمـت الإنسـان الحـذر مـن أخيـه الإنسـان، فاحتـاط منـه واستعد لغدره بالسلاح والحراسة المستديمة، ثم طور فكره عبر الزمن فأصبح يسـعي لمحاولـة استكشاف أفكاره وخططه ونواياه قبل أن يشرع في تنفيـذها، لـكي يسـتعد لمواجهتهـا. وهـذا الأسلوب لم يتطور وينتشر – كما تقول كتب المخابرات – إلا منـذ قـرون معـدودة، وإن كـان أصبح الأسلوب السائد اليوم ليس بـين الأعـداء فقـط، ولكنـه تطـور في القـرن العشريـن. لـكي يصبح بـين الأصـدقاء أيضـاً، فالتجـارب أثبتـت أن صـديق اليـوم، ربمـا صـار عـدواً في الغـد ... فلنحتاط منه.

وقد نصحنا رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسلم" بالإحتياط من هـذه الحقيقـة منـذ أكـثر من الف واربعمائة عام حين قال: أَحْبِـبْ حَبيبَـكَ هَوْنًـا مَّـا عسَى أن يكـونَ بغيضَـكَ يومًـا مَّـا وأبغِضْ بغيضَكَ هَوْنًا مَّا عسى أنْ يكونَ حبيبَكَ يومًا مَّا[1].

حكمة امنية إحترازية رائعة لاتصدر إلا ممن لا ينطق عن الهوى. الموحى إليه أما الكوارث الطبيعية وهجوم الحيوانات المتوحشة، فكان الإنسان ولا يـزال إلي حـد كبـير – قليـل الحيلـة أمامها – خاصة الكوارث الطبيعية، فكانت الكهوف في الجبال إحدى وسائل الاحتماء، ثم كـان اكتشاف النار التي أضاءت الليل المظلم من ناحية وأرهبـت الحيوانـات المفترسـة مـن ناحيـة أخري ... ثم أدرك الإنسان بالتجارب وبالفطرة الإيمانية أن هذه الأخطار سببها غضب الـلــه - أو الآلهة كما تصوروا أحياناً - علي البشر العصاة، ثم تأكد أن نجاته منها سـبيلها الوحيـد هـو إرضاء الـلـه الواحد القهار ... فقط.

1- الراوي: علي بن أبي طالب المحدث: ابن جرير الطبري - المصدر: مسـند عـلي - الصـفحة أو الـرقم 283 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

﴿وَعَدَ اللـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّـذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُـدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾"1"55.

ثم يعود فينسي أو ينسيه الشيطان هذه الحقيقة.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَـانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾"2"22.

فيتعرض لإنذار شديد من اللـه، لعلة يرتدع.

﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُـلُّ قَرِيبـاً مِّـن دَارِهِـمْ حَتَّـى يَـأْتِيَ وَعْـدُ اللـهِ إِنَّ اللـهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾"3"31

ويتذكر عهده مع اللـه حين كان ذرة في ظهر آدم عليه السلام.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾"4"172.

آدم يتدخل:

ولاشك ان باقي ابناء آدم قد اضطربوا بشدة مما حدث من قابيل تجاه اخيه هابيل. فكيف يقتل الأخ أخاه ولماذا؟ وقد ذكرت المراجع ان آدم قد بكى عندما علم بما حدث. ولعله ادرك ان ابليس بدأ مهمته مع البشر. ولعل ابليس واصل مهامه مع باقي ابناء آدم لكي ينقسموا بين مؤيد ومعارض لما فعله قابيل. فالمراجع لا تذكر لنا ماذا حدث لقابيل بعد ان دفن اخيه. ولكن لاشك انه انعزل بعيداً نادماً على ما فعل. ولعل بعض اخوته انضموا له وبدأ الإضطراب يسود احوال البشر واهتز الإيمان قليلاً. ولاشك ان آدم تحرك من مكة الى موقع الجريمة في بابل ليسيطر على الموقف سريعاً. وأُذَكِّر ان آدم كان يبلغ ستون ذراعاً طولاً أي انه كان من السهل عليه ان يتحرك مسافات طويلة في زمن قليل كما

1- النور

2- إبراهيم

3- الرعد

4- الأعراف

تحرك من الهند حين نزوله للأرض ووصل مكة سريعاً. ولاشك ان ابنـاءه كـانوا مقـاربين لـه في الحجم فسهل عليهم هم ايضاً التحرك والترحـال. فقـد قـال رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسلم" خلق اللـهُ آدمَ على صورتِه. طولُه ستونَ ذراعًا. فكلُّ من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ. فلم يزلْ الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآنَ[1].

وربما حمل معه لأبنـاءه الكتـب الخمسـين التـي نزلـت عـلى ابنـه شـيت لـيردهم لجـادة الصواب والى عبادة اللـه بتقوى وورع: روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قـال: قلـتُ: يـا رسولَ اللـهِ ! كَم كتابٌ أنزلَهُ اللـهُ تعالى؟ قال: مائةُ كتـابٍ وأربعـةُ كتُـبٍ، أنـزلَ عـلَى شـيثَ خَمسونَ صحيفَةً، وأنزلَ علَى خَنوخَ ثلاثونَ صَحيفةً، وأنزلَ على إبراهيمَ عشرَ صحائفَ، وأنـزلَ على موسَى قبلَ التَّوراةِ عَشرَ صحائفَ، وأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والفُرقانَ[2].

فهدأت الناس واستقرت احوالها مرة اخرى وعـادوا للحيـاة في أمـان. ولكـن يبـدو ان الشر متأصل في الإنسان. فمن العجائب ان يُخَلِّد الناس اسم قابيل حتى يومنا هذا ويهجـرون اسـم هابيل. بعد موت آدم ومن بعده شيت ومهلاييل، نشط ابليس واعوانه بقـوة فأنقلـب النـاس على اعقابهم تدريجياً وضلوا سواء السـبيل واسـتجابوا لوسوسـة الشـياطين والمتأمـل يجـد ان البشر في هذه المرحلة كان لهم شئ من العذر في التأثر بوسوسة الشياطين. فقد انتشى ابلـيس بنجاحه الأولي مع البشر بغواية قابيل ثم إنتشار الضلال تـدريجيا. رغـم ان هـذا الـزمن كـان مواكباً لعهد آدم. والأفكار الراسخة. تحتاج لزمن طويل حتى تفتر وتتحـول. ولكـن التحـول في هذه الحالة كان سريعا نسبياً. ربما لضعف استعداد البشر لمواجهة ابليس واساليبه الشيطانية. وكذلك عدم تفهمهم الكامل لفكرة الوسواس الخناس الخفي غير المرئي وتأثيرها عليهم. يقـول المولى عز وجل:

﴿يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْـزِعُ عَـنْهُمَا لِبَاسَـهُمَا لِـيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَـرَاكُمْ هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِـنْ حَيْـثُ لَا تَـرَوْنَهُمْ إِنَّـا جَعَلْنَـا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَـاءَ لِلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ "27"[3].

1- الراوي: أبوهريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أوالـرقم: 6227 خلاصـة حكـم المحدث: صحيح

2- الراوي: أبوذرالغفاري المحدث: ابن كثير - المصدر: إرشاد الفقيه – الصفحة أو الرقم: 2336/2

3- الأعراف

وبعد انتصار البشر في حربهم مع ابليس. ربما ظنوا انه انتهى واصبح عاجزاً او ربما هلك. ولذلك فإن مايتولد في ذهنهم من افكار هي قناعاتهم الشخصية. فتمسكوا بها واختلفوا فيما بينهم. فلم ينبههم احد لأساليب الشيطان وطرقه في الغواية فوقعوا فيها ...

ولقد عبر الشاعر الصوفي المعاصر عبد الفتاح مصطفى – رحمه اللـه – مشكلة الإنسان الأزلية هذه حين قال.

عانق الشيطان في صدري الملاك وتحيرت بهذا و بذاك

ولكن من أفضال الإسلام على البشر انه نبهنا لأفاعيل الشياطين وحقيقتها.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ "53"[1].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ "5"[2]

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللـهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللـهُ آيَاتِهِ وَاللـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ "52"[3].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللـهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ "76"[4].

وجزاء من يتبعهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ "25"[5].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ "90" وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ "91" وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ "92" مِن دُونِ اللـهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ "93" فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ "94" وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ "95" قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ "96" تَاللـهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ "97"[6].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ "83"[7].

1- الإسراء

2 - الملك

3- الحج

4- النساء

5- محمد

6- الشعراء

7- مريم

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ"15" فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ"16" ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ"17" وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ"18" فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"19" وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ"20" وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ"21" قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللـهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[1]"22".

بل وموقف الشيطان نفسه يوم القيامه ممن اتبعوه.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]"32".

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[3]"16".

والى أي حد يغفر اللـه للإنسان التائب وينحاز له ضد الشيطان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[4]"102".

وكيف يوجه اللـه والإنسان الصفعات لأبليس بالتمسك بأهداب الدين. بل وعلمنا الإسلام الكثير من طرق مقاومة الشيطان والتغلب عليه لنهنأ بالأمن في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللـهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5]"2".

اوضح كل هذا لنا في القرآن والأحاديث النبوية والقدسية. ولنتذكر بعض ماجاء عن هذه الأمور في ديننا الحنيف ليكون جُنّة لنا ان شاء اللـه.

1- سبأ

2- إبراهيم

3- الحشر

4- الأعراف

5- الأعراف

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ "1"5".

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ "2"64".

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ "3"41".

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ "4"25".

﴿وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ﴾ "5"128".

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ "6"112".

وفي الأحاديث النبوية:

حدثنا عدي بن أبي عمارة. حدثنا زياد النميري. عن أنس قال: قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: إن الشيطانَ واضعٌ خطمَه على قلبِ ابنِ آدمَ فإنْ ذكرَ اللـهَ خنسَ وإنْ نسيَ التقمَ قلبَه فذلك الوَسواسُ الخنَّاسُ[7].

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير. حدثنا الليث. عن عقيل. عن ابن شهاب قال:أخبرني عروة قال: قال أبو هريرة قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقولُ: مَن خلَق كذا، مَن خلَق كذا، حتى يقولَ: مَن خلَق ربَّك؟ فإذا بلَغه فلْيَستَعِذْ باللـهِ ولْيَنتَهِ[8].

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللـه من الشيطان الرجيم "98" إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون "99" إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون "100"﴾ [9].

1- يوسف

2- الإسراء

3- ص

4- محمد

5- الأنعام

6- الأنعام

7 - الراوي: أنس بن مالك المحدث: الدمياطي المصدر: المتجر الرابح الصفحة أو الرقم: 205

8 - الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 3276

9- النحل

وروى الإمام أحمد . وأهل السنن من حديث أبي المتوكل. عن أبي سعيد قال: كان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول: أعوذ باللـه السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه. ونفخه. ونفثه. وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم. وعبد اللـه بن مسعود . وأبي أسامة الباهلي. وتفسيره في الحديث: فهمزه الموتة. وهو الخنق الذي هو الصرع. ونفخه الكبر. ونفثه الشعر. وثبت في الصحيحين. عن أنس: أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم كان إذا دخل الخلاء قال: أعوذ باللـه من الخبث والخبائث. قال كثير من العلماء: استعاذ من ذكران الشياطين وإناثهم. وقال البخاري : حدثنا محمد. حدثنا عبدة. حدثنا محمد. عن هشام بن عروة . عن أبيه. عن ابن عمر قال: قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز. وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب. ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها. فإنها تطلع بين قرني الشيطان أو الشياطين "لا أدري أي ذلك".

ويقول أبو هريرة سمعتُ رسولَ اللـهِ صلَّى اللـهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: "ما من بني آدمَ مولودٌ إلا يمسُّهُ الشيطانُ حين يُولَدُ. فيستهِلُّ صارخًا من مسِّ الشيطانِ. غيرَ مريمَ وابنها". ثم يقولُ أبو هريرةَ:

"وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[1].

وفي الحديث القدسي الصفعة القاتلة لأبليس:

قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: "إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الأرواح فيهم. فقال اللـه: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني

لعلنا ندرك ماكان لأجدادنا من عذر في الإستجابة احياناً لإغواء الشياطين. ولقد تردت الأحوال وزاد ابليس وجنده الشياطين من نشاطهم وحققوا نتائج باهرة – حتى في حياة آدم - لذلك رأى اللـه ان الوضع يستلزم بدء إرسال الأنبياء والرسل.

ورد في القرآن الكريم ذكر خمس وعشرون نبياً ورسولاً. اولهم آدم – عليه السلام - ولكن اللـه عز وجل أخبر رسوله الكريم، أن هناك أنبياء ورسل لم يذكرهم القرآن.

1- المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أوالرقم: 3431

﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيما﴾ "164"[1].

اما عدد هؤلاء الأنبياء والرسل أجمعين فقد ورد في الحديث الشريف. فقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! كم الأنبياءُ؟ قال: مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعِشرونَ ألفًا. قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! كم الرُّسلِ؟ قالَ: ثلاثُمائةٍ وثلاثَةُ عشرَ جَمًّا غفيرًا. قلتُ: كثيرٌ طيِّبٌ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! مَن كان أوَّلُهمْ؟ قال: آدَمُ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! أنَبيٌّ مُرسَلٌ؟ قال: نعَم، خلقَهُ اللهُ بيدِهِ، ونفخَ فيهِ مِن روحِهِ، ثُمَّ سوَّاهُ قِبَلًا"[2].وأما الكتب المنزلة عليهم فمائة وأربعة كتب منها خمسون أنزلت على شيث – ابن سيدنا آدم الذي حمل رسالته من بعده. قبل إدريس ولكن القرآن الكريم لم يُعده بين الأنبياء - وثلاثون على إدريس. وعشرة على إبراهيم. وعشرة على موسى قبل التوراة. وأنزل التوراة على موسى. والزبور على داود. والإنجيل على عيسى. والقرءان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

عدد الأنبياء والرسل ضخم بالتأكيد. ولكن لا عجب. إذا عرفنا من القرآن أنه ما من أمة علي وجه الأرض – قبل الإسلام – إلا وأرسل لها نبي أو رسول و أكثر علي مدار التاريخ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ"13" إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ "14"[3].

وإلا كيف يعذبها الله بذنوبها؟ ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ "15"[4].

إدريس أول الأنبياء:

اول هؤلاء الأنبياء والرسل- بعد آدم - هو سيدنا إدريس – عليه السلام - هو إدريس بن يارد بن مهلائيل وينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام واسمه عند العبرانيين "خنوخ" وفي الترجمة العربية "أخنوخ" وهو من أجداد نوح عليه السلام. وهو أول بني آدم أعطي النبوة بعد "آدم" عليه السلام. وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام 3.8 سنوات لأن آدم عمر

1- النساء

2- الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: أبو نعيم المصدر: حلية الأولياء الصفحة أو الرقم: 221/1

3- يس

4- الإسراء

طويلاً زهاء ألف سنة. وذكر ابن إسحاق أنـه أول مـن خـط بـالقلم. وقـد أختلـف العلـماء في مولده ونشأته. فقال بعضهم إن إدريس ولد ببابل بأرض العراق. وقال آخرون إنه ولـد بمصر والصحيح الأول لأن بابل – كما ذكرنا – كانت موطن البشر بعد مكة. وقد أخـذ في أول عمـره بعلم شيث بن آدم ولما كبر آتاه اللـه النبوة فنهي المفسـدين مـن بنـي آدم عـن مخـالفتهم شريعة "آدم" و"شيث" فأطاعه نفر قليل. وخالفه جمع غفير. فنوى الرحلـة عـنهم وأمـر مـن أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له. وأين نجد إذا رحلنا مثل بابل- والقصد هنا نهر الفرات- فقال إذا هاجرنا رزقنا اللـه غيره ... نعم فهو يعرف ان هناك انهـار اخرى من انهار الجنة على الأرض وهو مأمور بأن يقصدها ليعمر ثالث مناطق الأرض.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَـالُوا كُنَّـا مُسْتَضْـعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللـهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ "97"[1].

اذن مبدأ هجرة المستضعفين من الأرض الكافرة الى ارض أخرى فراراً وحفاظاً عـلى ديـنهم. ونشراً له. مبدأ ازلي لم يقتصر على المسلمين فقط حين هاجروا للحبشة ثم ليـثرب. وان كانـت هجرة المسلمين للحبشة ثم ليثرب لهدف ثالث وهو اهم ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان. كما سنعرف حين نعرض للحديث عن الإسلام.

وبذلك تُعد هجرة سيدنا إدريس وقومه اول هجرة لمـؤمنين بعيـداً عـن ارض كـافرة. فخـرج وخرجوا حتى وصلوا إلى أرض مصر فرأوا النيل فوقف على النيل وسبح اللـه فهو يعـرف انـه امام نهر من انهار الجنة. وأقام إدريس ومـن معـه بمصر يـدعو النـاس إلى اللــه وإلى مكـارم الأخلاق. وكانت له مواعظ وآداب. فقد دعـا إلى ديـن اللــه. وإلى عبـادة الخـالق جـل وعـلا. وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة. بالعمل الصالح في الدنيا وحض عـلى الزهـد في هـذه الدنيا الفانية الزائلة. وأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة وغلظ علـيهم في الطهـارة مـن الجنابـة. وحرم المسكر من كل شي من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد وقيل إنه كان في زمانـه 72 لساناً يتكلم الناس بها وقد علمه اللـه تعالى منطقهم جميعاً ليعلم كـل فرقـة مـنهم بلسانهم. وهو أول من عَلَّم السياسة المدنية. ورسم لقومه قواعد تمدين المدن. فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها. وأنشئت في زمانه 188 مدينة وقد اشـتهر بالحكمـة. ومـن حكمه قوله "خير الدنيا حسرة. وشرها ندم" وقولـه "السـعيد مـن نظـر إلى نفسـه وشـفاعته

1- النساء

عند ربه أعماله الصالحة" وقوله "الصبر مع الإيمان يورث الظفر". وقد كانت مدة إقامة إدريس في الأرض "82" سنة ثم رفعه اللـه إليه كما ذكر القرآن. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾"1"57".

سيدنا إدريس – عليه السلام - هو النبي الوحيد الذي لم تذكر لـه قصة في القرآن ولا في الأحاديث النبوية، ولم يرد ذكره في القرآن الكريم إلا في موضعين.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾"2"56".

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾"3"85".

ولم نعرف أن اللـه غضب علي قوم ادريس في حياته وإن كان لا شك أصابهم طوفان سيدنا نوح –عليه السلام - الذي يلي إدريس في ترتيب الأنبياء. إذن قوم إدريس – وهم المصريون - لم يكفروا باللـه، فعاشوا في أمان وعَمَّروا الأرض بقيادة سيدنا إدريس. والدليل على ذلك انهم عرفوا البعث والحياة الآخرة وظلوا على هذا الإيمان حتى في عهود الكفر. ويقال ان كتاب الموتي خطه إدريس. وأن رفعه للسماء الرابعة وإختفاءه كان وراء اسطورة اوزوريس.

الأبناء الخمس:

ونعود لمن تركهم ادريس في بابل ورحل بأمر اللـه لتنشأ منطقة معيشة ثالثة للبشر بعد مكة وبابل في مصر. منطقة سيكون لها شأن مختلف عن باقي مواطن البشر في المنطقة كما سنرى. ولعل اللـه اصم آذان اهل بابل عن دعوة ادريس لهم. لكي يرحل لمصر وتبدأ الحياه هناك. وبعد رحيله قيض اللـه لهم احد ابناء آدم المخلصين المؤمنين لكي يردهم لجادة الصواب وللصراط المستقيم وهو صراط النجاة. وقال عروة بن الزبير وغيره: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه: ود. وسواع. ويغوث. ويعوق. ونسر . قال محمد بن كعب: كان لآدم عليه السلام في اعوامه الأخيرة. خمس بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر؛ وكان "ود" أكبرهم وأبرهم به. ولعله عرف بما آل اليه حال عشيرته في بابل من ضلال. فذهب اليهم وهداهم اللـه على يديه. فقد كان عابداً. ثم توفاه اللـه فحزنوا عليه؛ فقال الشيطان: أنا أصور

1- مريم

2- مريم

3- الأنبياء

لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه. قالوا: أفعل. فصوره في المسجد من صفر ورصاص. ولعل آدم عرف بموته وبقصة التمثال واشتم رائحة ابليس في فكرة التمثال فخاف عليهم الفتنة من بعده فأرسل لهم ابنه التالي "سواع" فواصل رسالة اخيه "ود" ثم مات فبنوا له تمثالاً هو الآخر. وتوالى عليهم أخوة ثلاثة آخرون هم يغوث ويعوق ونسر وتكررت القصة معهم حتى صار هناك خمسة تماثيل لهؤلاء الأبناء البررة الصالحين.

وتنقصت الأشياء كما تتنقص اليوم إلى أن تركوا عبادة اللـه تعالى بعد حين بفضل جهود ابليس وجنوده من الشياطين. فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئا؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم. ألا ترونها في مصلاكم. فعبدوها من دون اللـه؛ فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت. ومات آدم. وواضح ان الشرك باللـه قد وصل لمكة. وإلا لما اصابها الطوفان. وكذلك في مصر بعد قبض سيدنا ادريس. حتى بعث اللـه نوحا نبياً عاش بينهم ألف عام إلا خمسين يدعوهم للإيمان باللـه وترك عبادة الأصنام وهم معاندون بإصرار لم يحدث من أمه بعدهم بهذه الصورة.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللـهِ فَعَلَى اللـهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾"1"71".

ألف عام إلا خمسين زمناً طويلاً. لا شك أن أجيال عدة تعاقبت عليه وهو يدعوهم لوحدانية اللـه، ولاشك انه كان يدعو المشركين في كافة ارجاء الأرض المعمورة في ذلك الزمان. أي في مكة وفي مصر وإلا ما اصابهم الطوفان دون ان يأتيهم نذير وهادي. وكان الآباء المتمسكين بشركهم. عند موتهم يحرضون أبنائهم علي عدم الإيمان بما يدعوهم إليه نوح
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾"2"23".

ولاشك ان اجيالاً ماتت على الشرك واخرى ماتت على الإيمان طوال فترة دعوة نوح.
﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾"3"32".

ووصل طغيانهم حتى إلي زوجة نوح.

1- يونس
2- نوح
3- هود

﴿ضَرَبَ اللـهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللـهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ "1"10".

بل وأبنه الذي تمرد عليه ورفض ركوب السفينة حين بدأ الطوفان.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ "2"42".

وقد وصفهم القرآن انهم الأظلم والأطغى في التاريخ.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ "3"52".

ويئس منهم نوح وشكا الى اللـه.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ "4"21".

وحسم اللـه الأمر بما لم يتصور نوح. وهو ان يستجيب اللـه لدعائه.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ "26" ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ "5"27".

وهدَّأ اللـه من روعه وطمئنه انه ادى رسالته بما يرضي اللـه.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ "6"36".

وجاء الطوفان الذي غمر الأرض كلها وطهرها من المشركين ولا شك أن قوم إدريس – عليه السلام - كانوا من بينهم والمرجح أنهم كانوا قد حادوا عن طريق الحق بعد أن قُبض إدريس كما ذكرنا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ "7"37".

1- التحريم

2- هود

3- النجم

4- نوح

5- نوح

6- هود

7- الفرقان

واستقرت سفينة نوح على الأرض التي لم يعد عليها إلا المؤمنين الذين استوعبوا ولاشك درس الطوفان وما رأوا خلاله من اهوال انجاهم اللـه منها بإيمانهم. ومرة اخرى ادرك البشر ان الإيمان باللـه هو السبيل الوحيد للنجاة والأمن في الدنيا والآخرة. ولاشك ان كل رهط عاد الى موطنه الذي جاء منه للنجاة في السفينة مما سيصيب المشركين. فعاد اهل مكة لها وعاد المصريون الى مصر. بل وتحركت شيع من الناس ليعمروا مناطق جديدة. فتحرك قوم عاد الى الجنوب حيث شاطئ الخليج الهندي في منطقة ظفار الحالية في سلطنة عمان. وتحرك قوم ثمود الى شمال الجزيرة العربية في المملكة الأردنية الهاشمية حالياً. ولكن بقى التمركز الأكبر في العراق حيث قامت دولة كبرى بعد ذلك.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "48"[1].

ينبئنا اللـه انه رغم تطهير الأرض من المشركين في مرحلة مبكرة من وجود البشر على الأرض إلا ان امماً من هذه الصفوة ستعود الى الشرك باللـه.

ونعود ونُذَكِّر بأن إدريس – عليه السلام – هو الوحيد الذي لم يعانده قومه وظلوا علي الإيمان باللـه لذلك عاشوا في أمان وسلام طوال حياته، بل وبعد الطوفان لأنهم تمسكوا بما تركه لهم ادريس من تعليمات دعمتها دعوة نوح. وواضح انهم احتفظوا بالكتب الثلاثين التي نزلت على ادريس وصاغوها فيما عُرف بكتاب الموتى الذي رسَّخ لفكرة البعث. تلك العقيدة التي داوم عليها اهل مصر. ورغم انغماسهم في الشرك باللـه. ولكنهم جعلوها اساس عقيدتهم وربطوها بآلهتهم. والتاريخ يؤكد ان التوحيد لم يغب عن مصر وكان هناك دائماً الموحدون سواء في الخفاء او في العلن. وفي اعتى عهود الطغيان والجبروت والشرك باللـه.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللـهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ "28"[2].

ولعل هذا النهج القريب من الإيمان وكذلك المؤمنين المتكتمين إيمانهم هما سبب إستقرار الأحوال في مصر وبناء اول دولة في التاريخ استمرت زهاء الخمسة آلاف سنه.نَعِم خلالها المصريون

1- هود

2- غافر

بالإستقرار والأمن. ولو حذت الأمم الأخرى حذوهم مع أنبيائهم لكان لهم نفس الجزاء.

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللـهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللـهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللـهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ "22"[1].

ونعود الى ماحدث بعد الطوفان. فقد كان الطوفان ضربة الهية قاسمة لأبليس وشيعته. فقد ضاع كل جهده في إغواء البشر على مدى قرون عديدة لاشك انه بذل فيها جهداً جباراً حتى يرسخ الشرك باللـه في نفس قطاع كبير من البشر. فقد شككهم في فكرة الرسول البشر الذي يُرسل فيهم فرفضوا ادريس ومن بعده نوح. وقد ساعده على ذلك عند قوم نوح قدسية اصحاب التماثيل مما سهل من إقناع احفادهم ان هذه التماثيل هي آلهة آبائهم واجدادهم فعبدوها وتمسكوا بها. وقد صادفت فكرة الآلهة الأصنام هوى في نفس البشر ضعاف الإيمان من ذوي العقول المحدودة. ففكرة الإله غير المرئي او المحسوس صعبة على ذوي العقول الكسولة. ولكن فكرة الإله المجسد المدرك بالحواس كانت ولا تزال مفضلة لدى البشر. حتى من اصحاب الديانات السماوية. فبنو اسرائيل عبدوا العجل الذهبي الذي صنعه السامري وقال لهم انه اله موسى لمجرد انه بخدعة جعل له خوار. وذلك عندما تأخر سيدنا موسى في العودة من ميقات ربه. وكانوا قبلها قد سألوه - عليه السلام – ان يجعل لهم الهاً مجسداً ليعبدوه. وهم اهل كتاب وكانوا قد شاهدوا لتوهم معجزة شق البحر والنجاة من فرعون وجيشه. فظلت فكرة الإله المجسد مطروحة ... حتى نزول الإسلام الذي قضي تماماً على هذه الفكرة وهو ما لم يحققه دين سماوي آخر. وان كانت هذه الفكرة تعاود الظهور في العصور الحديثة في اماكن متفرقة من العالم من حين لآخر. ولكنها تكون على إستحياء من فئة قليلة وسرعان ما تنتهي. ولعل اشهرها في العصر الحديث جماعة عبدة الشيطان.

بعد الطوفان ... استقرت القافلة البشرية عند الجودي وما حوله. وقام نوح عليه السلام ومن معه بإقامة مدينة ثمانين. نسبة إلى عدد الناجين من قوم نوح وكان نوح عليه السلام يبين للناس ما اختلفوا فيه ويبشر بينهم بنبي يأتي من بعده اسمه هود. وروي أن نوحا عليه السلام قال لأتباعه: إن اللـه سيبعث هودا وإنه سيدعو قومه وإن قومه سيكذبونه وعندئذ سيهلكهم اللـه تعالى بالريح. وأوصى نوح عليه السلام بأن على من يدرك هودا أن يؤمن به. كما أمر ابنه سام بأن يتعاهد هذه الوصية وأن يعلنها على الملأ عند رأس كل سنة وأن يكون يوم الإعلان هذا عيدا للقوم يتذكرون

1- المجادلة

فيه بعث هود. وظل سام بن نوح يعمل بوصية والده. وكان القوم يتعاهدون بعـث هـود في يوم عيدهم. وعندما طال الأمد وتفرق الناس في الأمصار. استخفت الشـياطين النـاس فجالـت معهم في الضلال. وظهرت الأهواء التي تمهد للوثنية من جديد. وأصبحت وصـية نـوح وهـود عليهما السلام. لا يهتم بها إلا طلاب العلم الذين عكفوا على كتـب العلـم وآثـار علـم النبـوة. وظهرت الأمم التي أخبر اللـه تعالى بها نوحا عليه السلام بقوله: ﴿يَا نُـوحُ اهْـبِطْ بِسَـلاَمٍ مِّنَّـا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] "48".

البداية قوم عاد:

ينتسب قوم عاد إلى عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكان عـاد يعبـد القمـر. ونـزل هو وولده بالأحقـاف وقيـل إن الأحقـاف واد بـين عـمان وأرض مهـرة. وقيـل: مـن عـمان إلى حضرموت. وهي رمال مشرفة على البحر بالشحر.



الأحقاف مساكن قوم عاد

1- هود



موقع مساكن قوم عاد

وبعد عاد جاء من ولده من يعبد الأصنام فأقام في قومه ثلاثة أصنام عبدوها من دون الله وهي: صمود. صداء. الهباء. وكانت عاد تتكون من عشر قبائل. ولقد خصهم الله تعالى من بين الأقوام ببسطة في الخلق وعظم الهيكل البدني وبهذه القوة تمتعت عاد بين الأمم برقي في المدنية والحضارة. ويكفي بهم حضارة ما ذكره القرآن الكريم عن مدينتهم. عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد. كما كانت أرضهم خصبة ذات جنات ونخيل وزروع ومقام كريم. فهذه الأشياء وغيرها تستوجب شكر الله عليها ... ولكن عاداً فتنت بقوتها وسارت في قافلة الكفر مبهورة بشبابها. وعلى امتداد طريق الكفر زين الشيطان لهم أعمالهم. ومحا من ذاكرتهم ليس بعث هود فيهم فحسب. وإنما الأحداث الحقيقية التي أدت إلى الطوفان الذي أطاح بكفار قوم نوح.





فبعد أن طال الأمد وانتقلت عاد إلى أرضها الجديدة. كانت الأساطير والخرافات دثرت أحداث الطوفان. وعلى امتداد الأساطير وقف العتاة والطغاة في عاد. على أن الطوفان يمكن تفادي خسائره البشرية إذا شيدت الدور والأبنية على أعمدة عالية أو فوق قمم الجبال وعلى أي مرتفع من الأرض.

ووفقا لهذا الفهم أقامت عاد أول حضارة لها على الأعمدة يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ"6" إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ"7" الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ"8"﴾[1].

وإرم اسم مدينة عاد. وكانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد. كما أنهم بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد. فأقاموا المصانع التي تنحت الأحجار وشيدوا القصور والقلاع على الأرض. ورفعوا فوق كل مرتفع من الأرض مأوى يحمي الناس من عوامل الطبيعة. ومع هذه الأخلاق الحديدية ظهرت الثقافة الحديدية التي تنطلق من منطق القوة. واستكبرت عاد في الأرض استكبارا لا حدود له.

يقول تعالى:﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾"15"[2].

1- الفجر

2- فصلت



إن عالم عاد هو عالم كفران النعمة ونكران المنعم. الذي يستهان فيه بالقتل ولا يقام فيه للفضيلة أي وزن! وعاد أمسكت بذيل كفار قوم نوح عندما رفضوا بشرية الرسول "قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً" ورفض الرسول البشري. غرس شيطاني يضمن به عدم قبول أكثر الناس. الهداية التي تأتيهم من رسول يماثلهم في البشرية. فالشيطان رفض البشرية من أساسها وظن في نفسه أنه أعلى منها مقاما.وهو يعلم ان غرز فكرة رفض الرسول البشري هي من اهم اسباب اهتزاز بل وضياع الأمن من الإنسان.

ولقد تعرض القرآن الكريم لقصة قوم عاد والنبي المبعوث فيهم. هود عليه السلام في عشر سور هي: الأعراف. هود. المؤمنون. الشعراء. فصلت. الأحقاف. الذاريات. القمر. الحاقة. الفجر ... وعاد الأولى هي إرم ذات العماد.

كان هود عليه السلام أول رسول بعد نوح عليه السلام. وقد بعث إلى قوم افتتنوا بقوتهم وقالوا "مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" وهود عليه السلام تجمعه بقومه صلة القرابة. ودعوة القوم إلى الهداية بواحد منهم يعرفهم ويعرفونه. المفروض ان يجعل الدعوة تسير بسهولة ويسر. لأن القوم يعرفون أمانة وصدق المبعوث إليهم. فقد كان هود عليه السلام من قبيلة يقال لها الخلود وكان من أوسطهم نسبا وأصبحهم وجها. وكان في مثل أجسامهم.

كما أن عنصر القرابة يكون بمثابة مائدة للتعاطف. من خلالها يفهمون الرسالة ويدافعون عنها. وهود عليه السلام ما كان يدعوهم إلا لعبادة اللـه. وما كان يخاطبهم إلا بلطف وعطف.



ويعاتبهم على ما يقومون به من البناء فوق كل مرتفع من الأرض وعلى اتخاذهم مصانع تصنع لهم الحصون لعلهم يخلدون. وعلى شدتهم وخشونتهم في تعاملهم مع الناس. وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم من أموال وبنين وجنات وعيون. ودعاهم إلى الرجوع إلى الله. لأن عدم الرجوع إليه بالتوبة والعمل الصالح سيترتب عليه عذاب يوم عظيم. يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ "123" إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُم هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ "124" إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ "125" فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ "126" وَمَا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ "127" أَتَبْنُونَ بِكُلِ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ "128" وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُم تَخْلُدُونَ "129" وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبَّارِينَ "130" فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ "131" وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ "132" أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ "133" وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ "134" إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "135"[1]﴾ .

كانت هذه مقدمته عليه السلام عندما خاطبهم. ثم بدأ ينتقد حضارة الأخلاق الحديدية فقال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ قال البغوي: الريع: المكان المرتفع ... وكانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا محكما هائلا باهرا.والآية: العلامة والبناء على الأماكن المرتفعة.

جاءت عاد إلى الأحقاف. وقاموا بسلخ العُمُد من الجبال حتى إن العمود الواحد كان بطول الجبل ثم ينقلون هذه الأعمدة وينصبونها ويبنون عليها القصور. ولقد أخبرهم هود عليه السلام أن هذا العمل لا يندرج إلا تحت عنوان العبث. لأن اليوم العظيم إذا جاء فلن تقف أمامه علامات فوق المرتفعات. ولاحصون و قلاع على الأرض الممهدة. فعملهم هذا عبث لا احتياج إليه. وهو في الحقيقة مجرد لهو وإظهار للقوة.

1- الشعراء



وبعد أن انتقد عليه السلام حضارتهم طالبهم بالدخول في دائرة التقوى وأن يطيعوا الله تعالى فيما يأمرهم به من ترك الترف والاستكبار. لأن الله تعالى هو الذي أمدهم بما يعلمون من بسطة في الخلق وعظم الهيكل البدني. فالواجب عليهم أن يشكروه عليها بوضع النعمة في موضعها.

ثم قال عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أخبرهم أنه يخاف عليهم لأنهم قومه.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ "136" إِنْ هَـٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ "137" وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ "138"[1].

لقد قابلوا خطابه الذي اتسم باللطف والعطف والخلق الكريم. قابلوه بقسوة وقالوا ما يعنينا أن تعظ أو لا تكون أصلا من الواعظين. دعاهم الى ما يحقق لهم الأمن المطلق الدائم وهو عبادة الله الواحد وطاعته. فرفضوا وتمسكوا بالأمن الوهمي المتمثل في المباني الشامخة الحصينة.حبس الله سبحانه عنهم المطر كي يتنبهوا ويرتدعوا ويرجعوا إلى الطاعة. وإمساك المطر عنهم سيبعد بينهم وبين الترف لأن الترف أصل أصيل في إفساد الفطرة وإفقاد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب. وإمساك المطر يؤدي بالإنسان إلى دائرة التضرع. ليكون التضرع مدخلا إلى التوبة. وروي أن الله تعالى أمسك عنهم المطر ثلاث سنوات حتى جهدوا وأجدبوا وقحطوا. فأبوا إلا تماديا فيما هم عليه. وازدادوا عتوا وتمردا وعنادا.وعلى امتداد زمن القحط كان هود عليه السلام يدعوهم كي يستغفروا الله فيرسل سبحانه السماء عليهم مدرارا.

1- الشعراء



﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ"50" يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ"51" وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوارَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَعَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَاتَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ"52"﴾[1].

لقد دعاهم هود عليه السلام وهم تحت ضربات القحط إلى التعقل. فالكون يخضع لنظام دقيق. وإن الاطعام والأمن بين يدي الذي يملك الجوع والخوف. فمن انحرف عن نظام الإطعام والأمن سقط في دائرة الجوع والخوف والمد والاستدراج فماذا كان رد عاد في عالم القحط والجدب؟

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَانَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَانَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ"53" إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّـهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ"54"﴾[2].

لقد ردوا على هود عليه السلام فيما قاله لهم. رفضوا دعوته التي طالبهم فيها برفض الشركاء،كما رفضوا دعوته إياهم إلى الإيمان والطاعة لقد آيسوه في كلتا الحالتين.

ثم قالوا لهود عليه السلام: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وعندما قالوا ذلك سمعوا الرد الأخير على أقوالهم.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّانَزَّلَ اللَّـهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾"71"[3].

1- هود
2- هود
3- الأعراف

وعلى هذا انتهى الجدل. وانتظر الجميع القول الفصل الذي يحمل العذاب الشامل على فريق الجبابرة وأتباعهم.تحدت عاد نبيها هود ان يأتيها بالعذاب الذي توعدها به. ولكن ما الذي جعل قوم عاد على ثقة انه لن يأتيهم بعذاب اللـه؟ عندما تحداهم عجزوا عن التعرض له لأن له قبيلة تحميه. وتحدى آلهتهم فلجأوا لها لكي تعاقبه على سخريته منهم ولكن لم يصيبه اذى او إنتقام. فلماذا استعجلوا العذاب وهم مطمئنون انه لن يأتي؟﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] الصيغة هنا في هذه الآية صيغة جمع في كلمة مرسلين. مما يوحي انها استقبلت اكثر من رسول. فأي مرسلين كذبت بهم عاد؟ ان هود هو اول نبي مرسال بعد نوح كما جاء في القرآن الكريم. ولكن القرآن يخبرنا ايضاً ان هناك انبياء بل ورسل لم يرد ذكرهم في القرآن. ورسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يخبرنا – كما سبق وذكرنا – ان عددهم مائة وأربعة وعشرين ألف. فهل صيغة الجمع في "المرسلين" تشير الى انه قد سبق هود انبياء ارسلوا لقوم عاد ولم يستجيبوا لهم. وربما فتكوا بهم. ومع ذلك لم يصيبهم بما فعلوا أذى؟ دعوة هؤلاء الأنبياء هي نفس دعوة نوح ان اعبدوا اللـه وحده واتركوا عبادة الأصنام تدوم عليكم النعمة. ولم يستجيبوا لهم. ودامت لهم النعم. فلماذا يصيبهم عذاب بسبب نوح دون السابقين عليه؟ ولعل هذا التساؤل هو التفسير المحتمل لثقتهم في انه لن يصيبهم عذاب بسبب هود. كما ان هذا التفسير يتماشى مع حكمة اللـه في هداية خلقه وإنذار العصاة منهم. حيث ينذرهم ثم يمهلهم ويوالي ارسال الرسل لهم لعلهم يثوبون الى رشدهم ويعودون لعبادة اللـه عز وجل. فإذا اصروا بعد كل هذا. اخذهم اخذ عزيز منتقم. ولنا في هذه الآيات المثل:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ"13" إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ"14" قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ"15" قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"16" وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"17" قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ"18". قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"19"﴾[2].

وعندما طال انقطاع المطر عتهم لثلاث سنين. جلس قضاة الطاغوت في ديار الجبابرة ومن حولهم جنود عاد الذين شربوا من إناء الأخلاق الحديدية في ثقافة "مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" جلسوا تحت السماء التي تمسك عنهم المطر. ومن حولهم نخالة الحبوب الناشفة. وأوراق الأشجار الميتة. لم يرفعوا أكفهم إلى السماء حتى يرفع اللـه عنهم العقاب. وإنما انطلقوا في يوم عيدهم

1- الشعراء

2- يس

إلى أكبر أصنامهم وتجمعوا حوله يسألونه الماء أساس حضارة عاد. يبتهلون ويتضرعـون بالآبـاء تحت لهيب الشمس المحرقة. وساق الـلـه سحابة سوداء فيهـا النقمـة إلى عـاد. حتـى تخـرج عليهم من واد يقال له المغيث. فلما رأوها استبشروا. وقالوا هذا عارض ممطرنا. فيقول تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم. تدمر كـل شيء بـأمر ربهـا﴾ أي تهلـك كـل شيء أمرت به. فسخرها الـلـه عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسـوما. والحسـوم الدائمـة؛ فلـم تدع من عاد أحدا إلا هلك. واعتزل هود عليه السلام في حظيرة هو ومن معه من المؤمنين. ما يصيبهم إلا ما تلين عليه الجلود. وتلذ الأنفس. وإنها لتمر على عاد بالظعن فـيما بـين السـماء والأرض. وتدمغهم بالحجارة. وروي أن الـريح كانـت تـأتي أحـدهم فترفعـه حتـى تغيبـه عـن الأبصار. ثم تنكسه على أم رأسه. فيسقط على الأرض فتثلغ رأسه. فيبقى جثة بـلا رأس ولهـذا قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَـلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ "1"22.

وعلى امتداد أيام العذاب كان الجبابرة والمستكبرين يهرولون في كل مكان هربا من قسوة الرياح حتى إنهـم كـانوا يتحصـنون الجبـال والكهـوف والمغـارات. وحفـروا لهـم في الأرض إلى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من الـلـه شيئا.

ولقد روي أن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وآله وسـلم كـان إذا رأى غـيما أو ريحـا عُـرف ذلك في وجهه. قالتْ السـيدة عائشـة ام المـؤمنين: يـا رسـولَ الـلـهِ، إنَّ النـاسَ إذَا رأَوْا الغـيمَ فرِحوا، رجاءَ أنْ يكونَ فيهِ المطَرُ، وأَرَاكَ إذا رأيتَهُ عُرِفَ في وَجْهِكَ الكراهيَةُ؟ فقالَ: "يا عائشـةُ، ما يُؤَمِّنِّني أن يكونَ فيهِ عذابٌ؟ عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأَى قومٌ العذابَ، فقالوا: هَذَا عَـارِضٌ مُمْطِرُنَا"[2]. وخلاصة قصة قوم عاد انهم عندما عبدوا الـلـه فـازوا بـالأمن مـن الريـاح العاتيـة والأمطار واستفادوا بخيرها. ثم عبدوا الأصنام فحذرهم الـلـه وصبر عليهم وانذرهم. ثـم كـان عقابهم من جنس نعمتهم ... أي ان الأمر الواحد يكون نعمة ثم هو نفسه ينقلب نقمة. بـل ان الحدث الواحد في نفس التوقيت يكون نقمة على الكافر ونعمة على المؤمن ... فقد كانـت الريح وبالاً على قوم عاد وهي نفسها كانت أمناً ورخاءً لهود – عليه السلام – والمؤمنين.

1- القمر

2- الراوي: عائشة أم المؤمنين المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 4828

الفصل الثالث: بنو اسرائيل

- قوم ثمود
- مراحل الانبياء والرسل:
- المرحلة الأولى: من أدم الى ماقبل نوح
- المرحلة الثانية: من نوح الى ماقبل إبراهيم عليهما السلام
- المرحلة الثالثة: من إبراهيم وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام
- فمن هم بنى إسرائيل؟
- تاريخ بنى إسرائيل

أوجز الشاعر الباكستاني الكبير "محمد إقبال" هذه المسلمة أروع إيجاز في قصيدته الشهيرة "حديث الروح" حيث يقول:

اذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضي الحياة بغير دينٍ فقد جَعل الفناء لها قرين

قوم ثمود:

بعد هلاك عاد بنحو مائة عام، ظهرت حضارة ومدينة أخرى تقودها ثمود، وثمود من العرب العاربة. جاءت قافلتهم من حول جبل الجودي الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام. شأنها شأن العديد من القوافل التي تركت المنطقة الأولى وانتشرت في الأرض، وكان على رأس قافلة ثمود: ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وانتهى مسيرها إلى موقع بين الشام والحجاز، وكانت أهم حاضرة لهم مدينة الحجر ... وذكر المسعودي: أن حجر ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين وهي مصاقبة لخليج العقبة ... وما زالت آثار ثمود باقية إلى يومنا هذا،والمكان الذي فيه ديارهم يعرف اليوم بـ "فج الناقة".

والنبي الذي بعثه اللـه تعالى إلى ثمود. هو صالح عليه السلام. وكان بينه وبين هود عليه السلام - كما ذكر المسعودي - نحو مائة عام. وصالح عليه السلام رابع الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم المكلفين بالقيام بأمر اللـه والنهضة للتوحيد ضد الوثنية، ويذكره اللـه



تعالى بعد ادريس ونوح وهود عليهم السلام. ولقد أثنى اللـه عليه بما أثنـى بـه عـلى أنبيائـه ورسله. وذُكِرَ صالح عليـه السـلام في القـرآن تسـع مـرات في سـور: الأعـراف، هـود، الشـعراء، وذكرت ثمود في القرآن في أحد عشرة سورة: الأعراف، هود، الحجر، الشـعراء، النمـل، فصـلت، الذاريات، النجم، القمر، الحاقة، الشمس. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْـتَحَبُّوا الْعَمَـىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾"17"[1].

لقد كانت البداية هدى، وهذا الهدى غزّته ثقافة الجـودي، ثقافـة مـا بعـد الطوفـان التـي قامت على أعمدة التوحيد، وعندما انطلقوا لإقامـة مجتمعـاتهم الجديـدة. كانـت الفطـرة في أعماقهم تدلهم على طريق الصواب. و بالجملة عَرَّفَهُم اللـه الحق ومـا يـؤدي إليـه والباطـل وماذا يترتب عليه، فمن هنا كانت دائرة الاستبصار، ولكن دائرة الاستبصـار هـذه انطفـأت في صدور الذين كفروا. وذلك بعد أن زين لهم الشيطان أعمالهم واتبعـوا أهـواءهم. وعـلى هـذا كانت دائرة العمى, وعندما جاءهم رسول من ربهم كي يعيدهم إلى دائـرة الاستبصـار، صـدوا عن سبيل اللـه، لم تتدبر ثمود مهلك عاد وقوم نوح من قبل. فأقاموا بيوتهم في بطون الصخر وجعلوا لها أبوابا ضيقة يتحكمون فيها عند هبوب الرياح حتى لا يهلكوا كما هلكت عاد.

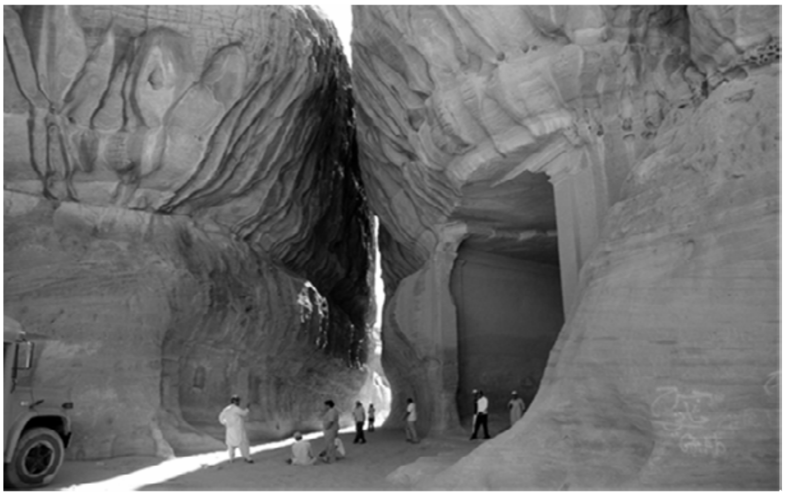


وكان صـالح عليـه السـلام يـراهم وهـم يهرولـون في اتجـاه الصـخور حـين هبـوب الـريح ويخبرهم أن الطريق إلى الأمن لا يحتاج إلى هذه المشاق. وأنه يبدأ من توحيد اللـه وعبادتـه والسير داخل المجتمع بالعدل والإحسـان. وأن لا يسرفـوا ولا يطغـوا ولا يعلـوا في الأرض. كـان يدعوهم بالحكمة والموعظـة الحسـنة، ولكـن القـوم تجنبـوه في بدايـة الأمـر، ولم يجبـه مـن

1- فصلت

قومه إلا نفر يسير مـن الضـعفاء، الـذين لا ينظـرون إلى الصـورة. ولكـن يتعمقـون في القـول وبلاغته ومضمونه وأهدافه ولا ينظرون إلى طول الجسم وما عليه. وإنمـا ينظـرون إلى أعـماق الإنسان، حيث الأمانة والعفة والطهر والنقاء والصدق، كـان هـذا هـو حـال الضـعفاء الـذين اتبعوا صالحا عليه السلام، أما الجبـابرة فتجنبـوه لعـدم اسـتطاعتهم دفـع حججـه، وأوهمـوا أتباعهم أنهم إنما تركوه لصغر سنه.

فقال: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ "146"[1]؟ أي أنكم لن تُترَكوا في أرضكم ومـا أحـاط بكـم في أرضكم هذه. وأنتم مطلقوا العنان لا تُسألون عما تفعلون وآمنون من أي مؤاخذة إلهية، لقـد وعظهم وحذرهم نقمة اللـه أن تحل بهم, يقول تعالى:



﴿قَـالُوا إِنَّمَـا أَنـتَ مِـنَ الْمُسَـحَّرِينَ "153" مَـا أَنـتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَـا فَـأْتِ بِآيَـةٍ إِن كُنـتَ مِـنَ الصَّادِقِينَ﴾ "154"[2].

لقد واجهوا النصح بحشد من الاتهامات، فاتهموه - بأنه ممن سُحِرَ مـرة بعـد مـرة حتـى غلب السحر على عقله، اتهمت ثمود صالح عليه السلام بأنه من المسحرين ! وطالبوه بآية إن كان من الصادقين. وكان صالح عليه السلام قد حضر جمعا لهـم. فسـألوه أن يـأتيهم بمعجـزة تُجـانس أملاكهـم، وذلـك بعـد اتفـاق آرائهـم. وكـان القـوم أصـحاب إبـل ... وتقـدم زعـيم القوم وقال له: يـا صـالح إن كنـت صـادقا في قولـك، وأنـك معـبر عـن ربـك، فـاظهر لنـا مـن

1- الشعراء

2- الشعراء

هذه الصخرة ناقة وكانت صخرة صماء عيّنوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر، يقال لها الكاتبة وكانوا يعظمونها ويذبحون عندها في رأس كل سنة" ولتكن هذه الناقة: وبراء، سوداء، عشراء، نتوجا حالكة، صافية اللون، ذا عرف وناصية وشعر ووبر.

كان القوم لهم سبعون صنما يعبدونها من دون اللـه، وحول كل صنم جماهيره تهتف: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذه الصخرة الناقة التي سألنا. لقد سأل الجبابرة معجزة من جنس ما يملكون وهتفت الجماهير هتاف الصخر الذي فيه يعملون. فقال لهم صالح عليه السلام: "لقد سألتموني شيئا يعظم علي ويهون على ربي سبحانه وتعالى"، وعندئذ أوحى إليه اللـه تعالى:

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ "27" وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾"28"[1].

لقد أوحى سبحانه إليه بأنه سيرسل على طريق الإعجاز الناقة التي سألوها، امتحانا لهم، وأمره أن يصبر على أذاهم، وأن يخبرهم بعد إرسال الناقة. أن الماء مقسوم بين الناقة وبين القوم، لكل منهما نصيب من الشرب يحضر عنده صاحبه، فالقوم يحضرون عند شربهم والناقة عند شربها.وفي يوم عيد القوم، وقف صالح عليه السلام أمام الصخرة يستغيث بربه، فتحركت الصخرة وتململت، وبدا منها حنين وأنين، ثم انصدعت من بعد تمخض شديد، كتمخض المرأة حين الولادة. وظهر منها ناقة على ما طلبوا من الصفة، ثم تلاها من الصخرة سقب لها "ولد الناقة" مثلها في الوصف، لقد خرجت الناقة بمشيئة اللـه، أوجدها سبحانه كخلق آدم وحواء من غير أب ولا أم ... أوجدها تعالى تأييدا لصالح وتصديقا لدعوته، وآية من مبرئ الأكوان وموجد الزمان والمكان، لتدل على وحدانيته سبحانه، وعندما خرجت الناقة وولدها من الصخرة آمن خلق كثير وقال صالح عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّـهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّـهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "73" وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "74"﴾[2].

لقد كان لوجود الناقة بينهم حكمة، ومن وراء هذه الحكمة هدف، إن الناقة كانت شيئا ماديا

1- القمر

2- الأعراف

يروه بأم أعينهم في طرقاتهم. كانت دابة على هيئة لم يألفوها، اختار عباقرتهم وفقهاؤهم أوصافها بأنفسهم وأخرجها الله لهم من الصخرة التي عينوها أيضا بأنفسهم، وهذا في حد ذاته دعوة للتدبر على امتداد أجيال ثمود، وإذا كانت الناقة وهيئتها هي الجزء المادي من المعجزة فإن أفعالها هي الشطر الثاني من المعجزة وأفعال الناقة كانت حُجة على الجميع من الطفل الرضيع وحتى الشيخ الفاني. كانت حجة على الذي رأى وسمع والذي لم ير ولم يسمع من ثمود. لقد كان عمل الناقة الوحيد أن تشرب يوما ولا يحضر شربها غيرها، وأن يشرب القوم يوما ولا يحضر شربهم غيرهم. وكانت الناقة إذا كان يوم شربها خرجت بلونها البهي الجذاب، وسارت في الطرقات بجسمها العظيم الضخم الذي تمتاز به عن غيرها من سائر نوق الدنيا، وتوجهت إلى الماء فتشرب ماشاء الله لها ان تشرب، ثم تتوجه إلى المرعى فتأكل ما تشاء ولا يجوز لأحد منعها اومعارضتها، ثم تعود إلى حيث تبيت دون أن تضر أحدا في نفسه أو زرعه وشجره. وعندما تعود لمبيتها يحلبونها، فلا يبقى في بلدتهم صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها في ذلك اليوم. أما في يوم شرب القوم فإنها لا تقرب الماء يوم شربهم ولا تزاحمهم هكذا جرت عليهم الأيام، يشربون لبن الناقة في اليوم الذي لا يشربون فيه الماء. ولا تأخذ الناقة منهم شيئا في اليوم الذي لا يحق لها أن تشرب من الماء.

وثمود عندما كانوا في دائرة الاستبصار بعد خروج الناقة من الصخرة، كانت الناقة لا تشرب من الماء إلا قليلا، وكلما ابتعدت ثمود عن دائرة الاستبصار، كلما شربت الناقة من الماء بقدر ابتعادهم، حتى جاء اليوم الذي انهار فيه اقتصادهم. وتشاءموا من صالح عليه السلام. لقد كانوا يبتعدون. والناقة بأفعالها تدعوهم إلى دائرة الاستبصار. لقد كانت تتعامل مع الماء بحكمة فيها إعجاز لم تلتفت إليه ثمود، ولكن ثمود ركبت دواب استعجال السيئات، ولم ينصتوا لصوت الحكمة الذي تبثه الناقة، ولا لصوت العقل الذي يبثه صالح عليه السلام لقد طالبهم بأن لا يستعجلوا بالسيئة قبل الحسنة، لأن حضور السيئة يبعد عنهم الماءوأمرهم بأن يستغفروا الله، لأن مع الاستغفار يكون الماء. وبينما هم في رحلة الانحراف اتخذت ثمود أخطر قراراتها، ألا وهو قرار قتل الناقة! وبقرار ثمود قتل الناقة، يكونون قد دخلوا في حرب مع الله، لأن على الناقة تحذير، وهذا التحذير نقله إليهم صالح عليه السلام:

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾"64"[1].

1- هود

خرجت الناقة بلا حارس وبلا سائس في اليوم المحدد لها ومعها فصيلها "ابنها" وروي أن ثمود مشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها. لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم. ثم قالوا: من الذي يقتلها ونجعل له جعلا ما أحب؟ فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق. ولد زنا لا يعرف له أب. يقال له: قدار. شقي الأشقياء شؤم عليه. فجعلوا له جعلا. فلما توجهت الناقة إلى الماء الذي كانت ترده. تركها حتى شربت وأقبلت راجعة. فقعد لها في طريقها. فضربها بالسيف ضربة. فلم تعمل شيئا فضربها ضربة أخرى فقتلها. وخرت على الأرض على جنبها. وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل. فرغا ثلاث مرات إلى السماء وروي أن جماعة تبعوا فصيلها لما هرب منهم فرماه أحدهم بسهم فأصابه في قلبه. فسقط على الأرض ثم جروه برجليه وأنزلوه. ووضعوا لحمه مع لحم أمه واقتسموه بينهم. وبلغ الخبر صالحا عليه السلام. فجاءهم وهم مجتمعون فلما رأى الناقة بكى وقال: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ "65"[1]. وكان اللـه تعالى قد أوحى إلى نبيه صالح أن قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثها اللـه إليهم حجة عليهم، ولم يكن لهم منها ضرر. ولم يكن لهم فيها ضرر. وكان لهم أعظم المنفعة، فقل لهم: إني مرسل إليهم عذابي إلى ثلاثة أيام. فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم ... وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث ... فلما أبلغهم صالح عليه السلام الذي أوحاه إليه ربه. اشتدوا وعتوا وتمردوا.

وكان ذلك يوم الأربعاء، يقول المسعودي: فقالوا له مستهزئين: يا صالح متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك؟ فقال: تصبح وجوهكم يوم مؤنس "الخميس" مصفرة ويوم العروبة محمرة. ويوم شبار مسودة. ثم يصبحكم العذاب يوم أول وعندما أعلن صالح عليه السلام عليهم هذا، كان بالمدينة تسعة رهط، وهم التسعة الذين أخبر اللـه عنهم في كتابه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ "48"[2].

يقول ابن كثير عن هؤلاء التسعة إنهم كانوا كبراء ثمود ورؤساءهم، وقال البغوي: كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح. فهؤلاء الجبابرة اجتمعوا بعد عقر الناقة. وبعد أن أخبرهم صالح عليه السلام بالعذاب الذي سيحل بهم وأصدروا قرارا بقتل صالح عليه السلام حتى يستطيعوا العيش كما يريدون ولا ينغص عليهم أحد هذا العيش فلقد

1- هود

2- النمل

عقـروا الناقـة وأكلوهـا، ولم يبـق إلا الرسـول والـدعوة، فـإذا قتـل صـالح، فلـن يتبقـى غـير المستضعفين، وهؤلاء تقومهم السيوف التي قتلت الناقة.

يقول المسعودي: فهم التسعة بقتل صالح وقالوا: إن كان صـادقا "فـيما أخـبرهم بالعـذاب" كنا عاجلناه قبل أن يعاجلنا وإن كان كاذبا كنـا قـد ألحقنـاه بناقتـه. وقـام الجبـابرة بتحديـد خطوات تنفيذ جريمتهم. وقد أخبر اللـه تعالى عن خطوطها العريضة فقال:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِـدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْـلِحُونَ"48" قَـالُوا تَقَاسَـمُوا بِاللَّـهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَـادِقُونَ"49" وَمَكَـرُوا مَكْـرًا وَمَكَرْنَـا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"50"﴾[1].

قال المفسرون: قال الرهط المفسدون وقـد تقاسـموا باللـــه. لنقـتلن صـالحا وأهلـه بالليـل "لنبيتنه وأهله" فالتبييت القصد بالسـوء لـيلا، وبعـد عمليـة قتلـه يقولـون لوليـه إذا حـدث وعرفهم. ما شهدنا هلاك أهله. وفي هذا مكر منهم، لأنهـم عنـدما ينفـون مشـاهدتهم لمهلـك أهل صالح عليه السلام فإنهم في نفس الوقت ينفون مشـاهدة مهلـك صـالح نفسـه. كـما ان نفيهم مشاهدة مهلك أهل صالح يضعهم في دائـرة الصـدق أمـام القـوم، لأن الحقيقـة أنهـم شاهدوا مهلك صالح وأهله جميعا لا مهلك أهله فقط. وقال ابـن كثـير والبغـوي: فـأتوه لـيلا ليبيتوه في أهله. فدفعتهم الملائكة بالحجارة. فلـما أبطـأوا عـلى أصـحابهم. أتـوا منـزل صـالح فوجدوهم "أي أصحابهم" منشدخين قد رضـخوا بالحجـارة، فقـالوا لصـالح: أنـت قتلـتهم ثـم هموا به، فقامت عشيرته دونه، ولبسـوا السـلاح، وقـالوا لهـم: واللـــه لا تقتلونـه أبـدا، وقـد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا، وإن كان كاذبا، فأنتم من وراء ما تريدون. فانصرفوا عنهم.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"50" فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّـا دَمَّرْنَـاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ"51"﴾[2].

1- النمل

2- النمل



لقد ضربتهم الحجارة يوم الأربعاء. اليوم الذي عقروا فيه الناقة. ضربتهم قبل قومهم، ليذوق القوم عذاب الذل وهو يرى جبابرته وشيوخه وسادته. يسبحون في بحر من الدماء أمام بيت صالح عليه السلام. لقد قتلوا في الخلاء بعيدا عن بطون الجبال وأحشائها. وهم الذين قضوا حياتهم يحفرون في الصخر ليوفروا لأنفسهم نوما آمنا ومعيشة آمنة. عندما أصبح القوم نظروا إلى وجوههم كما وعدهم صالح. فوجدوا اللون الأصفر على وجوههم وهو علامة اليوم الأول. فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال صالح. فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيما. فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرة. فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح. فقال العتاة منهم لو أهلكنا جميعا ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها ! ولم يتوبوا ولم يرجعوا! فلما كان اليوم الثالث أصبحوا وجوههم مسودة، فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح. فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح. وأوحى اللـه تعالى إلى صالح عليه السلام بالخروج، وخرج صالح في ليلة الأحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين، وآتاهم العذاب يوم الأحد آتاهم جبرائيل عليه السلام فصرخ لهم صرخة خرقت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا في الأيام الثلاثة بعد أن علموا أن العذاب نازل بهم لا محالة، فماتوا جميعا في طرفة عين. صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولا رعية ولا شئ إلا أهلكه اللـه، فأصبحوا في ديارهم موتى، وأرسل اللـه تعالى إليهم مع الصيحة نار من السماء فأحرقتهم أجمعين.



لم تختلف قصة قوم ثمود عن قوم عاد إلا فى أمور ثلاث احداهم تزيد من ادانة قوم ثمود:

1- شكل العقاب.

2- اسلوب حمايتهم لانفسهم.

3- لم يدعم اللـه نبيه هـود – عليه السلام – بمعجـزة حية مرئية، وكانت المعجـزة فى طبيعة خلق قوم عاد الفريدة ولكنهم لم يدركوا ذلك.

ولكن اللـه دعم نبيه صالح – عليه السلام – بهـذه المعجـزة وهـى الناقـة ومع ذلك لم يقتنعوا بل وعدوا عليها ... لذلك كان عقابهم اقسى.

ولكن يبقى قوم لوط متفردون عن سائر الاقوام ببشاعة سلوكهم المستحدث.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ "80" إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"81"﴾[1].

وفى المقابل اقسى عقاب وقع على قوم ...

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾"82"[2].

1- الأعراف

2- هود

دائماً العقاب الالهى يتناسب مع الفعل الانسانى، لم يعبدوا اصناماً، كان الههم هو دنسـهم وهواهم فقط، يقول اللـه تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللـهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَـتَمَ عَـلَى سَـمْعِهِ وَقَلْبِـهِ وَجَعَـلَ عَـلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللـهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"23" وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الـدُّنْيَا نَمُـوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾"24"[1].

وإذا كنا قد تخطينا الـزمن ووصـلنا إلى جريمـة قـوم لـوط، فـذلك لبشـاعة الإثـم وجـبروت الإنتقام الالهى مقارنة بقومي عاد وثمود، صحيح ان لوط هو ابن اخو سـيدنا إبـراهيم ولكـن قصته كانت فى مرحلة متأخرة من حياته بـدليل ان الملائكـة الـذين اطـاحوا بقـوم لـوط هـم الذين بشروا ابراهيم بإنجابه سيدنا اسحاق – عليه السلام – قبل ان يـذهبوا لقـوم لـوط، بـل واخبروا ابراهيم بمهمتهم مع قوم لوط، وانجـاب اسـحاق كـان بعـد انجـاب اسـماعيل بسـنين عديدة، لذلك يجب أن نعود للمحطة الأهم في تـاريخ الأنبيـاء ومهـامهم التوحيديـة والـدرس الأكبر فى النظرية الأمنية قبل الإسلام، واستاذ هذا الدرس هـو ابـو الانبيـاء، خليـل الـرحمن ... سيدنا إبراهيم -عليه السلام – والذى قال رب العزة أن الانبياء من سلالته هو وسيدنا نوح

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُـوَّةَ وَالْكِتَـابَ فَمِـنْهُمْ مُهْتَـدٍ وَكَثِـيرٌ مِـنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾"26"[2].

والمقصود بالانبياء هنا كل الانبياء وليس من ذكروا فى القرآن فقط ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللـهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾"164"[3].

والحديث النبوى يوضح العدد الإجمالى للأنبياء والرسـل، فكـما سـبق وذكرنـا مـاروى ابـن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: قلتُ: يا رسولَ اللـهِ ! كم الأنبياءُ؟ قال: مائـةُ ألـفٍ وأربعـةٌ وعِشرونَ ألفًا. قلتُ: يا رسولَ اللـهِ! كم الرُّسلِ؟ قالَ: ثلاثُمائةٍ وثلاثَةُ عشرَ جَمًّا غفيرًا"[4].

1- الجاثية

2- الحديد

3- النساء

4- الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: أبو نعيم المصدر: حلية الأولياء الصفحة أو الرقم:221/1

فالمتوقع أن الناجين من سفينة نوح قد تفرقوا فى ارجاء المعمورة مثل قوم عاد وقوم ثمـود لنشر دعوة التوحيد وإعمار الأرض وظهر منهم الانبياء على مدار الزمن، ولكن القرآن الكـريم لم يذكر إلا هود وصالح عليهما السلام. وتلاهـما ابـراهيم، ابـو الأنبيـاء وخليـل الـرحمن عليـه السلام وقد جاء من نسله الأنبياء فى منطقة جزيرة العرب، سواء من ذكروا فى القرآن اومـن لم يذكروا. ونستطيع ان نقسم الأنبياء والرسل الى ثلاثة مراحل زمنية:

المرحلة الأولى: من آدم الى ماقبل نوح

لا تضم إلا نبي اللـه ادريس الذي ورد ذكره بالقرآن الكريم، ومعه سـتة متوقـع ان يكونـوا من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن وكلهم بالطبع من ابناء آدم ولاحقين على زمـن ادريـس، هم:

1- شيث الذي انزل اللـه عليه اول صحف سماوية وعددها خمسـون كـما اخبرنـا رسـول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم".

2- ود، اول الابناء الذين ارسلهم آدم ليرد سلالته لجـادة الصـواب والعـودة لطاعـة اللــه، بعد جريمة قابيل مع هابيل ويأس ادريس منهم ورحيله، وقد نجح واسـتقرت الأحـوال حتـى موته ولكن الحال لم يهدأ تماماً، فأرسل آدم.

3- سواع، الإبن الثاني ليكمل رسالة اخيه ونجح وتحسنت الأحوال حتى موتـه هـو الآخـر، فأرسل ابنه الثالث.

4- يغوث ليكمل المسيرة حتى مات ثم ارسل آدم.

5- يعوق ونجح هو الآخر ثم اعقبه آخر الأبناء.

6- نسر والذي اكمل رسالة اخوته واستقرت الأحوال تماماً.

المرحلة الثانية: من نوح الى ماقبل ابراهيم عليهما السلام

ولم يذكر القرآن منهم الا هود المرسل لقوم عاد، وصالح المرسل لقوم ثمـود. بخـلاف انبيـاء آخرين ارسلوا قبل هود وصالح لمختلف الأمـم ومـنهم عـاد وثمـود والـدليل ماجـاء في القـرآن الكريم عن قوم عاد من انها كذبت المرسلين قبل هود.

المرحلة الثالثة: من ابراهيم عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

هؤلاء انقسموا لسلالتين: الأولى سلالة اسماعيل عليه السلام اول ابناء ابراهيم ولم تشمل – ممن ذكرهم القرآن - إلا سيد الخلق. الثانية سلالة اسحاق ثاني ابناء ابراهيم والتي اشتملت – ممن ذكرهم القرآن الكريم - يعقوب ثم يوسف ثم موسى وسائر انبياء بني اسرائيل انتهاءاً بالمسيح عليه السلام، بخلاف عشرات الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم، وكذلك مَن قتلهم بنو اسرائيل كما اكد القرآن الكريم

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ "70"[1].

هؤلاء هم بنو اسرائيل وموقفهم من انبياء الله،إما التكذيب او القتل ... والسبب سنذكره في حينه.ونرى ان ابراهيم يعتبر آدم الثاني، فكما خرج من نسل آدم عليه السلام نموذجا الخير والشر هابيل وقابيل، خرج من نسل ابراهيم عليه السلام ايضاً نموذجا الخير والشر الأبديين وهما المسلمون سلالة اسماعيل عليه السلام والذين خرج منهم مَن اهدوا العالم الأمن الحقيقي بمفهوم متطور قائم على الإيمان ومعه العمل الواعي الشرعي لتأسيس دولة متكاملة العناصر ومستقرة وآمنة، وبنو اسرائيل سلالة اسحاق والذين خرج منهم مَن هددوا أمن انفسهم وامن العالم – ولا يزالون – بل ويهددوا امن ابناء عمومتهم عامدين متعمدين.

ونعود للأستاذ ابو الانبياء، والذى يتفرد عن سائر الانبياء بما جعله خليل الرحمن، فهو النبى الوحيد الذى لم يكلفه الله بالنبوة ويأمره بالدعوة للتوحيد، بل هو أدرك بفطرته هزلية فكرة عبادة الاصنام وتعدد الآلهة وأنه لابد أن يكون هناك إله واحد وأخذ يبحث عنه فظن انه النجم ثم القمر ثم الشمس، فنادى ربه أن يهديه إليه عز وجل :

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ "76" فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ "77" فَلَمَّا رَأَى

1- المائدة

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"78" إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"79"﴾[1] .

فاستجاب له اللـه وأعطاه النبوة ... والعظة واضحة ففى هذه الحالة يتضح لنا أن عبادة اللـه الواحد هى فطرة الانسان التى خلقه اللـه عليها، سيدنا إبراهيم افتقد الأمن فى ظل عبادة الاصنام ولم يشعر به الا عندما استدل على اللـه مؤكداً أن الأمن فى هذه المرحلة من حياة البشر كان فى الإهتداء لله وعبادته، وحياة ابى الانبياء بها اكثر من درس فى قوة الايمان واثره فى امن الانسان، كما ان بها هزائم قاسية للشيطان وشيعته:

الدرس الأول: حين حطم إبراهيم الاصنام بعد أن دعا قومه لعبادة اللـه ونبذ عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولم يستجيبوا فأراد أن يقدم لهم الدليل على صدق قوله. وثار القوم لتحطيم اصنامهم، وأوعز ابليس للملك النمرود أن يحرق ابراهيم، فاستجاب واعدت المحرقة ودخلها سيدنا ابراهيم آمناً فكانت المعجزة المدعمة للإيمان.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"68" قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ"69" وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ"70"﴾[2].

بل وعلمه اللـه ما يقوله وهو مقبل على النار

عن ابن عباس: "حسبي اللـه ونعم الوكيل". قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى اللـه عليه وسلم واصحابه رضوان اللـه عليهم حين قالوا:

"إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللـه ونعم الوكيل"[3].

الفارق بين صيغة ابراهيم وصيغة المسلمين، ان ابراهيم عليه السلام قال حسبي اللـه ونعم الوكيل بضمير المتكلم المفرد لأنه كان في المحنة وحده، اما المسلمون فقد قالوا حسبنا اللـه بضمير المتكلم الجماعي لأنهم كانوا عصبة بقيادة رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في مواجهة جيش الشرك كما سنعرف عند الحديث عن غزوة بدر الآخرة.

1- الأنعام

2- الأنبياء

3- الراوي: عبد اللـه بن عباس المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4563 خلاصة حكم المحدث: "صحيح"

ولكن موقف ابراهيم الثابت دون سند بشري في مواجهة نار المشركين الحارقة، اثبت أن الإيمان يحقق الأمن. ومع ذلك لم يستجب من قومه الا القليل فقرر أن يرحل بهم مهاجراً من أرض الشرك فى بابل إلى أرض اللـه الواسعة لنشر التوحيد، وهذه هي الهجرة الثانية – بعد هجرة ادريس - بعداً عن ارض الشرك ولنشر عقيدة التوحيد باللـه، هجرة دون عودة اي انها رحيل.

الدرس الثانى: وصل سيدنا إبراهيم إلى حدود مصر وتعرض له حرس الحدود وأُعتُقِلَت السيدة ساره زوجته وأُخِذَت أسيرة لقصر الملك، وكانت مصر محتلة فى ذلك الوقت وكان المحتلون متمركزين فى الدلتا كحال كل محتلو مصر عبر العصور، وكان ملوكهم طغاة ... ولكن الزوج النبى ذهب لهذا الطاغية مدعماً بقوة الإيمان وواجهه، فرد عليه زوجه بل واهداها جارية من أميرات مصر الأسيرات هى السيدة هاجر والتى تزوجها سيدنا إبراهيم وأنجب منها اسماعيل.

الدرس الثالث: تصرف غريب وغير مفهوم من أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم – عليه السلام- عندما بدا للجميع أنه سعى لإرضاء زوجته العقيم سارة علي حساب هاجر أم رضيعه إسماعيل فجاء بها وبابنها إسماعيلَ وهي ترضعُهُ، حتى وضعها عند البيتِ، عند دَوْحَةٍ فوق زمزمَ في أعلى المسجدِ، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جِرَابًا فيهِ تمرٌ، وسقاءً فيهِ ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيمُ منطلقًا، فتبعتْهُ أمُّ إسماعيلَ، فقالت: يا إبراهيمُ، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيهِ إنسٌ ولا شيٌّء؟ فقالت لهُ ذلك مرارًا، وجعل لا يتلفتُ إليها، فقالت لهُ: اللـهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضَيِّعُنَا، ثم رجعتْ، فانطلقَ إبراهيمُ حتى إذا كان عند الثَّنِيَّةِ حيثُ لا يرونَهُ، استقبلَ بوجهِهِ البيتَ، ثم دعا بهؤلاءِ الكلماتِ، ورفع يديهِ فقال:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم "37"[1].

أطمأنت هاجر وهي مع رضيعها وحدهما في صحراء قاحلة، لا زرع فيها ولا ماء، لما عَرِفَت ان هذا امر اللـه لنبيه، ولكنه منتهي الإيمان والثقة في اللـه وعدله، ولم يخذلها اللـه كما نعرف بل واستجاب عز وجل لدعوة سيدنا إبراهيم لهما. ولم يكن هذا دعاء ابراهيم الوحيد لهذا البلد بل كان الدعاء الأهم الذي يؤكد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يعلم من اللـه أن عبادة اللـه

1- الراوي: عبداللـه بن عباس المحدث: البخاري- المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 3364 خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الحقة وأن الدين الخاتم سينطلق من هذه الأرض الى العالم اجمع لذلك كان هذا الدعاء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"127" رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم"128" رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"129" وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ"130" إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"131"﴾[1].

كان ابراهيم وبجانبه اسماعيل يعلم ان النبي الهادي الخاتم سيخرج من الأمة التي ستهوي افئدتها الى هاجر وابنها،ومن سلالة اسماعيل سيكون النبي الخاتم، كما انه اعلن الحقيقة الراسخة ان ابراهيم كان مسلماً، بينما لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن موقفه من ابنه اسحاق.

الدرس الرابع: ومرة أخري تثبت هاجر أن الإيمان المطلق هو سبيل الأمان، فعندما رأي سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه الصبي إسماعيل وصارح ابنه بذلك فلم يتردد الابن في تشجيع أبيه علي تنفيذ أمر اللـه.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللـهُ مِنَ الصَّابِرِين﴾"102"[2].

إنه الإذعان التام الذي حاول إبليس اللعين أن يهزه ويشكك إبراهيم في صدق رؤياه ولا يفلح، ثم يحاول أن يدفع إسماعيل للتمرد علي هذا الحكم الجائر المبني علي منام ويفشل معهما، هنا يلجأ إلي الورقة الرابحة - من وجهة نظره – السيدة هاجر، الأم الصابرة التي ستفقد وحيدها، وأسرع إليها يخبرها بالفجيعة المنتظرة بفقدها ابنها دون سبب مقنع، واستمعت هاجر إلي القصة كلها وعلي عكس ما توقع انتابها الأمان الشديد والهدوء وأدركت أن إبليس هو الذي يحرضها فأكدت له امتثالها لأمر اللـه لأن رؤيا الأنبياء حق، وعندما أزداد إلحاح إبليس رجمته بالحصى ليبتعد عنها مهزوماً، وانتصرت هاجر مرة أخري.

ونعود لما فعله ابليس بعد لطمة الطوفان، فلما كان أيام الطوفان دفن الطين والتراب والماء تماثيل الآلهة ؛ فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لبعض مشركي العرب العاربة.

قال الماوردي: فأما ود فهو أول صنم معبود، سمي ودا على اسم ابن آدم ؛ وكان بعد قوم

1- البقرة

2- الصافات

نوح لبني كلب بدومة الجندل ؛ في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل. وفيه يقول شاعرهم:

حياك ود فإنا لا يحل لنا لهو النساء وإن الدين قد عزما

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر؛ في قولهم ايضاً[1].وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ ؛ في قول قتادة. وقال المهدوي. لمراد ثم لغطفان. وقال الثعلبي: وأخذت أعلى وأنعم - وهما من طيء - وأهل جرش من مذحج الصنم يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانا. ثم إن بني ناجية أرادوا نزعه من أعلى وأنعم، ففروا به إلى الحصين أخي بن الحارث بن كعب من خزاعة. وقال أبو عثمان النهدي: رأيت يغوث وكان من رصاص، وكانوا يحملونه على جمل أحرد، ويسيرون معه ولا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل ؛ فيضربون عليه بناء ينزلون حوله، وأما يعوق فكان لهمدان ببلخع؛ في قول عكرمة وقتادة وعطاء. ذكره الماوردي. وقال الثعلبي: وأما يعوق فكان لكهلان من سبأ، ثم توارثه بنوه ؛ الأكبر فالأكبر حتى صار إلى همدان. وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني:

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير؛ في قول قتادة، ونحوه عن مقاتل. وقال الواقدي: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير ؛ فالله أعلم.

اما العرب المستعربة – وهم نسل اسماعيل عليه السلام - فقد ظلت على دين التوحيد دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، تعيش فى أمن وهدوء فى جوار الكعبة المشرفة والإيمان بالله حتى أهتزت هذه الحالة بشدة بفعل ابليس كالعادة قبل البعثة المحمدية بأربعمائة سنة، حيث ظهر فيهم رئيس مسموع الكلمة مطاع لا يخالَف، فغير دينهم، ذلك هو عمرو بن عامر الخزاعي.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رأَيْتُ عمرَو بنَ عامرٍ الخُزاعيَّ يجُرُّ قُصْبَه في النَّارِ وكان أوَّلَ مَن سيَّب السَّوائبَ"[2] ، وفي صحيح

1- ابن عباس وعطاء ومقاتل

2- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 4623

البخاري أيضاً عن عائشة عن النبي صلى الـلـه عليه وسلم قال: "رأيتُ جهـنمَ يحطِـمُ بعضُـها بعضًا، ورأيتُ عمْرًا يجرُّ قَصبَه، وهو أولُ من سيَّب السوائبَ"[1].

فعمرو هذا غيّر دين العرب بدعوتهم لعبـادة الأصـنام، وباسـتحداث بـدع في ديـن الـلـه تعالى، أحلّ فيها وحرّم بهواه، ومن ذلك ما ذكره الـلـه في كتابه:

﴿ما جعل الـلـه من بحيرةٍ ولا سائِبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكنَّ الَّذين كفروا يفترون على الـلـه الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾"2"103".

وتختلف الروايات في الكيفية التي نشر بها عمرو الأصنام في الجزيرة العربية، فمِن قائـل أنّ عمراً كان له رئيٌ من الجن هو الذي دله على الأصنام التي كانت مدفونة منذ عهد نوح، وكان قوم نوح يعبدونها، فاستخرجها عمرو، ووزعها في العرب، وقيـل: إنـه جـاء بالأصـنام مـن بـلاد الشام، عندما رآهم يعبدونها، فطلب منهم صنماً، فأعطوه واحداً نصبه بمكة.

والسبب في أن العرب تابعت عمرو بن لحي "ولحي هو ما اشتهر به عمرو بـن عـامر" أنـه كان ذا مكانة فيهم، فقد كان سيد خزاعة في حال غلبتها على مكة وعلى البيت بعـد أن نُفَـت قبيلة جرهم من مكة، وكانت العرب قد جعلته رباً، لا يبتدع بدعة إلا اتخـذوها شرعـة، لأنـه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، فربما نحـر في الموسـم عشرة آلاف بدنـة، وكسـا عشرة آلاف حلة.

ويقال: إن عمراً هذا هو الذي دعا الناس إلى عبـادة الـلات، فقـد كـان هنـاك رجـلاً يلـت السويق "العجين" للحاج بالطائف على صخرة هناك، فلما مات زعـم عمـرو بـن لحـي أنـه لم يمت، وأنه دخل في الصخرة التي يلت عليهـا، وأمـرهم بعبادتهـا، ولاشـك ان هـذا الـزعم مـن افكار ابليس التي يُدَعِّم بها الشرك بالـلـه بين البشر، وقد وجد ابليس في عمرو هذا اسـتعداداً طيباً للإنحراف تدعمه سلطته على الناس، فواصل وسوسته له، فمما يذكر عنه أيضـاً أنـه هـو الذي غير التلبية التي كانت تعلن التوحيد لله وحده، فقـد كانـت التلبيـة مـن عهـد إبـراهيم عليه السلام "لبيك الـلـهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك" واستمر الحال حتى كان عمـرو بـن عامر، فبينما هو يطوف بالكعبة يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال: "لبيك لا شريك لك"، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر هذا عمرو، فقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: قل تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب.

1- الراوي: عائشة أم المؤمنين المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 4624

2- المائدة

ويذكر لنا ابن إسحاق كيف كانت بداية الانحراف عند العرب مـن نسـل إسـماعيل عليـه السلام في عبادتهم الأحجار، فقد كان أول أمرهم أنهم كانوا يعظمون الحرم، فلا يرتحلون منه حتى كثروا وضاق بهم، فأخذوا يرتحلون عنه طالبين السعة والفسح في البلاد، فكـان لا يظعـن ظاعن منهم عن الحرم إلى غيره إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً لـه، فحيـث مـا نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، ثم أدى بهم ذلـك إلى عبـادة هـذه الأحجـار، ثـم كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة.

وانظر إلى ما صار إليه أمرهم وحالهم: عن أبي رجاء العطاردي قال: "كنـا نعبـد الحجـر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجـد حجـراً جمعنـا حثيـة من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبنا عليه ثم طفنا به".

ومن عجائب أمر الجاهلية أن الرجل منهم كان إذا سافر حمـل معـه أربعـة أحجـار، ثلاثـة لقدره والرابع يعبده. واتخذوا الأصنام والأوثان، قال هشام بن محمد السائب الكلبـي: "وكـان من أقدم أصنامهم "مناة"، وكان منصوباً على ساحل البحر الأحمر من ناحية "المشـلل" بقديـد بين مكة والمدينة، وكانت العرب جميعاً تعظمه، وكانت الأوس والخـزرج ومـن ينـزل المدينـة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له، ويهدون له، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج، وبلغ من تعظيم الأوس ومن جـاورهم مـن عـرب يـثرب لـه أنهـم كـانوا يحجون، فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنـده رؤوسهم، وأقاموا عنده لا يرون لحجمهم تماماً إلا بذلك.

وكانت "مناة" لهذيل وخزاعة فبعث رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم علياً عـام الفـتح فهدمها، ثم اتخذوا "اللات" بالطائف وهي أحدث من منـاة، وكانـت صـخرة مربعـة، وكانـت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونها، وبهـا كانـت تسمى زيد اللات، وتيم اللات، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، فلم تزل كذلك حتى بعث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم المغيرة ابن شعبة، وأبا سفيان بن حـرب لما أسلمت ثقيف، فهدماها وحرقاها بالنار. غير أن ابن جرير يروي في تفسيره عن مجاهـد في قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّات والعُزَّى﴾ "19"[1].

1- النجم

قال: كان اللات يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبـو الجـوزاء عـن ابن عباس: كان يلتّ السويق للحاج. رواه البخاري بنحوه. ثم اتخذوا "العـزى" وهـي أحـدث من اللات، اتخذها ظالم بـن سـعد بـوادي نخلـة فـوق ذات عـرق، وبنـوا عليهـا بيتـاً، فكـانوا يسمعون منها الصوت، قال الكلبي فيما يرويه عن ابن عباس قال: كانت للعزى شـيطانة تـأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة. فلما فتح رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" مكة بعث خالد بن الوليد فقال: ائت بطن نخلة، فإنك ستجد ثلاث سمرات، فاعضد الأولى، فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية، فعضدها، ثم أتى النبي صلى اللـه عليه وسلم قال: هل رأيت شيئاً؟ قال لا، قال: فاعضد الثالثة، فأتاها فإذا هو بحبشـية نافشـة شعرها واضعة يـديها عـلى عاتقهـا تضرب بأنيابهـا وخلفهـا سـادنها، فقـال خالـد: كفرانـك لا سبحانك، إني رأيت اللـه قـد أهانـك، ثـم ضربهـا ففلـق رأسـها فـإذا هـي حممـة، ثـم عضـد الشجرة، وقتل السادن، ثم أتى النبي "صلى اللـه عليه وسلم" فأخبره، فقال: "تلـك العـزى، ولا عزى بعدها للعرب". وكانت العزى لأهل مكة في موضع قريـب مـن عرفـات، وكانـت شـجرة يذبحون عندها ويدعون. وقال الكلبي في كتابه "الأصـنام":"وكانـت لقـريش أصـنام في جـوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم "هبـل"، وكـان فـيما بلغنـي مـن عقيـق أحمـر عـلى صـورة الإنسان، وكانوا إذا اختصموا في أمـر أو أرادوا سـفراً أتـوه، فاستقسـموا عنـده بالقـداح. ومـن أصنامهم إساف ونائلة، ويروي بعض الرواة أن رجلاً وامرأة زنيـا في البيـت الحـرام، فمسـخهما اللـه حجرين، ووضعتهما قريش عند الكعبة ليتعظ بهما الناس، فلما طـال مكـثهما وعبـدت الأصنام عبدا معها. ولما فتح الرسول صلى اللـه عليه وسلم مكـة وجـد حـول البيـت ثلاثمائـة وستين صنماً، فجعل يطعن بقوسه في وجوهها وعيونها ويقول:

﴿جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾ "81"[1].

﴿جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطل وما يُعيد﴾ "49"[2].

وهي تتساقط على رؤوسها، ثم أمر بها فأُخرِجَت من المسجد وحُرِّقَت.

أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود بنحوه ولم يذكرا "وهي تتساقط ... إلخ" وعندهما يطعنها بعود كان في يده.

1- الإسراء

2- سبأ

وقد انتشرت عبادة الأصنام حتى إنه كان لكل دار في مكـة صـنم يعبـده أهلهـا، فـإذا أراد أحدهم السفر فكان أول ما يصنع في منزله أن يتمسح بـه، وإذا قـدم مـن سـفر كـان أول مـا يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به.

قال ابن إسحاق الكلبي:"وكان "ذو الخلصة" لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم مـن العرب، وكان مَرْوَةً بيضاء منقوشاً عليها كهيئة التاج، وكان له بيت، فقـال رسـول اللــه صـلى اللـه عليه وسلم لجرير بن عبد اللـه البجلي: "ألا تكفيني ذا الخلصة؟" فسار إليـه بـأحمس، فقاتلته خثعم وباهلة، فظفر بهم، وهدم بيت ذي الخلصة وأضرم فيه النار".

وفي البخاري ومسلم عن جرير بن عبد اللـه قال: قال لي رسول اللـه "صـلى اللــه عليـه وسلم" ألا تريحني من ذي الخَلَصَةَ، وكان بيتاً في خثعم يسمى الكعبة اليمانيـة، فانطلقـت في خمسين ومائة فارس من أحمس إلى ذي الخلصة، وكانوا أصحاب خيل، فقلت: يا رسول اللـه، إني لا أثبت على الخيـل، فضرب بيـده في صـدري حتـى رأيـت أثـر أصـابعه في صـدري وقـال: "اللـهم ثبته واجعله هادياً مهدياً"، فانطلق إليها فكسرها.

والأصنام التي كانت منتشرة في الجاهلية أكثر من هذا الذي ذكرناه.

وبعودة عبادة الاصنام وانتشـارها فى جزيـرة العـرب سـادت الفـوضى والعدوانيـة وافتقـد الأمن الا فى مكة لأنها موضع الكعبة التى يحج إليها العرب ويضعون بها اصنامهم ...

لذلك كانت الفوضى الأمنية هي سمة الحياة في جزيرة العرب قبل الإسلام، كانت الغـارات بين القبائل و نهب القوافل هي سنة الحياة و لم يكـن احـد يـأمن عـلي نفسـه مـن القتـل أو السبي ... والنادر من السبايا من كان يستطيع قومه افتدائه وإعادته لقبيلتـه، لم يكـن هنـاك أمان في جزيرة العرب كلها إلا في مناطق محددة ولأسباب معروفة:

1- مكة، بلد الكعبة، مقصد الحجاج و التي كان يزورها العرب من كل مكان لذلك لم يكن أحد يفكر في التعرض لها أو مهاجمتها أو حتى مهاجمة قوافلها في رحلتيها للشام واليمن كـل عام، لأن أهل مكة كانوا يستضيفون الحجاج و يقدمون لهم الماء و الطعام والضيافة ... فمـن يتعرض لهم أو يهددهم؟ وخاصة بعد أن رأي العـرب مـا حـدث لأبرهـة الأشرم حيـنما حـاول تهديد أمن مكة و هدم الكعبة – فعاشت مكة وحدها في أمان مطلق.

2- الطائف، وكانت تعيش فيها قبيلة ثقيف القوية المنيعة وهي حليفة قريش، فعاشت في أمان نسبي ولكنها لم تسلم من بعض الغارات و نهب القوافل.

3- مملكة الحيرة، وكانت ذات مهمة مزدوجة، فهي تؤمن نفسها بقوتها ومنعة حصونها، وهي كذلك درع الدفاع عن دولة فارس ضد العرب الطامعين في دولة الفرس، أو المتضررين من طغيان فارس واستغلالها وإذلالها للعرب ... كانت الحيرة هي يد فارس التي تضرب بها من تشاء من القبائل العربية. ومع ذلك لم تعش في أمان مطلق بسبب مناوشات العرب المستمرة لهم لأنهم يخونون العرب.

4- مملكة الغساسنة، وكانت لدولة الروم مثل الحيرة بالنسبة لفارس لكن الغساسنة كانوا حائلا بين الروم والقبائل العربية ولم تجُر يوما علي العرب لصالح الروم بل كانت سندا للعرب دائما وأشهر مواقفهم مع الأوس والخزرج في يثرب، لذلك عاشت في أمان نسبي بسبب بعض من مناوشات البدو حولها.

5- كانت يثرب هي خامس المناطق الآمنة نسبياً لأنها كانت أحد مراكز التجارة الهامة و كانت قوية و منيعة، سكنها اليهود منذ قديم الزمن، وفي هجرات قبائل اليمن بعد انهيار سد مأرب استقرت قبيلتا الأوس و الخزرج في يثرب فطغى عليهم اليهود - سكان يثرب- واستعبدوهم بقوتهم ومنعتهم لقربهم من حصن خيبر ... وعانى الأوس والخزرج سنوات من استبداد اليهود بهم حتى لجأوا إلي ملك من ملوك غسان يقال له أبو جُبَيلة، واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم، وهو أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج، وكان قد ملكهم وشرف فيهم. فقام بتجريد جيشا وحارب يهود يثرب وقهرهم وقسمت يثرب بين قبائل اليهود الثلاثة: بني قريظة – بني النضير- بني قينقاع وقبيلتي الأوس والخزرج.

ما نريد أن نؤكد عليه أن غياب العقيدة الحقة، وفوضي تعدد الأوثان ... كانا السبب في هذه الفوضى الامنية.

وبعد سيدنا ابراهيم – عليه السلام – بدأ الأنبياء والرسل يتوالون علي مختلف أرجاء الأرض في مختلف الأزمان يدعون الناس للإيمان بالله وحده، وحمل الرسل منهم رسالات وشرائع واديان ليعرف الناس الأمان في الدنيا والنجاة في الآخرة

﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ"20" اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ"21"﴾[1].

الإيمان باللـه فقط، وترك الرذيلة التي يقترفها بعضهم كانت دعوة الأنبياء والرسل جميعهم، ولكن أغلب أقوامهم – خاصة الأغنياء والمترفين – رفضوا هذا وأصروا على الشرك والمعصية، ولم يتعظوا بما حدث للأمم السابقة عليهم من عقاب الإصرار على الشرك

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾"16"[2].

حذرهم الأنبياء والرسل كثيراً، وكانوا يمنونهم بالخير والأمان إذا أخلصوا الإيمان باللـه

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾"96"[3].

قصة مكرره حدثت لكل الأنبياء والرسل المقدمات ثابتة من أحوال الأمم الضالة، والنتائج ثابتة وهي عقاب المشركين ونجاة المؤمنين.

*وهذه النظرية هي التي علي أساسها بدأ الباحثون في استنتاج بعض المرسلين الذين لم يذكروا في القرآن، من خلال سيرتهم وسيرة أممهم في التاريخ الإنساني، فتوقعوا أن يكون منهم: اخناتون – سقراط – بوذا – زرادشت ... كل منهم في سيرته وسيرة قومه ما يؤكد هذا الاحتمال، فقد دعا اخناتون صراحة لعبادة الإله الواحد آتون وقامت المعارك بينه وبين كهنة آمون وسائر الآلهة، كما ان إعدام سقراط كان بسبب رفضه تعدد الآلهة وينادي بالإله الواحد بل انه كانت تنتابه حالات تشبه الى حد كبير ما كانت تنتاب سيدنا محمد – عيه الصلاة والسلام – حين يأتيه الوحي.

بعد سيدنا ابراهيم، توالى ارسال الأنبياء والرسل من ذريتي نوح وابراهيم لكل الأمم، بل ولكل امة اكثر من نبي.

1- يس

2- الإسراء

3- الأعراف

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1"44"].

ولكن هناك امة من الأمم يجب ان نتوقف عندها مندهشين، ذلك لأنها الأمة التي رفضت الأمن بإرادتها وبإصرار منذ وجدت وحتى الآن، رفضت الأمن الذي حدد شروطه المولى عز وجل وارادت ان تفرض الأمن الذي تريده متحدية الله جل في علاه، وعندما فشلت اكثر من مرة على مدى تاريخها وباءت بغضب من الله، قررت ان تحرم باقي الأمم من الأمن وعاشت حياتها تخطط لهذا الهدف الشرير، خاصة بالنسبة للمسيحيين والمسلمين، انتقاماً من غضب الله عليهم، وإصراراً على انهم مازالوا شعب الله المختار، وانه ماكان يجب ان يغضب عليهم الله ويستبدلهم بالمسيحيين ثم المسلمين ... انهم بنو اسرائيل، الذين يكرسون جهدهم في إغواء المسيحيين والمسلمين وإبعادهم عن طريق الله، ليثبتوا لله انهم الأفضل ولا يجب ان يغضب عليهم ... وذلك بدلاً من ان يستغفروا الله ويتوبوا اليه ليغفر لهم ... هي قصة مكررة لما حدث بين الله وابليس وبدلاً من ان يتعظوا منها كرروا نفس الخطيئة، فكانوا النجاح الأكبر لأبليس في مهمته مع البشر، بل اصبحوا جنوده الأوفياء من البشر ...

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[2"83"].

ومما يؤكد هذا الإستنتاج عدائهم للأنبياء الذين لم يُرسَلوا لهم بل واغلب الذين ارسلوا لهم.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[3"112"].

انهم شياطين الإنس، وقد ورد الكثير من قصص عصيانهم وتمردهم وكفرهم في القرآن، مع انبياء الله يوسف وموسى الذي انقذهم من الذل والهوان في مصر وعبر بهم البحر بمعجزة الهية شاهدوها بأعينهم، فقد روى ابن عباس عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ضمن حديث مفصل عن قصة بني اسرائيل مع سيدنا موسى – عليه السلام:

فلمَّا جاوزَ موسى البحرَ قال أصحابُهُ: إنَّا نخافُ أن لا يكون فرعونُ غَرِقَ ولا نُؤْمِنُ بهلاكِهِ.

1- المؤمنون

2- مريم

3- الأنعام

فدعا ربهُ فأخرجَهُ لهُ ببدنِهِ حتى استيقنوا بهلاكِهِ. ثم مَرُّوا بعد ذلك عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قد رأيتم من العِبَرِ وسمعتم ما يكفيكم ومضى[1].

ثم عبدوا عجل السامري من دون اللـه، بل انهم عادوا السيد المسيح الذي كان مرسلاً لهم كفرصة اخيرة لتعديل المسار والعودة للطريق المستقيم، وتآمروا عليه،﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللـهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2"6"].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[3"87"].

فاصبحوا اكبر خطر يهدد الأمن قبل الإسلام، ولولا ان اللـه غير مقتضيات الأمن في الإسلام لتصبح عقيدة وعمل بعد ان كانت عقيدة فقط، لعانى منهم المسلمين الأمرين في المدينة، فمقتضيات الأمن في الإسلام هي التي افشلت خطط اليهود الشيطانية وحمت دين اللـه، كما سنرى تفصيلاً في الباب الثالث.

وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر خمسة وعشرين نبياً ورسولاً، فإن اغلبهم ارسلوا لبني اسرائيل، واعتقد ان أغلب الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن كانوا ايضاً لبني اسرائيل، فقد ورد في العهد القديم اسماء انبياء لبني اسرائيل بلغت خمسين اسماً مثل: فينحاس – عالي – صموئيل – جاد، في مقابل ثلاثة عشر نبياً ورسولاً في القرآن، أي اكثر من نصف العدد المذكور في القرآن، فهل هؤلاء هم كل من أُرسِل من الأنبياء لبني اسرائيل؟

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللـهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللـهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4"155"].

ليست هناك جريمة ابشع من قتل نبي مرسل من اللـه لهداية قومه، فإذا كان من

1- الراوي: عبداللـه بن عباس المحدث: البوصيري - المصدر: إتحاف الخيرة المهرة - الصفحة أو الرقم: 234/6 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

2- الصف

3- البقرة

4- النساء 155

ارسلوا لبني اسرائيل ولم يقتلوهم جاوز الستين نبياً ورسولاً، فكم نبي قتله بني اسرائيل.
فمن هم بنو اسرائيل؟

الشائع ان بني اسرائيل في بدايتهم هم الأبناء المباشرون لنبي اللـه يعقوب بن اسحاق، وهذا معناه ان اسرائيل هو يعقوب.وحين نعود للقرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نجد ما يشكك في هذه المعلومة فلا توجد اشارة واحدة الى ان يعقوب هو اسرائيل، فلم يرد في القرآن الكريم ذكر شخصية - اياً كانت - بإسمين مختلفين دون ان يوضح التطابق بين الإسمين، ولم يرد في القرآن على الإطلاق أي تطابق بين اسمي يعقوب واسرائيل بل ورد كل منهما منفصلاً، فقد ورد ذكر نبي اللـه يعقوب في ستة عشرة آية منها﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّـهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾"1"68".

اما اسرائيل منفرداً فقد ورد في موقعين كل منهما يؤكد انه ليس يعقوب، الأول﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾"2"93".

وفيها اشارة واضحة الى ان اسرائيل ليس هو يعقوب نبي اللـه، لأن الأنبياء لا يمكن ان يحرموا ما احل اللـه لهم ... والأرجح انه من العباد الصالحين مثل ذو القرنين. والموضع الثاني في قوله تعالى:

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾"3"58".

وفي هذه الآية يفصل القرآن بين ذرية ابراهيم وبين اسرائيل، ولو كان اسرائيل هو يعقوب لأوضحت الآية ذلك خاصة وان يعقوب هو حفيد نبي اللـه ابراهيم الخليل ... اي من ذريته المباشرة. اذن المرجح ان يعقوب ليس اسرائيل، ولكن المؤكد ان اسرائيل من نسل

1- يوسف
2- آل عمران
3- مريم

يعقوب الذين ولدوا وعاشوا في مصر حتى خرجوا منها مع موسى كليم اللـه كما سنعرض.

اذن فما مصدر هذه المعلومة الشائعة؟

مصدره ما جاء في الإصحاح السابع والعشرين وحتى الثاني والثلاثين مـن سـفر التكـوين في التوراة المتداولة حالياً، والتي تمثل الأسفار الثلاث الأولى من العهد القـديم ... اي انهـا التـوراة المحرفة. فماذا جاء بها؟

قمة التجاوز من بني اسرائيل في تحديهم للقدرة الإلهية بـل والإسـاءة الى اللـــه عـن عمـد ليثبتوا محدودية قدرته جل في علاه امام بعض خلقه من انبيـاء بنـي اسرائيـل، ففـي التـوراة، أتوا ببهتاناً عظيماً على اللـه عزوجل وصوروا عجزه عز وجل امام مؤامرات البشر، وذلك حين ادعوا ان اللـه امر نبيه اسحاق ان ينقل بركة النبوة لأبنه "عيصو" من بعده بطريقـة معينـة، ولكن ام يعقوب عرفت هذه الطريقة واستخدمتها للإحتيال على اسحاق عليه السـلام لينقـل بركة النبوة ليعقوب بدلاً من عيصـو. ونجحـت الخطـة وانتقلـت النبـوة ليعقـوب رغـم ارادة اللـه الذي سكت عن هذا الأمر وثبتـت النبـوة ليعقـوب وحـاول عيصـو قتـل يعقـوب لهـذا السبب فهرب يعقوب سنوات وحين عودته ليبدأ ممارسة النبوة تربص به عيصـو مـرة اخـري وكان يعقوب يرتعد خوفاً من عيصو ويحاول ترضـيته، ولكنـه وفي طريـق عودتـه حـدث امـر غريب رواه الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخـروج في العهـد القـديم:" [22]" ثُـمَّ قَـامَ فِي تِلْـكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَـةَ يَبُّـوقَ. "[23]"أَخَـذَهُمْ وَأَجَـازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ "[24]"فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ"[25]"وَلَـمَّا رَأَى أَنَّـهُ لاَ يَقْـدِرُ عَلَيْـهِ، ضَرَبَ حُـقَّ فَخْـذِهِ، فَـانْخَلَعَ حُـقُّ فَخْـذِ يَعْقُـوبَ فِي مُصَـارَعَتِهِ مَعَـهُ. "[26]"وَقَالَ: "أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ". فَقَالَ: "لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي"."[27]" فَقَالَ لَـهُ: "مَـا اسْمُكَ؟"فَقَالَ: "يَعْقُوبُ"[28]".فَقَـالَ: "لاَ يُـدْعَى اسْـمُكَ فِي مَـا بَعْـدُ يَعْقُـوبَ بَـلْ إِسْرَائِيـلَ، لأَنَّـكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللـهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ"[29]".وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَـالَ: "أَخْـبِرْنِي بِاسْـمِكَ". فَقَـالَ: "لِـمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟" وَبَارَكَهُ هُنَاكَ"[30]".فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَـانِ "فَنِيئِيـلَ" قَـائِلاً: "لأَنِّي نَظَـرْتُ اللـهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي"[31]"وَأَشْرَقَـتْ لَـهُ الشَّـمْسُ إِذْ عَـبَرَ فَنُوئِيـلَ وَهُـوَ يَخْمَـعُ عَـلَى فَخْذِهِ. "[32]" لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخِـذِ إِلَى هـذَا الْيَـوْمِ، لأَنَّـهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا.

هذا هو معنى اسم اسرائيل في اللغة العبرية ... مصارع اللـه، بينما في العربية معناه عبد اللـه، والعجب في المعنى العبري ... يعقوب عليه السلام صـارع اللـــه وصرعـه واجـبره عـلى ان يباركـه

تأكيداً للنبوة. ارأيتم كيف يرى بنو اسرائيل اللـه؟ ونؤكد ان الإعتقاد السائد لدى البعض بـأن يعقوب هو اسرائيل إعتقاد خاطئ، لأن هـذا الإقـتران لم يـرد إلا في هـذه الواقعـة الأسـطورية التي لا يمكن ان تحدث والتي تفسر تسمية يعقوب باسرائيل، اما في غير ذلـك فلـم يـرد هـذا الإقتران بين الإسمين،حتى في باقي قصة يعقوب في سفر الخروج لم يرد اسم اسرائيل مشـيراً الى يعقوب، اي ان يعقوب غير اسرائيل الـذي هـو عـلى الأغلـب مـن سلالة متـأخرة مـن سـلالة يعقوب عليه السلام، وولد وعاش في مصر. هذا نموذج لموقف بني اسرائيل من اللـه ورؤيتهم لذاته العليا.

تاريخ بني اسرائيل:

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللـهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا جَاءَتْـهُ فَـإِنَّ اللـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾"211"[1].

ليس لنا من مصدر موثوق به لتـاريخ بنـي اسرائيـل الا القـرآن الكريم،فالعهـد القـديم لا يحقق تاريخ بني اسرائيل بدقة، اضافة الى التزييف المؤكد الذي احدثه بنو اسرائيـل في العهـد القديم والذي اكده لنا ايضاً القرآن الكريم:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّـهِ لِيَشْـتَرُوا بِـهِ ثَمَنًـا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾"79"[2].

وهذا بإعتبارهم اهل اول كتاب سماوي – كما اخبرنا القـرآن الكـريم – وهـو التـوراة الـذي نزل بدين محدد وتشريعات ملزمة،على وعـد مـن اللــه لهـم بـأن يسـتخلفهم في الأرض ان اطاعوه.

﴿إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَـلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَـلَ أَهْلَهَـا شِـيَعًا يَسْتَضْـعِفُ طَائِفَـةً مِّـنْهُمْ يُـذَبِّحُ أَبْنَـاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"4" وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَـلَى الَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"5" وَنُمَكِّـنَ لَهُـمْ فِي الْأَرْضِ وَنُـرِيَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُـودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ"6"﴾[3].

ولكن الغدر والتمرد والجحود والتنكر لأنعم اللـه كان متمكناً منهم، لذلك اصروا عليـه ولم يهتموا بتحذيرات اللـه المتكررة لهم وانواع العقاب الذي اصابهم اللــه بهـا كإنـذار، وكـذلك

1- البقرة

2- البقرة

3- القصص

تجاهلوا تحذيرات نبيهم موسى العديدة من هذه الأفعال الضاربة عرض الحائط بأوامر اللـه ونواهيه، ومن هذه الافعال ما صوره لنا القرآن الكريم،وبدايتها موقفهم من نبي اللـه موسى الذي حضر الى مصر بأمر اللـه، وواجه فرعون هو واخوه هارون ليُخْرِج معه بني اسرائيل من مصر ودخل معه ومع اعوانه في مواجهات وتحديات لسنوات عصيبة، وبدلاً من ان يدعموه ويساندوه لينقذهم من الهوان الذي كانوا يعانونه في مصر، خذلوه وكانوا عبئاً عليه ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّـهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّـهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"128" قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"129"﴾[1].

وخرج بهم موسى،وطاردهم فرعون وجنوده،وشاهد بنواسرائيل بأعينهم معجزة شق البحر وغرق فرعون وجيشه في البحر لينجوا هم بأمر اللـه،ويبدأوا مشوار النجاة وتحقيق ما وعدهم اللـه به، وبدلاً من ان يحمدوا اللـه ويطيعوه طاعة تامة ليتحقق لهم الوعد الإلهي، كشفوا عن حقيقتهم.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيل الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾"138"[2].

وذهب موسى لميقات ربه ليتلقى التوراة التي وصفها القرآن الكريم بأنها:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾"154"[3] .

وهناك اخبره اللـه انه فتن قومه في غيابه فاستجابوا للفتنة، وصُدِمَ موسى لدي عودته ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي"86" قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ"87" فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ"88" أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا"89"﴾[4].

وتوالت اشكال تمرد بني اسرائيل وعصيانهم وجدلهم في اوامر اللـه بغير الحق

1- الأعراف
2- الأعراف
3- الأنعام
4- طه

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّـهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ "55" ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "56" وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "57"﴾[1].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ "16" وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ "17"﴾[2].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّـهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ "72" فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّـهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "73" ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "74"﴾[3].

انظروا كم عاندوا وكابروا وجادلوا وعصوا. اورد القرآن الكريم ذكر بني اسرائيل في مئتين واثنين وعشرين آية في خمس عشرة سورة، كما ورد ذكرهم كأهل كتاب في ست وخمسين آية في احد عشرة سورة، كلها معصية وجحود بالنعم. ثم كان العقاب الأكبر من الله عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ "20" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّـهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ "21" قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون "22" قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّـهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "23" قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ "24" قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "25" قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "26"﴾[4].

ثم عفا الله عنهم، ومع ذلك تواصل العصيان والإصرار على مخالفة اوامر الله، وتنوع العقاب والعفو.

1- البقرة

2- الجاثية

3- البقرة

4- المائدة

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾"153"[1].

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ"12" فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ونَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"13"﴾[2].

ولم يتغير حالهم وتهدأ امورهم كثيراً في عهود انبيائهم الملوك داوود وسليمان عليهما السلام بل واصل اغلبهم التمرد واحترفوا التآمر حتى وصلوا الى اعلى المراتب التي يحلمون بها بعيداً عن طاعة اللـه، وفي قمة زهوهم وغرورهم وظنهم انهم افلتوا من قبضة اللـه ... فكان الدرس الإلهي القاسي والإنذار الأول.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا"4" فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِوَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا"5"﴾[3]

يرجح المؤرخون والمفسرون ان الواقعة التي تشير اليها آيات سورة الإسراء، هي اجتياح الملك البابلي "نبوخذ نصر" "بختنصر بالعربية" لمملكة يهوذا الإسرائيلية وتدميره لأورشليم وذلك عام 587 م، وهو ماعُرِفَ في التاريخ الإسرائيلي بالسبي البابلي الأول ثم الثاني.

رغم الحذر الواجب والدائم من المقابلة بين احداث التاريخ الديني واحداث التاريخ الموضوعي إلا ان هناك شبه جزم في هذه الحالة، لأن حرص بني اسرائيل على تدوين تاريخهم واهم احداثهم – من وجهة نظرهم بالطبع وبالتزوير المطلوب – اشار الى هذه الواقعة بالتفاصيل الأساسية التي تشير لتطابق الأحداث، كما ان حالة علو شأن مملكة يهوذا الإسرائيلية لم يتكرر على مدى تاريخ بني اسرائيل بعد ملك نبي اللـه سليمان عليه السلام، يضاف اليها ماذكره نبيا اللـه دانيال وارميا في سفرهما عن نبوخذ نصر، والذي يؤكد تطابق الحدثين.

اذن الغالب ان ما جاء في سورة الإسراء هو اجتياح نبوخذ نصر لمملكة يهوذا، ففي عام

1- النساء

2- المائدة

3- الإسراء

597 قبل الميلاد، زادت تجاوزات وإعتداءات "يهوياكيم" ملك مملكة "يهوذا" نتيجة تحـريض فراعنة مصر،الذين استاءوا من وصول فتوحات نبوخذنصر حتى الحدود المصرية.

فتآمروا مع المصريين على نبوخذ نصر طمعاً في توسيع مملكتهم على حساب مملكة بابـل، فجهز نبوخذنصر الثاني حملته العسكرية الخاصة لإيقـاف تجـاوزات واعتـداءات "يهويـاكيم" ملك مملكة "يهوذا" وفعلا تمكن نبوخذ نصر من تحقيق الانتصار على يهوذا واخذ منها قرابـة 3 أسير بعد إن نَصَّب "صدقيا" ملكاً على يهوذا، الذي أدى القسم له بعـدم تكـرار التجـاوزات والاعتداءات على حدود الدولة البابلية. إن سبب قيام نبوخذ نصر بتهجير 3 أسـير مـن يهـوذا إلى بابل والذي عرف فيما بعد باسم السبي البابلي الأول لم يكن عملا قد اعتـاده نبوخـذنصر، إلا أن تكرار الاعتداءات والتجاوزات من قبل يهوذا والمدفوعة من قبـل الفراعنـة كانـت هـي الأسباب الحقيقية وراء ذلك، فلم يقم نبوخذنصر الثاني بسبي أي مدينة من المدن التي فتحها سواء في الشام أو غيرها.

إلا إن مملكة يهوذا لم تستمر في عهدها لنبوخذ نصر الثاني، فجهز حملة عسكرية أخرى لها في حدود العام "587 قبل الميلاد" وتمكن بعد مدة محاصراً لهـا مـن الـدخول إليهـا. وفي هـذه المرة اضطر نبوخذنصر إلى تهجير جُل سكان يهوذا عن أورشليم والبالغ عددهم نحـو 4. ألـف أسير إلى بابل والذي عُرِفَ لاحقا في التوراة باسم السبي البابلي الثاني. ثم كانت الفرصة الأخيرة لتعديل المسار لكفار بني اسرائيل والعودة لحظيرة الإيمان، حين بعث اللـه المسيح عيسى ابن مريم والذي يعرفونه لأنهم يجدونه في التوراة بأوصافه ويعرفون لماذا سيرسَل.
﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ"48" وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللـهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللـهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"49" وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُونِ"50" إِنَّ اللَّـهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ"51"﴾[1].

ورغم ما يعرفونه عنه من التوراة، وانه آخر انبيائهم، الا انهم واصلوا تمردهم عـلى احكـام اللـه وتحديهم للإرادة الإلهية، فـتمادوا في كفـرهم وانكـروا ان عـيسى – عليـه السـلام - هـو النبي المنتظر وعادوه وحـاربوه والبـوا الرومـان عليـه إدعـاءً بـأن دعوتـه مصـدر خطـر عـلى امبراطـوريتهم لـو انـتشرت، بـل انهـم حـاولوا وأد دعوتـه في مهـدها، حـين كشـفوا للحـاكم

1- آل عمران

الروماني لفلسطين هيرودس، عن ظهور نجم ميلاد الأنبياء معلناً عن ميلاد نبي مذكور في كتبهم انه لو عاش فسيهدم الدولة الرومانية، واقترحوا عليه قتل كل مواليد بني اسرائيل من الذكور حتى سن عامين، ليضمنوا مقتل المسيح بينهم، ولكن الله انقذ نبيه فهرب مع امه مريم العذراء الى مصر وظلوا بها حتى انتهت المحنة وعادوا الى الناصرة.

ونلاحظ في هذه القصة أمرين:

الأول: إن أحبار بني اسرائيل كانوا يعرفون بأمر المسيح من التوراة وانه سيدعوا بني اسرائيل للهداية والعودة لطاعة الله وهذا مالا يريدونه، لذلك تآمروا على قتله وليداً كحلقة جديدة من حلقات اصرارهم على تحدي ارادة الله وقدرته وسيطرته على كونه الذي يرون انه خلقه فقط ولا يجب ان تكون له سيطرة عليه او على خلقه او تدخل مباشر او غير مباشر في الأحداث،بل يجب ان يتركهم لأقدارهم وتباين قدراتهم وقوتهم دون تدخل منه عز وجل. ورغم ان مؤامرتهم هذه فشلت وتم ما قدر الله إلا انهم واصلوا سياستهم المتحدية حين اكتشفوا ان المسيح بدأ دعوته فحاربوه وعادوه وتآمروا على قتله، فرفعه الله اليه فقبضوا على شبيهه يهوذا وصلبوه، ظناً منهم انهم قتلوا المسيح

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللـهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا"157" بَل رَّفَعَهُ اللَّـهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّـهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"158"﴾[1].

الثاني: ان هناك سياسة ثابتة لكبار بني اسرائيل في كل الدول التي عاشوا في كنفها، وهي قدرة كبارهم – من الأحبار والتجار وكبار رجال المال - على التسلل الى بلاط الحاكم وتقربهم منه مستغلين معلوماتهم المستمدة من التوراة وتجرؤهم على تحريف التوراة بآيات ترضى الحاكم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّـهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾"79"[2].

وكذلك قدراتهم الشيطانية في تدبير المؤامرات والمكائد والدسائس لكسب ثقة الحاكم ويُسخرون ذلك لتحقيق مصالحهم الشخصية، ويضحون في سبيله بالفقراء من قومهم

1- النساء

2- البقرة

ويسخرونهم لتنفيذ مآربهم الخاصة، مثلما حرضوا الحاكم الروماني على قتل كل اطفال بني جلدتهم ليضمنوا مقتل المسيح عليه السلام ... ولعل قارون اصدق مثال على هذه السياسة في مصر في زمن فرعون موسى عليه السلام

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللـهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾"76"[1].

كما يؤكد القرآن الكريم حقيقة هذا التآمر الداخلي لبني اسرائيل في مواقف عديدة منها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ"84" ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"85" أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ"86"﴾[2].

ولعل محاربتهم للمسيح عليه السلام، ومحاولة منع فقراء بني اسرائيل من الإستجابة لرحمة اللـه المهداة لهم في صورة المسيح – عليه السلام -، الذي جاءهم بالدعوة الحق والتي ترحمهم من استغلال كبار بني اسرائيل لهم وتسخيرهم لخدمة اغراضهم الدنيئة، لعل في ذلك اوضح تعبير عن هذه السياسة الشيطانية لكبار بني اسرائيل والتي كانت سبباً في عدائهم الشديد للمسيح – عليه السلام - بإعتبار انه جاء بدعوة تفسد عليهم سيطرتهم على فقرائهم وبالتالي تهدد مصالحهم التي عصوا اللـه اصراراً عليها فلم يتورعوا عن التدبير لقتل المسيح– عليه السلام - من اجل هذا، ولكن اللـه انقذ نبيه، كما نصر اتباعه المؤمنين على الكفار

﴿إِذْ قَالَ اللـهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾"55"[3].

هذه هي السياسة الثابتة لقادة بني اسرائيل تجاه حكام الدول التي يعيشون فيها،فإذا كان بنو

1- القصص

2- البقرة

3- آل عمران

اسرائيل مشتتون في اغلب بقاع العالم ويمارسون نفس السياسة بكافة الأساليب الملتوية والشيطانية والخسيسة،فكيف يكون حال العالم؟ كانت هذه هي البداية من بني اسرائيل، تمرد وعصيان دائم ورفض للإلتزام باوامر اللـه واصرار على الحياة بمعايرهم هم لا بحدود اللـه، يريدون النعمة والتفضيل والإمتيازات والدعم ولا يريدون الإلتزام في العبادات والمعاملات، يعترفون بوجود اللـه وانه خالق الكون، ولكنه ليس مدبر الأمور، ويرفضون سلطته عليهم، بل ويرون في انفسهم قدرات ليست لله وحقوق لم يكفلها لهم، لذلك اتوا بالكثير من الجرائم والموبقات.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللـهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللـهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾"181"[1].

وكانت النهاية المنطقية هي غضب اللـه عليهم ولعنته لهم، هو وانبياءه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"78" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"79" تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ"80"﴾[2].

ومن يغضب اللـه عليه فلا مرد له،وقد ادركوا ذلك وعانوا منه الأمرين ومع ذلك لم يرتدعوا رغم ان اللـه اخبرهم في القرآن الكريم ان امامهم فرصة اخيرة وحدد لهم عواقبها، فبعد ان ذكرهم بما حدث لهم من الملك البابلي نبوخذ نصر،

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا"4" فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا"5"﴾[3].

عاد الرحمن الرحيم ومنحهم فرصة اخيرة رغم انه يعرف بعلمه الأزلي وبما قدر في كتاب الوجود انهم سيفسدوا للمرة الثانية وستكون عاقبتهم وخيمة

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا"6" إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا"7" عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا"8"﴾[4].

1- آل عمران

2- المائدة

3- الإسراء

4- الإسراء

لقد سلك بنو اسرائيل نفس سلوك ابليس حين طرده اللـه من رحمته، فبدلاً من ان يستفيد من الفرصة التي منحها له اللـه بتأجيل عقابه الى يوم البعث في التوبة والإستغفار، اعلن انه سيستغلها في إغواء بني آدم ليثبت لله انه لم يكن يستحق ان يطرده من رحمته من اجل آدم وذريته ... نفس الأمر حدث من بني اسرائيل حين غضب اللـه عليهم حيث تمادوا في غيهم واصروا على سياستهم بدلاً من الإستغفار والتوبة والندم.

وما محاولتهم قتل عيسى عليه السلام وليداً، ثم التآمر لقتله نبياً إلا صور اخرى من تحديهم لله كما ذكرنا. تمادوا في تحديهم للقدرة الإلهية بعد ذلك في محاولة لإثبات انهم ليسوا الوحيدين الرافضون لسلطة اللـه بل كل البشر، خاصة المؤمنون من المسيحيين والمسلمين يجب الا يكون على الأرض متدينين عابدين لله حق عبادته، لكي يكون الكل سواء امام اللـه يوم الحساب، يحاولون رغم علمهم ان اللـه قدر غير ذلك

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللـهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"32"[1].

ولكنه التمادي في تحدي الإرادة الإلهية ومحاولة اثبات ان اللـه ظلمهم فيما قدره عليهم.

ونلاحظ ان حديث القرآن الكريم عن بني اسرائيل بصيغة التعميم، هذا التعميم يعني ان الغالبية العظمى منهم على هذه الشاكلة. ولكن كيف بدأ بنو اسرائيل اولى خطواتهم سعياً لتحقيق هدفهم مع اللـه بعد بعث عيسى عليه السلام وتآمرهم عليه؟ معركتهم الأولى كانت مع المسيحية والمسيحيين ... في ظل حكم الدولة الرومانية. وقد البوا الرومان على المسيحيين المؤمنين فمارسوا معهم كل انواع الإضطهاد والتعسف والقتل والتعذيب وحرق نسخ الإنجيل، وتعرض المسيحيين لعشرة فترات اضطهاد من الأباطرة الرومان لعل اشهرها إضطهاد نيرون الذي احرق روما والصق التهمة بالمسيحيين بتحريض من بني اسرائيل عام 64 م، وبتدبير من بني اسرائيل ايضاً كان إضطهاد دقلديانوس الشهير عام 3.3 م. وسقط في فترات الإضطهاد هذه ملايين الشهداء المسيحيين في مختلف ارجاء الإمبراطورية الرومانية، ومع ذلك كانت المسيحية الحقة تنتشر بصورة اذهلت بني اسرائيل وحافظ المسيحيون على نسخ اصلية من الإنجيل رغم حرص بني اسرائيل على احراق كل النسخ ولكنها ارادة اللـه التي لا سبيل لتحديها. وعندما ادرك بنو اسرائيل انه لا سبيل للقضاء على المسيحية غيروا خطتهم لتشويه وتحريف الديانة المسيحية فدسوا عليها الخرافات والأباطيل، وتحمست الإمبراطورية الرومانية التي دخلت المسيحية عام 324 م لإباطيل بني اسرائيل لأنها

1- التوبة

تتفق مع الديانة الوثنية السابقة للدولة الرومانية، فاستمر إضطهاد الرومان لمـن يخـالفهم في العقيدة المسيحية. ورغم تصدي رجال مؤمنون مثل آريوس ونسطور لتحريفات بني اسرائيـل إلا ان التيار كان اقوى منهم ونجح بنو اسرائيل اخيراً في تشتيت الديانة المسيحية الأصلية بـين فرق كثيرة اختلفت فيما بينها في جوهر الديانة المسيحية الا وهي طبيعة السيد المسيح، حتى وصلت الى 58 فرقة اختلفت فيما بينها في عشرة نقاط جوهرية هي:

1- منهم من قال بأن المسيح، وأمه إلهان من دون اللـه، وهم فرقة البربرانية.

2- ومنهم من قال بأن المسيح كشعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى، وهـي مقالة سابليوس وشيعته.

3- ومنهم من قال بأن المسيح إنسان حلت فيه النعمة الإلهية بالمحبـة، والمشـيئة وسـمي ابن اللـه لذلك وهذه مقالة "بولس الشمشاطي"، وقوله قريب من قول الموحدين ...

4- ومـنهم مـن قـال إن المسـيح إلـه كامـل، وإنسـان كامـل، وأنـه اجتمـع فيـه اللاهـوت والناسوت بإرادتين، ومشيئتين،وهو ما خرج بـه مجمـع نيقيـة الأول، وفرضـه في الإمبراطوريـة الرومانية.

5- ومنهم من قال بأن روح القدس إله مع اللـه والإبن، وكفَّر من قال بغير ذلك.

6- ومنهم من قال بأن روح القدس مخلوق مصنوع، وليس بإله.

7- ومنهم من قال بأن المولود من مريم هو الإنسان، وليس الإله، وأن المسـيح متحـد مـع اللـه بالمحبة والموهبة فقط، أي لم يجتمع فيه اللاهوت والناسوت، وهي مقالة نسطور.

8- ومنهم من قال بأن المسيح لما اتحد فيه اللاهـوت بالناسـوت تحـول إلى طبيعـة واحـدة وهـي مقالـة ديسـقورس بطريـرك الإسـكندرية، ومَـن شـايعه، وكفَّـر مـن يقـول بـالطبيعتين والمشيئتين.

9- ومنهم من قال بأن المسيح اجتمع فيه اللاهوت والناسوت،وأصـبحا طبيعتـين ومشـيئتين ووجه واحد، وأقنوم واحد، وهذه العقيدة هي التي خرج بها مجمع خليقدونية سنة 451م.

10- ومنهم من قال بأن المسيح له طبيعتان ولكن له مشيئة واحدة، وليس مشيئتان وهي مقالة يوحنا مارون، ومن شايعه.

نجح بنو اسرائيل في تعكير صفو أمن المسيحيين وابعدوهم عن اسباب الأمـن الحقيقيـة ألا وهـي التوحيـد الخـالص باللـــه الواحـد الأحـد، بتقسـيم الديانـة المسـيحية الى اثوذوكسـية وكاثوليكية وبروتستانتية وشهود يهوه ... طوائف متباينة تكاد تكون اديـان مختلفـة، وبعـض معتقداتها تمس الذات الإلهية في سموها وجلالها ووحدانيتها ... ثم تحولوا للإسلام.

الباب الثاني: الأمن في الإسلام

مقدمة الباب الثانى

وصلنا من الباب الأول إلى حقيقة أن الأمن حتى نـزول الاسـلام كـان مفتاحـه الاسـاسى هـو الايمان بالـلـه، ورأينا حال العرب فى ظل عبادة الاصنام من إغارات وسلب ونهب. لذلك يبـدو لنا أن امر الإستقرار الأمني للمسلمين في المدينة المنورة منطقـي وهـين، فجماعـة المسـلمين فى المدينة – سواء مهاجرين أو انصار- كانوا على درجة كبيرة من قوة الإيمان يزيـد منهـا بشـكل مطرد، ما يُنَزّل عليهم من آيات قرآنية فى مناسبات عديدة تدعم هذا الإيمان وتعمقه وتكمـل لهم الشريعة السماوية الخاتمة، كما أن بينهم رسول الـلـه "صـلى الـلــه عليـه وسـلم" يكمـل ويشرح بأفعاله وأحاديثه الآيات القرآنية، فهو القائد الموحى إليه والقدوة الحسنة

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الـلـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الـلــهَ وَالْيَـوْمَ الْآَخِـرَ وَذَكَـرَ الـلــهَ كَثِيرًا﴾ "21"[1].

وهو الذى قرن المولى عز وجل طاعته جل فى عـلاه بطاعـة رسـوله فى كـل موضـع أمـر فيـه بطاعته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا الـلـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَـازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الـلـهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالـلـهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ "59"[2].

فليس هناك أمان أكثر من ذلك فيما بينهم خاصة بعد المآخاة، كما أنهـم عاهـدوا فصـائل اليهود الثلاث فى المدينة: بنو قينقاع – بنو النضير – بنو قريظة، فأمنوا بـذلك شرهـم ... هـذا عن الشأن الداخلى للمدينة، أما عن الشأن الخارجى فصحيح أن الاخطار والاعداء والمتربصـين يحيطون بالمدينة من كل جانب ولكن انتصار المسلمين فى بدر، قد ارهب الاعداء ودعـم ثقـة المسلمين فى نصر الـلـه لهم.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ الـلـهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا الـلـهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ "123"[3].

1- الأحزاب

2- النساء

3- ال عمران

تطبيقاً لقاعدة: الإيمان يؤدى للأمان والانتصار ...

فلماذا يفكر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فى انشاء هذا الجهاز المستحدث فى أعقاب غزوة بدر وفى اسرع وقت ممكن؟ لاشك ان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" قد أُوحي اليه بأن هذه القاعدة الأمنية لم تعد كافية لأمن البشر. الإيمان باللـه لم يعد كافياً. لقد أهتزت هذه القاعدة بشدة مع وجود بنى اسرائيل في المدينة، فهم أصحاب أول رسالة سماوية، وهم الذين قال عنهم الولى عز وجل انهم لم يتركوا نوعاً من انواع المعاصى الا ارتكبوها ...

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ "78" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ "79"﴾[1]. حتى قتل الانبياء.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ "70"[2].

واستمروا على هذا الحال بعد أن انتشروا فى كافة أنحاء المعمورة، وما اشتهروا به بين العرب من نشر المفاسد والربا والغش فى التجارة والخيانة. وأنهم مَن أخبر العرب عن نبى آخر الزمان وانه سيخرج في بنى اسرائيل وكانوا يتوعدون العرب بالدمار والهلاك حين يظهر هذا النبى ...

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللـهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللـهِ عَلَى الْكَافِرِينَ "89" بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللـهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللـهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ "90"﴾[3].

وكيف أنهم عرفوا بميلاده حين ولد، ولما وجدوه من العرب حاولوا أكثر من مرة قتله ... وزاد يقينه بأهمية استحداث هذا الجهاز حين تذكر الحصين بن سلام، ذلك الحبر اليهودى الأكبر والذى أسلم حين رأى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وتأكد من أنه النبى المنتظر، واسماه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" عبداللـه بن سلام، هذا الرجل اخبرهم

1- المائدة

3- المائدة

4- البقره

أن التوراة التى بين يدى بنى اسرائيل تؤكد أن نبى آخر الزمان سيخرج من العرب، وانه كـان يتعجب منهم ويراجعهم حـين يسـمعهم. فيؤكـدون انـه سـيخرج مـن بنـى اسرائيـل، وكـانوا يقولون له ان اللـه سيغير هذا الأمر ويرسله فى بنى اسرائيل لأنهم شعب اللـه المختار.

وضع رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" كل هذه الأمـور في إعتبـاره وهـو يرتـب لإقامـة دولة مسلمة اولى في المدينة، وان بني اسرائيل موجـودون فى المدينـة، وأنهـم لا عهـد لهـم ولا ذمة.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ "56"[1].

فالاعداء ليسوا خارج المدينة فقط بل وفى داخلها ايضاً ... وبدأ رسـول اللــه "صـلى اللــه عليه وسلم" يتصور مهمة هذا الجهاز الذى يريد انشاؤه والهـدف منـه، وتـذكر رسـول اللــه "صلى اللـه عليه وسلم" ايضاً الخطة الأمنية التى اتبعها والمسلمون فى مكة عند نزول الإسـلام بأمر اللـه ووحيه، لاشك انها جزء من الخطة الأمنية الجديدة التى سيضعها بأمر اللـه، والتى لا تكتفى بالعقيدة فقط كضمان للأمن بل يجب أن تكون عقيدة وعمل معاً.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـالِمِ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ "105"[2].

1- الأنفال

2- التوبة

الفصل الأول: البداية

- سرية عمير بن عدى ... رمضان من العام الثانى للهجرة
- غزوة بنى قينقاع ... شوال من العام الثانى للهجرة
- غزوة السويق ... ذى الحجة من العام الثانى للهجرة
- غزوة قرقرة الكدر ... محرم من العام الثانى للهجرة
- سرية قتل كعب بن الأشرف ... ربيع الأول من العام الثالث للهجرة.
- غزوة غطفان "ذو أمر" ... ربيع الاول من العام الثالث للهجرة
- سرية زيد بن حارثة للقردة ... جمادى الأخر من العام الثالث للهجرة
- غزوة أحد ... شوال من العام الثالث للهجرة
- غزوة حمراء الأسد ... في اليوم التالي مباشرة لغزوة أحد
- سرية عبد الـلـه بن انيس ... محرم من العام الثالث للهجرة

هبط الوحى على محمد بن عبدالله القرشى الأمى، وكلفه الله بإبلاغ رسالة الإسلام والتوحيد ونبذ عبادة الاصنام ومفاسد السلوكيات.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾"157"[1].

ولم يكن في ذلك يختلف عن سائر الانبياء والرسل الذين سبقوه وكلفهم الله بدعوة الناس للعودة إلى الطريق المستقيم وعبادة الله الواحد، ولكن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" اتخذ منهجاً مخالفاً فى نشر الدعوة، لاشك ان الله هو الذى أمره به، وهذا المنهج يمثل وجه آخر من اوجه تميز الاسلام عن سائر الاديان الاخرى.

كان كل نبى يدعو قومه جهراً للدين الحق ويصبر عليهم ويقدم لهم الأدلة والبراهين الساطعة والتى تنوعت من نبي لآخر، ثم ينذرهم العقاب ثم يهجرهم بمن أتبعه. ليحل بهم العذاب ... وكان اكثر من يعارضه علية القوم. ولعله لو بدأ بدعوتهم لأستجاب الكثير منهم. كما فعل رسول الله "صلى الله عليه وسلم". ولكن سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" بدأ بدعوة أهل بيته فآمنت به زوجته ثم الصبى ابن عمه على بن ابى طالب ثم خادمه زيد بن حارثة. وبذلك أمن النطاق الاول المحيط به، وربما كان كل الانبياء قد فعلوا ذلك فى البداية قبل الجهر بالدعوة، ولكن الخطة الأمنية التي اتبعها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بوحي الله. جعلته يبدأ الدعوة فى النطاق الثاني حوله بأقرب اصدقاءه وهو من علية القوم، أبي بكر بن أبي قحافة. ذلك لأنه كان من المعتدلين فى الجاهلية فلم يشرب الخمر ولم يسجد لصنم، اذن كان مهيئاً للإيمان بالدعوة وهو ما حدث بالفعل بل واستطاع أن يقنع خمسة ممن يثق فيهم. ويشابهونه فى السلوك وهم: عثمان بن عفان. والزُّبَيْر بن العوَّام. وعبد الرحمن بن عوف. وسعد بن أبي وقاص. وطلحة بن عبيد الله ... فآمنوا بهذه الدعوة ...

وبعد أن دُعِّمَت الدعوة بمجموعة من علية القوم. بدأت الدعوة بين الموالى والعبيد والمستضعفين فلاقت قبولاً بل وحماساً عظيماً. للأمل في انقاذهم من حياة الرق والإضطهاد. واستناداً لمن سبقهم للإسلام من علية قريش.

1- الأعراف

ثم كانت الخطوة التالية من الدعوة حين أمره اللـه أن ينذر عشيرته الاقربين.
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾"1"214".

فأقام وليمة لأعمامه وأقاربه وأخبرهم بأمر نبوته فتباينت ردود الأفعال بين الدعم والحماية دون إيمان كحال عمه أبي طالب، وبين السخرية وشدة العداء، مثل عمه ابولهب. ورغم ان ابا لهب قد اخبر سادة قريش بما اعلنه محمد ابن اخوه من النبوة. إلا أن قريش لم تهتم بما قاله واعتبروه ضمن من يترهبنون ويتحنثون في قريش. وكانت مكة قد رأت منهم زيد بن نوفيل وعبيد اللـه بن جحش وورقة بن نوفل الذين رفضوا عبادة الأصنام وتنصر بعضهم وهام البعض على وجهه ينتظر نبي آخر الزمان المنتظر. وكانوا يعلمون ان محمداً يتحنث في غار حراء في رمضان منذ ثلاث سنوات. فاعتبروه من بينهم ولم يهتموا كثيراً بما يقوله ولم يخطر ببالهم انه بالفعل نبي آخر الزمان المنتظر. وربما كان بعضهم غير مصدق او لايريد ان يصدق امر هذا النبي المنتظر. فالأحوال آمنة ومرضية ومستقرة في ظل هذا النظام القائم. والأمن كما اكدنا هو غاية الإنسان منذ وجد على الأرض. لذلك كانت اي فكرة تهدد صفو هذا الوضع مرفوضة تماماً بل وكابوس مزعج. وهذا سر ردود الأفعال المتباينة من قريش ازاء الجهر بالدعوة بحسب استقرار الفرد على هذا النظام واستفادته منه وأمنه فيه. فكلما كان مستفيداً آمناً كلما زادت حدة عداءه لهذا الدين الجديد. خاصة ان هذا الدين كشف الظلم الواقع في الحياة في مكة ما بين حياة السادة المترفة الناعمة وحياة العبيد والأرقاء والموالى الضنك البائسة. فقد نادى الدين الجديد بالعدالة بين هؤلاء وهؤلاء. وربما لو علموا ان اتباع هذا الدين سيعلي من شأنهم اكثر واكثر على العالم كله وليس العرب فقط لأتبعوه فوراً ولكن اللـه حرم الهداية على من لايستحق منهم. فرفضوا خير هذا الدين كما رفضته الأمم البائسة السابقة.
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾"2"96".

المهم أن الدعوة انتقلت للنطاق الثالث المحيط به، كل هذا فى سرية تامة، فكان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" هو اول نبى يبدأ دعوته سراً وبخطة عرض متدرجة ... وقد

1- الشعراء
2- الأعراف

استمرت الدعوة سراً ثلاث سنوات حتى زاد عدد المسلمين وقوى إيمانهم، بعدها بدأ الجهر بالدعوة وبدأت ثورة قريش وتنوعت ردود أفعالها بين محاولة مراجعة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فى امر هذه الدعوة، وتهديدهم له ثم الإيذاء لأتباعه الضعفاء والذى وصل لحد التعذيب والقتل ... دون أن يُسمَح لهم بالرد أو الدفاع عن النفس لاختبار قوة الإيمان وصلابته، وحتى عندما اشتد التعذيب على عمار بن ياسر واضطر للمجاهرة بالكفر بما جاء به محمد "صلى الله عليه وسلم" ليرحم نفسه فقط وندم على ذلك اشد الندم. نزلت الآيات تلتمس له ولمن يكون في حاله العذر وتقدم مبدأً هاماً من مبادئ التأمين الذاتي. وهو الخداع الإستراتيجي.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ "106"[1].

وعندما اشتد الايذاء كانت هجرة الحبشة الأولى، وهى هجرة تختلف هى والهجرة الثانية. بل والهجرة ليثرب عن هجرات الانبياء السابقين مثل نبي الله ادريس وهجرة خليل الرحمن ابراهيم- عليهما السلام- فكلتاهما كانت بعداً نهائياً عن ارض الشرك ولنشر دين الله فى بقاع أخرى من الارض ... هجرة دون نية العودة فيمكن ان نسميها رحيلاً. فالرحيل هو إبتعاد بدون نية الرجوع، أما هجرات المسلمين فكانت هجرات تكتيكية مؤقتة بنية العودة مره أخرى حين تتحسن الأحوال، وتحسُن الأحوال هنا هو انتشار الإيمان بالإسلام ... والدليل على ذلك أنهم كانوا فى هجراتهم حتى للمدينة يكابدون الشوق للعودة لمكة البلد الحرام، وكذلك عندما خدعهم أحد تجار قريش المتاجر فى الحبشة وأخبرهم أن قريشاً دخلت فى الاسلام، عاد العديد من المسلمين على جناح السرعة من الحبشة ووقعوا فى الفخ، وكان درساً أمنياً هاماً فى ضرورة تعدد مصادر الخبر والتأكد من مصداقيته قبل التصرف على اساسه.

أما اختيار اماكن الهجرة سواء الحبشة او يثرب، فكل منهما درساً أمنياً هاماً فى اختيار مكان الهجرة المؤقتة لبعض اتباع الدعوة، فالحبشة كان يحكمها الملك النجاشى وكان مسيحياً فى عهد كانت النصرانية قريبة من الاسلام وفي انجيلها الأصلي البشارة الواضحة بنبى آخر الزمان، فالذى طمئن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن ما يأتيه هو الوحى

1- النحل

وانه النبى المنتظر، كان ورقة بن نوفل النصراني. لذلك أُمِر اللــهَ رسوله "صلى اللــه عليه وسلم" أن يأمر اصحابه بالهجرة للحبشة لأن النجاشى سيصدقهم ويحميهم حين يسمع منهم القرآن ... وهو ما حدث بالفعل. أما الهجرة ليثرب فقد تمت بناءاً على إسلام وفد الأوس والخروج وترحيبهم باستقبال النبى والمسلمين وحمايتهم مما يحمون منه أهلهم.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"[18] وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللـهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"[19]﴾[1].

ولأنهم كانوا يعرفون من اليهود فى يثرب بأمر نبى آخر الزمان وانه المنتصر وان منطلق إنتصاره من يثرب. وقد تأكدوا انه محمد "صلى اللــه عليه وسلم" فأرادوا أن يشاركوه الانتصار وأن ينهوا به وبالإسلام الخلاف الأزلى والحروب الدامية بين القبيلتن. أما بالنسبة لرسول اللــه "صلى اللــه عليه وسلم" فقد كانت هذه الهجرة مناسبة ليتفرد الاسلام دون باقى الاديان بإقامة دولة نموذجية ينشر من خلالها دين اللــه ويضع اسس مجتمع مسلم نموذجى فى كافة مجالاته سواء الدينية أو الحياتية كالعلاقات الاجتماعية من تآخى وتكافل وتراحم، أو النظام الاقتصادى الأمثل الذى يُحل البيع ويحرم الربا وتكون التجارة فيه شعارها الامانة والذمة ... كما ان الدولة ستقدم درساً فى فنون العمل السياسى والعسكرى ... وهاهى هذه الدولة تقدم ايضاً للعالم جهازاً هو الاول من نوعه فى التاريخ، جهازاً مهمته تأمين الدولة داخلياً وخارجياً بأسلوب منظم وممنهج، ليتحقق الأمن وهو المُناخ المناسب والأساسى للعبادة، كما أنه قد يوفر على الدولة القتال فى مواقف عديدة، بل وقد يكون وقاية من أخطار مفاجئة ومباغتة. واسلوب الرسول "صلى اللــه عليه وسلم" في خطة الهجرة واجراءاتها واحتياطاتها في ذاته درساً امنياً رائعاً وسلوكاً غير مسبوق بين العرب دُهِش له وتعلم منه الصديق والمسلمون. كان من الممكن كما نقله اللــه نقلة إعجازية من مكة إلى بيت المقدس على البراق. أن ينقله وحده او معه صاحبه إلى يثرب. لكن اللــه أعطانا درساً لا يُنسى من خلال رسوله الكريم "صلى اللــه عليه وسلم". فقد هيأ من يأتيه بالأخبار. هيأ من يمحو الآثار عقب سيرهم فلا يُستَدل عليهم من آثار الأقدام كما اعتاد العرب وبرعوا في تقصي الأثر. هيأ من يأتيه بالزاد ... مشى من ناحية ساحل البحر وهو طريق غير مألوف. قبع في غار ثور أياماً ثلاثة. هيأ راحلة. هيأ خبيراً غلبت عليه الخبرة لا الولاء لباقي الطريق بعد الخروج من الغار. كان الخبير مشركاً. أخذ بالأسباب كلية. فلما

1- الفتح

وصلوا إليه وهو في الغار.﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللـهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا ثَـانِيَ اثْنَـيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللـهَ مَعَنَا﴾ توكل على اللـه.

﴿فَأَنزَلَ اللـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللـهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾"4"[1].

ونلاحظ الفارق بين قول رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في هـذا الموقـف العصيب لصاحبه ورفيق رحلته "ان اللـه معنا" وقول سيدنا موسى لبنـي اسرائيـل عنـد خـروجهم مـن مصر. حين واجههم البحر ولحق بهم جيش فرعون وهددهم الهلاك.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ"61"﴾

قال سيدنا موسى. ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ"62"﴾[2].

وفي الهجرة للمدينة كانت عملية المآخاة بين المهاجرين والانصار درساً أمنياً رائعاً واظهاراً لمشاعر الأثرة بين المسلمين.وأخيراً المعاهدة مع اليهود رغم محاذيرها وتوقعات الغدر فيها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللـهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"77"[3].

بدأ العمل الأمني لهذا الجهاز في اعقاب غزوة بدر الكبرى، وكان المسلمون - وعلى غير المعتاد – قدعرفوا بتحرك قريش لحربهم. حين وصل مـن يخبرهم ان قريشاً قد تحركت بجيش كبير للهجوم على المسلمين استجابة لإستغاثة ابي سفيان لإنقاذ القافلة العائدة من الشام من تعرض المسلمين لها. وواضح ان اهمية الخبر قد الهتهم عمن اوصل لهم الخبر. وبعد إفلات ابي سفيان بالقافلة كان من المتوقع ان يعود جيش قريش ادراجه لأن الهدف من التحرك انتفى. ولكن بلغهم بعد ذلك أنهم رفضوا التراجع وواصلوا السير. ومرة اخرى لم يهتم المسلمين بمن ارسل لهم الخبر خاصة بعد ان تأكدوا منه. فاحسنوا الاستعداد لهم.

1- التوبة

2- الشعراء

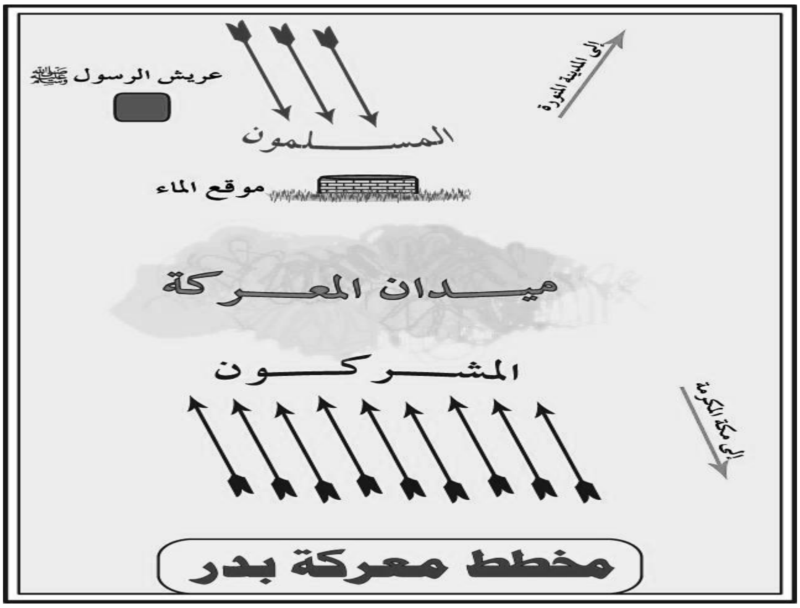
3- آل عمران

وبعد الإنتصار في الغزوة. ادرك المسلمون ورسولهم الكريم "صلى الـلـه عليه وسلم" اهمية ان تكون هناك مصادر معلومة ومؤكدة للأخبار من كل مكان به اعداء.

وما حدث في بدر نفسها. به اكثر من درس أمني الهـي. فقـد خـرج المسـلمون- مهـاجرين وانصار – في عدد قليل وهو ثلاثمائة وثلاث عشر مقاتل. ليواجهـوا الـف مقاتـل مـن صـناديد قريش وفرسانها.

المواجهة غير متكافئة بالحسابات الدنيوية. ولكـن الفئـة القليلـة تـدافع عـن ديـن الـلــه والفئة الكثيرة خرجت للقضاء على دين الـلـه. فلمن تكون الغلبة.

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الـلـهِ وَالـلـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ "249"[1].



مخطط معركة بدر

وكان المسلمون مرهقين جسدياً. فهم عائدون لتوهم من مطـاردة عـير قـريش التـي كـان يقودها ابو سفيان. كما انهم متوترون ويحاولون الثبات. فيتدخل المولى عز وجل.

1- البقرة

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾"11"[1].

وكان درساً امنياً هاماً في اهمية ايجاد القيادة لأيـة وسـيلة معنويـة لتهيئـة الجنـود بـدنياً ونفسياً قبل الإشتباك في القتال خاصة عندما يبدو انه قتال غير متكافئ بالحسابات الإنسانية. ولأن اللـه وعد المؤمنين ووعده صادق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللـهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾"7"[2].

ما ان بدأ القتال وثبت المؤمنون.حتى حقق اللـه وعده ليطمئن رسوله الذي انخلـع قلبـه على المؤمنين.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْـزَلِينَ"124" بَـلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[3].

رغم ان اللـه قادر على نصر المؤمنين دون دعم الملائكـة. ولكنـه عـز وجـل أراد ان تكـون هذه المعجزة دعماً للمؤمنين ورعباً للكفار خاصة وانهم شاهدوا الملائكة تحاربهم.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُـمْ فَثَبِّتُـوا الَّـذِينَ آَمَنُـوا سَـأُلْقِي فِي قُلُـوبِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾"12"[4].

وحتى لايغتر المسلمون بأنهم هزمـوا قريشـاً بقـوتهم وحـدهم . ومـا حـدث كـان تأكيـداً جديداً على ان الإيمان الذي يصدقه العمل هو سبيل الأمن الإلهي. ولأن قـريش عـدو دائـم لا يهدأ. اذن لابد من وجود من يداوم على ارسال اخبارها للمدينة، فمَـن يقـوم بهـذه المهمـة؟ فالمفروض ان كل مسلمى مكة قد هاجروا إلى المدينة؟ وكان العباس عم رسـول اللـــه "صـلى اللـه عليه وسلم" مازال فى الأسر وأنه لم يقاتل فى بدر واستسلم للأسر بسهولة، فهل يمكـن أن يكون هـو الرجـل المطلـوب للعمـل لصـالح ابـن اخيـه؟ لم يكـن الرسـول "صـلى اللـــه عليـه

1- الأنفال
2- محمد
3- آل عمران
4- الأنفال

وسلم" يعلم أن فى مكة مسلمون يخفون إسلامهم ولم يستطيعوا الهجرة، وهم من نبه الله رسوله بشأنهم عند فتح مكة.

﴿ لَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ "25"[1].

قرر رسول الله "صلى الله عليه وسلم" انشاء هذا الجهاز واختار له أكفأ العناصر بوحي من الله وإجتهاد منه "صلى الله عليه وسلم" وشرح لهم المطلوب من هذا الجهاز وهو ايجاد مصادر معلومات موثوق بها توفر المعلومات اللازمة عن الأعداء ونياتهم تجاه دولة الإسلام وعلى رأسهم بلا شك قريش. وبدأ الرجال التفكير وكانت البداية. اقتراح الإستعانة بالعباس عم الرسول"صلى الله عليه وسلم"، وتم عرض المقترح ووافق رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على المقترح الخاص بالعباس وتم الإتفاق مع العباس بالفعل. ثم اجتمع "صلى الله عليه وسلم" مع هيئة إدارة هذا الجهاز وحدد لهم خطوات العمل وشروطها. وضرورة التنسيق بين عمل الجهاز والتحركات العسكرية. وكان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" هو رئيس الجهاز ومتخذ القرارات والمكلف بالمهام المحددة ليتعلم منه المسلمون، وكلف إدارة الجهاز بالبدء فى اختيار العيون فى القبائل المختلفة ومواصفات من يتم اختيارهم، وأوصى بتسجيل العمليات التى سيقوم بها الجهاز. كان العمل الذى كلف به رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قيادات الجهاز مقنعاً ومعبراً عن احتياجات المسلمين فى ظل تلك الظروف التى تحيط بالمدينة ولكنه كان غريباً عما الفوه هم واباءهم واجدادهم فى حياتهم القبلية فى بلاد العرب. لم يعرف العرب من أساليب الأمن فى حياتهم وحروبهم إلا ثلاثة أشكال:

1- المناطق الخمس التى ذكرناها فى الفصل الثالث من الباب الأول

2- فى حياتهم العامة لم يكن هناك سبيل للأمن فى القبائل أو القوافل إلا بنسبة ضئيلة. كانت العلاقات بين القبائل قائمة على الإغارات المفاجئة للسلب والنهب والسبى. وهذه لم يكن هناك من سبيل للوقاية منها فى القوافل حيث تقوم القبيلة بإرسال حرس مسلح محدود العدد بالطبع تحسباً لأية اغارة على القافلة. ولم يكن هذا الحرس كاف في أغلب الأحيان لصد الهجوم الذى يكون مفاجئاً وبأعداد أكبر من الحرس ومن فرسان اشداء. بل

1- الفتح

وظهرت مع الوقت عصابات من قطاع الطرق سماهم العرب بالصعاليك أو الشطار. وانتشرت هذه العصابات فى أغلب طرق القوافل وكانوا محترفين قتال ...

لذلك لم يكن حرس القوافل يجدى معهم. وكان الحال أسوأ فى مضارب القبائل حيث لم يكن من الممكن عمل حراسة طوال الوقت وفى جميع الاتجاهات لذلك كانت الاغارة على مضارب القبائل أسهل ...

ونتج عن ذلك ثارات متعددة بين القبائل جرت فى الأخذ بها بحار من الدماء. ولم تكن القبائل تلتقط أنفاسها إلا فى الأشهر الحرام. وحتى هذه كان المعتدون يتلاعبون فيها فيما بين شهر المحرم آخر الأشهر الحرم وبين صفر من خلال التحايل على أيام النسئ الخمس عشر فيقدمون صفر ويأخرون المحرم لتبدأ الإغارات ... وهو النظام الذى الغاه الإسلام.

فقد كان العرب قبل الإسلام يتبعون تقويماً مشابهاً للتقويم البابلي الذي نقله اليهود إلي الجزيرة العربية. وظل حتى ظهور الإسلام الأساس لتقويمهم الذي تمسكوا به حينما تواجدوا في أي مكان خاصة بعد أن استقر نظامه.

كان العرب قبل الإسلام يستخدمون تقاويم مختلفة ترتبط بأحداث مهمة. فقد كانوا يؤرخون للحوادث بالعام الذي بنيت فيه الكعبة وكان ذلك عام الف وثمانمائة خمس وخمسين قبل الميلاد. ولما اصبح هذا التاريخ موغلاً في القدم اخذوا يؤرخون بحادث انهيار سد مأرب باليمن في عام مائه وعشرون قبل الميلاد. كانت كل تلك التقاويم مبنية على حركة القمر الشهرية. وقد اشتهر قوم من بني كنانه في مسألة نسأ او كبس الشهور لكي تتوافق السنة القمرية مع السنة الشمسية ليكفلوا التوافق بين الشهور والفصول لتكون مواسمهم في الفصول المناسبة لإقامتها ... أو هكذا كان الهدف من النسأ ولكنهم اساءوا استغلال ذلك.

في حجةالوداع، نزلت على رسول الله "صلى الله عليه وسلم" آيتين كر يمتين تحدد فيهما نظام التقويم السليم وعلاج أخطاءه حتى يتحقق قول المولي عز وجل أنه عز وجل قد أكمل لنا الدين واتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً ...

أولي هاتين الاثنين هي السادسة والثلاثين من سوره التوبة وفيها يقول رب العزة.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللـهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللـهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللـهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾"36"[1].

كان المشركون يحسبون السنة اثني عشرشهراً وخمسة عشريوماً. فكان الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوماً. فكان المشركون يحجون في كل شهرعامين فحجوا في ذي الحجه عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفرعامين وكذلك في الشهور كلها.

وقد حج سيدنا ابو بكر الصديق سنة تسع للهجرة في ذي القعده بحكم الاستدارة ولكن النبي صلى اللـه عليه وسلم لم يحج هذا العام. فلما كان العام التالي وهو العاشر من الهجرة وافق الحج ذا الحجة في العشر ووافق ذلك الأهلة فحجه النبي صلى اللـه عليه وسلم وكانت حجة الوداع, ومجئ الحج في العاشر من ذي الحجه كان تفسيراً لما قاله صلى اللـه عليه وسلم من أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللـه السموات والأرض ... وهي المقولة الشهيرة في حجه الوداع.

وكان معني ذلك ان زمان الحج عاد إلي وقته الأصلي الذي عينه اللـه يوم خلق السموات والأرض بأصل المشروعية التي سبق بها علمه ونفذ بها حكمه.

ثم قال عليه الصلاه والسلام أن السنة اثنا عشر شهراً كنص الآية التي اشرنا اليها من سورة التوبة. وهوبذلك ينفي الزيادة التي زادوها في السنة وهي الخمسة عشر يوما والتي كانوا يتحكمون فيها. فتعين الوقت الأصلي وبطل التحكم الجهلي. وقوله عزوجل.

﴿ يوم خلق السماوات والأرض﴾ انما ليبين أن قضاءه و قدره كان قبل ذلك. وانه سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السماوات والأرض وانزل ذلك على انبيائه في كتبه المنزلة, وهو معنى قوله تعالى:

﴿إن عدة الشهورعند اللـه اثنا عشرا شهراً﴾ وحكمها باق على ماكانت عليه لم يُزِلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها وتقديم المقدم في الاسم منها. والمقصود من ذلك اتباع امر

1- التوبة

الـلـه فيه اورفض ماكان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها. وتعلقا لأحكام على الأسماء التي رتبوها عليه.

وتدل هذه الأية أيضاً على أن الواجب في تعليق الأحكام من العباد ات وغيرهـا، انمـا يكـون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والـروم والقـبط وان لم تزد على اثني عشر شهراً. لأنها مختلفة الأعداد. منها مايزيد على ثلاثين يومـاً ومنهـا مـاينقص، وشهور العرب لاتزيد على ثلاثين يوماً وان كان منهـا مـاينقص والـذي يـنقص لـيس يتعـين لـه شهر. وانما تقادتها في النقصان والتمام على حسب اختلاص سير القمر في البروج.

وفي قوله تعالى "منها اربعة حرم". الأشهر الحرم المذكورة في هذه الآية هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي الاخرة وشعبان. وهـو رجـب مضر. وقيـل لـه رجـب مضر لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجباً، وكانـت مضر تحـرم رجبـاً نفسه. فلذلك قال النبي صلى الـلـه عليه وسلم فيه أنه الذي بـين جـمادي وشـعبان ... ورفـع ماوقع في اسمه من الاختلال بالبيان.

وكانت العرب أيضاً تسميه فصل الأسنة. فقد روى البخاري عـن ابي رجـاء العطـاردي انـه قال: كنا اذا دخل شهر رجب قلنا مصـل الاسـنة. فلـم نـدع رمحـاً فيـه حديـدة ولاسـهماً فيـه حديدة الانزعناها فألقيناه.

اما قوله تعالى ﴿ذلك الدين القيم﴾ فمعناه ان ذلك هو الحساب الصحيح والعدد المستوفي. واستكمالاً لهذا التصحيح في التقويم جاءت الاية السابعة والثلاثين مـن سـورة التوبـة أيضـاً في حجة الوداع لتضعنه اية لقاعدة تقويمية كانت سائدة في اغلب التقاويم في كل ارجاء العالم ...

تلك هي ايام النسئ وهي كما ذكرنا ايام قليلة تستكمل بها عدة ايام العام، وكانـت هـذه الايام عند العرب خمسة عشر يوماً كانت تتسبب كما ذكرنا في اختلاف استدارة كل عام وكان ذلك يتضح في تداول موسم الحج عـلى مختلـف الشـهور وكـان يتسـبب أيضـاً في التلاعـب في الأشهر الحرم ... يقول المولي عز وجل.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّـهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّـهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [1"37"].

كان العرب في الجاهلية يحرمون القتال في المحرم. فإذا احتاجوا إلي ذلك حرموا صفراً بدله وقاتلوا في المحرم. وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات. فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية "ذو القعدة – ذو الحجة – المحرم" لايغيرون فيها ولايغنمون.

كل تشريعات واحكام الإسلام حتى في التقاويم وحساب الزمن. تدعو لإستتباب الأمن وتحرم دواعي الفوضي والإضطراب وانعدام الأمن.

3- أما فى حروبهم المنظمة وكانت قليلة. فلم يعرف العرب إلا الإستطلاع المحدود لمعرفة أخبار الجيش المعادى. ولم يكن فى كل الحالات. وهذا ما فعله المسلمون يوم بدر.

وكان هناك أسلوباً أخر لمعرفة أخبار جيش الأعداء وهو سؤال المسافرين القادمين من اتجاه هذا الجيش عما شاهدوه من هذا الجيش فى طريقهم. وكانت أحياناً ما تكون اخبار القادمين غير دقيقة. وربما كذبوا عن عمد كأسلوب تضليل وهو الاسلوب الذى احترفه نعيم بن مسعود الأشجعى كنوع من الحرب النفسية والخداع للفت فى عضد الجيش المعادى فيسهل قهره. وقد اشتهر بين العرب بهذا الاسلوب الماكر والذى كان ينفع دائماً. وهو الاسلوب الذى حاول اتباعه مع المسلمين فى غزوة بدر الآخرة ولكنه فشل لأول مرة ... كما سنرى فى حينه.

ولهذا تعجب القائمون على الجهاز من أسلوب العمل الاستخباراتى هذا والذى لم تعرفه العرب من قبل ... والذى كان دليلاً جديداً لهم أن محمداً هو رسول الله الذى يأتيه الوحى من السماء وإلا كيف استدل على هذه الأساليب؟ فحتى امبراطوريتى الفرس والروم لم تهتد إحداهما لهذه الأساليب رغم الحروب المستمرة بينهما ... لم تهتد احداهما مثلاً للتجسس على الاخرى بالأسلوب الذى سنراه مع جهاز الأمن الاسلامى النبوى الالهى.

نجحت عملية الاتفاق مع العباس عم الرسول "صلى الله عليه وسلم" وبدأ المسلمون فى التحرك بين القبائل لإختيار العيون بحسب تعليمات رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وذلك فى مجال الأمن الخارجى وعلى الفور بدأت عمليات الجهاز وكان أهمها بث العيون فى حصون يهود المدينة. من اليهود الذين اسلموا ... وقد استغرقت هذه العملية بعض الوقت، فلم تؤت

1- التوبة

ثمارها سريعاً، ثم كانت خطوة عمل دوريات أمنية داخل المدينة وخاصة حول حصون اليهود تحسباً لأى تصرف عدائى بعد انتصار المسلمين فى غزوة بدر وذلك فى مجال الأمن الداخلى.

وسنبدأ بحصر العمليات الأولية من غـزوات وسرايـا. والتـي اكتملـت بوفـاة رسـول اللــه "صلى اللـه عليه وسلم" لكي نرصد عمليات هذا الجهاز المستحدث. فـيم نجـح وفـيم اخفـق ولماذا. لأن هذه العمليات الأمنية تمثل مضمون نظرية الأمن الإلهي بعد الإسلام والتـي يجـب ان نقتدي بها ما استطعنا ليكون عملنا شرعي يرضى اللـه عنه.

والمعروف ان الغزوات هي المعارك التـي قادهـا رسـول اللــه"صـلى اللــه عليـه وسـلم" بنفسه وكانت حروباً تقليدية سواء دفاعية او وقائية او للتمكين لنشر دين اللـه. امـا السرايـا فكان يقودها احد الصحابة رضوان اللـه عليهم. وكانت عمليات خاطفة سريعة اشبه بحـرب العصابات لذلك كان عدد المشاركين فيها قليلاً يتناسب مع الحركة السريعة المطلوبـة. وكانـت بعض السرايا فردية.

ولنرى ايضاً كيف يتم التنسيق النموذجي بين العمـل الإسـتخباراتي والتحـرك العسـكري ... ولنبدأ بأول العمليات عقب غزوة بدر ثم ما يليها حسب الترتيب الزمني والذي يعنـي الشـئ المهم في تفسير الأحداث.

عقد رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم" معاهـدة مـع اليهـود كـما عرفنـا حـين جـاء الى المدينة. وقد حاولوا مراراً وتكراراً أن يخـالفوا هـذه المعاهـدة. وأن ينقضـوا الميثـاق. وتحـدثوا كثيراً بالسوء. ليس فقط عن الصحابة. وليس فقط عن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم". بل عن ربِّ العالمين. وتطاولوا كثيراً في هذه الكلمات. لكن الرسول كان يضـبط الـنفس. ويمنـع الصحابة من الصدام المباشر مع اليهود. لأن الوضع في المدينة المنورة لم يكن مستقرًّا.

لكن بعد انتصار الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" والمسلمين في بدر. رجع وهـو يرفـع رأسه بعزة وقوة وبأس ومما لا شك فيه أن ذلك أرهب معظم الجزيرة العربيـة. لكـنّ ردَّ فعل بني قينقاع كان عنيفًا للغاية. ففي سنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ قَـالَ: "لَـمَّا أَصَـابَ رَسُولُ اللـهِ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ. وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ. فَقَـالَ: "يَـا مَعْشَرَ يَهُودَ. أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا". قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ. لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ

نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ. كَانُوا أَغْمَارًا لاَ يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ. إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ. وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا".

فهذا إعلان واضح وصريح من اليهود بالحرب. ومخالفة صريحة وواضحة لبنود المعاهدة التي تنصُّ على وقف الحرب بين الطائفتين. بل وتجعل من الواجب على اليهود أن يناصروا المسلمين في حربهم ضد من يغزو المدينة المنورة. سواء من قريش أو من غيرها. فهذه بدايات انشقاقات كبيرة داخل المدينة المنورة. ويصرّحون بأنهم على استعداد لحرب الرسول "صلى الله عليه وسلم" ويهدّدونه ويتوعّدونه بذلك. وَضَح ذلك كله من مواقف اليهود خلال السنتين السابقتين لهذا الموقف من التكذيب المستمر. والادِّعاء بالباطل على المسلمين وعلى آيات الله وكلام الحبيب. فلما قال يهود بني قينقاع هذا الكلام. أَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ آيات بينات توضح العلاقة بين المسلمين واليهود خلال الفترة القادمة. قال الله:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ﴾"12"[1].

كما نزلت هذه الآيات في بني قينقاع ايضاً:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾"13"[2].

ولأن بصائر اليهود مطموسة تمامًا. لم يفقهوا هذه الآيات ولم يهتموا بها. فكان هذا هو الموقف بين اليهود والمسلمين بعد ايام قليلة من غزوة بدر. أي مازلنا في رمضان من السنة الثانية للهجرة. وترقب المسلمون ماسيكون من امر بني قينقاع.

سرية عُمَير بن عدي: رمضان من العام الثاني للهجرة

السرية الأولي في نفس شهر غزوة بدر الكبري وبعدها بأيام. ولم يذكرها إلا الواقدي في المغازي وأخذها عنه ابن سعد في طبقاته. وقد قام بهذه السرية عُمَير بن عُدي خرشة الخطمي وهو إمام بني خطمي وكان قارئا للقرآن ضعيف البصر كما جاء في كتاب الإصابة لإبن حجر

1- آل عمران

2- آل عمران

العسقلاني ... يقول الواقدي أن عصماء بنت مروان كانت جارية ليزيد بن زيد بن حصن الخطمي وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر فقتلها عمير ليلا وهي نائمة. ويقول ابن حجر في الإصابة نقلا عن رواته ان التي قتلها عمير كانت أخته وقد ساءه سبها للنبي "صلى اللـه عليه وسلم" فقتلها. وايا كانت شخصية القتيلة فالمؤكد ان عميرا قتلها دون اذن النبي. وإن كان قد أقره علي فعلته ونري أن هذه الواقعة صحيحة – بصرف النظر عن شخصية القتيلة – لوجود سند لها لا بأس به من كتب التاريخ.

كما انها تتطابق مع المنهج الذي إتبعه المسلمون في هذه المرحلة وما بعدها. هذه الواقعة لم يكن للجهاز الحديث دوراً فيها لأنها تمت بإنفعال فردي ودون اذن النبي ولكن إقرار النبي للفعلة كان إشارة الى جواز رد الأذي الفردي المؤدي لأذي جماعي. وبالأسلوب المناسب للفعل وللضرر الذي وقع والذي يمكن ان يقع من هذا الفعل.

غزوة بني قينقاع: شوال من العام الثاني للهجرة

يبدو ان تصرف عمير بن عدي قد اوضح لبني قينقاع تصاعد قوة شوكة المسلمين فقرروا ان يستفزوهم للقتال لتنفيذ مخططهم في كسر شوكة المسلمين. ولم يعبأوا بما قاله الله من انهم سيُهزَموا. ففي سوق بني قينقاع جلست امرأة من المسلمين إلى أحد الصاغة اليهود تبيع وتشتري منه. فجاء أحد اليهود من خلفها وربط طرف ثوبها برأسها دون أن تشعر. وعندما وقفت انكشفت المرأة فصرخت. فجاء أحد المسلمين وقتل اليهوديَّ الذي فعل ذلك. فاجتمع يهود بني قينقاع على المسلم وقتلوه. فكانت هذه بوادر أزمة ضخمة في داخل المدينة المنورة. فقد اجتمعت قبيلة بني قينقاع على قتل المسلم. بعد أن قاموا بجريمة كشف عورة المرأة المسلمة.

اوصل جهاز الأمن الداخلي الأمر إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بسرعة قبل ان تتسع المعركة دون استعداد المسلمين. لأن استفزاز بني قينقاع كان متعمداً ولاشك انهم كانوا مستعدين. وعلى الفور جمع الصحابة وجهّز جيشًا. وانتقل سريعًا إلى حصون بني قينقاع. ووجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" في هذا الوقت أن قوة المسلمين تسمح بردع اليهود. فانتقل إلى حصارهم وقتالهم. وإذا قارنا هذا الموقف مع موقفٍ سابق مرَّ بنا في العهد المكي؛ وهو قتل السيدة سميَّة أم عمار بن ياسر. واكتفى النبي بقوله: "صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ".

ولم يحرك مجموعة الشباب المسلم الذي كان موجودًا في فترة مكة لقتال أبي جهل؛ لأنه كان يعلم "صلى الله عليه وسلم" أن القوة الإسلامية لا تسمح بهذا الأمر في ذلك الوقت كما لم يكن هناك اذن بالقتال دفاعاً عن النفس. لكن الآن فُرِض القتال على المسلمين وأُمِروا به. بل وقوة المسلمين تسمح بهذا الأمر. فاختار الرسول "صلى الله عليه وسلم" هذا القرار. حاصر الحصون وفي داخلها بنو قينقاع. وأصرَّ على استكمال الحصار حتى ينزل اليهود على أمره.

وبدأ الحصار في يوم السبت نصف شوال سنة 2هـ بعد أقل من شهر من غزوة بدر الكبرى. وظل محاصرًا لبني قينقاع أسبوعين كاملين. إلى أن ظهر هلال ذي القعدة وقذف الله الرعب في قلوب اليهود. فنزلوا على حكم الرسول "صلى الله عليه وسلم". وكان حكمه في ذلك الوقت هو قتلهم.

نزل اليهود على حكم رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وخرجوا من حصونهم. واستعدوا للقتل. وهنا جاء عبد اللـه بن أُبي بن سلول. ولم يكن قد أسلم إلا منذ أيام قليلة. فهو لم يسلم إلا بعد بدر. وكان حليفًا لبني قينقاع. وطلب من الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" أن يحسن في مواليه بني قينقاع. وقد عذره رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم"؛ لأنه كان ما زال حديث عهد بالإسلام. وكان النبي "صلى اللـه عليه وسلم" يؤمِّل كثيرًا فيه. وخاصةً أن خلفه مجموعة كبيرة من الناس. فعامله بالحسنى في هذا الموقف. وقَبِل منه أن يفتدي هؤلاء. ولكن النبي "صلى اللـه عليه وسلم" اشترط أن يترك اليهود من بني قينقاع المدينة المنورة بكاملهم. وقَبِلَ اليهود بذلك. وخرجوا من المدينة المنورة إلى منطقة تسمى "أذرعات" بالشام. ويقال: إنهم قد هلكوا هناك بعد فترة وجيزة. وبهذا انتهت قصة بني قينقاع من المدينة المنورة. وكان هذا اول نجاح محدود للجهاز لأنه حرم اليهود من انتهاز الموقف وتصعيده قبل ان يستعد المسلمون. واعطى الفرصة للتحرك العسكري ان يتخذ القرار المناسب في ظروف مواتية. فنجحت العملية.

غزوة السويق: ذي الحجة من العام الثاني للهجرة

كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة. ورجعت فلول قريش من بدر. نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا "صلى اللـه عليه وسلم". فخرج في مئتي راكب من قريش. ليبر يمينه. حتى أتى بني النضير تحت الليل. فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه. فأبى أن يفتح له بابه وخافه. فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم. وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك. وصاحب كنزهم. فاستأذن عليه. فأذن له. فقراه وسقاه. وبطن له من خبر الناس. ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه. فبعث رجالا من قريش إلى المدينة. فأتوا ناحية منها. يقال لها: العريض. فحرقوا في أصوار من نخل بها. ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما. فقتلوهما. ثم انصرفوا راجعين. ونذر بهم الناس. فخرج رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في طلبهم. واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر. وهو أبو لبابة. فيما قال ابن هشام. حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا. وقد فاته أبو سفيان وأصحابه. وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء. فقال المسلمون. حين رجع بهم رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": يا رسول اللـه. أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال: نعم.

وواضح مما حدث ان الجهاز لم يكن قد اكمل تأمينات الجبهة الداخلية. لذلك لم يفطن لتحركات ابي سفيان عند حصون وديار بني النضير. ولا الهجوم الغادر على اطراف المدينة. وان كان قد اسرع بإبلاغ ماحدث للقيادة مما مكن من سرعة التحرك الذي وصل لحد المطاردة القريبة حتى اضطر الفارون لإلقاء احمالهم واسلابهم لسرعة الفرار ... لايزال الجهاز يكمل الإستعداد ويستوعب الفكر الجديد عليه.

غزوة قرقرة الكدر: محرم من العام الثاني للهجرة

أول ما نقلت استخبارات المدينة إلى النبي "صلى اللـه عليه وسلم" بعد بدر. أن بني سليم وبني غَطَفَان تحشد قواتها لغزو المدينة. فباغتهم النبي "صلى اللـه عليه وسلم" في مائتي راكب في عقر دراهم. وبلغ إلى منازلهم في موضع يقال له الكُدْر. ففر بنو سليم. وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولي عليها جيش المدينة. وقسمها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين. وأصاب غلاما يقال له: "يسار" فأعتقه.أقام النبي "صلى اللـه عليه وسلم" في ديارهم ثلاثة أيام. ثم رجع إلى المدينة. وكانت هذه الغزوة في سنة 2 هـ في المحرم للنصف منه ونتذكر أنه بعد سرية عبداللـه بن الجحش ونزول أية 217 من سورة البقرة لم يعد هناك حرجا على المسلمين في القتال الوقائي في الأشهر الحرم واتصور ان تجمع بني سليم وغطفان كان ينتظر نهاية شهر المحرم الحرم ليشنوا الهجوم. لذلك كان تحرك المسلمين مباغتا لهم ففروا قبل أن يلقاهم رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم".

سرية قتل كعب بن الأشرف: ربيع الأول من العام الثالث للهجرة

ونأتي إلي سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي وكانت في منتصف شهر ربيع الأول أي في بداية السنة الثالثة للهجرة. وكان سبب قتله أنه كان رجلا شاعرا يهجوا النبي "صلى اللـه عليه وسلم" وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم. وصبر عليه النبي "صلى اللـه عليه وسلم" طويلا. فلما كانت واقعة بدر إستاء كثيرا لهزيمة قريش فخرج حتي أتي مكة فبكي قتلى قريش وحرضهم بالشعر- ونحن نعرف تأثير الشعر في إثارة مشاعر العرب المستثارة أصلا من هزيمة قريش - ما زاد من خطر أشعار كعب بن الأشرف والتي زاد

فيها من إيذائه لرسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وكان هذا التصرف من كعب يمثل رد فعل فرديا معنويا عنيفا. لذلك أمر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بقتله إتقاءاً لشره وتخويفا لأعداء الإسلام. فتحايلت عليه سرية من خمسة صحابة منهم أخو كعب. أبو نائلة سلكان بن سلامة. وإستدرجوه خارج حصنه المنيع وتجمعوا عليه فقتلوه. فقد كان رجلا قويا وفارسا صنديدا.

كانت هذه أول مرة يتبع فيها المسلمون أسلوب القتل الفردي درءاً للعدوان الجماعي وردا للإيذاء ... هذه السرية متفق عليها في جميع كتب الغزوات. وهي اول مهمة مباشرة يقوم بها الجهاز في مجال الأمن الداخلي والخارجي معاً. فهذا الرجل كان خطر اشعاره ممتد ... خاصة وان ذلك كان بعد طرد بني قينقاع.

غزوة غطفان "ذو أمر": ربيع الاول من العام الثالث للهجرة

.يقول الشيخ صفي الدين المباركفوري في كتاب الرحيق المختوم: هي أكبر حملة عسكرية قادها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" قبل معركة أحد. قادها في المحرم سنة 3 هـ. وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا. يريدون الإغارة على أطراف المدينة. فندب رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" المسلمين. وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل. واستخلف على المدينة عثمان بن عفان. وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له: جُبَار من بني ثعلبة. فأُدخِل على رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فدعاه إلى الإسلام فأسلم. فضمه إلى بلال. وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو. وتفرق الأعداء في رءوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة. أما النبي فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم. وهو الماء المسمي "بذي أمر" فأقام هناك. ليشعر الأعراب بقوة المسلمين. ويستولي عليهم الرعب والرهبة. ثم رجح إلى المدينة وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة. وهي غزوة مؤكدة تاريخيا وفيها حدثت قصة دُعْثور بن الحارث الشهيرة مع رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وهذه يجب ان نقف عندها لأنها تؤكد المعنى الذي نقوله عن الأمن. ففي حديث أخرجه أبو موسى. وأورده أبو سعيد النقاش في الصحابة. وروى عبد اللـه ابن رافع بن خَدِيج. عن أبيه قال: خرجنا مع النبي "صلى اللـه عليه وسلم" في غزوته ــ يعني: غزوة

أنمار. فلما سَمِعَتْ به الأعراب لحقت بذُرَى الجبال. وانتهى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" إلى ذي أَمَرَ فعسكر به. وذهب لحاجته فأصابه مطر. فبل ثوبيه فأجفهما على شجرة. فقالت غطفان لدُعْثور بن الحارث. وكان سيدها وكان شجاعًا: انفرد محمد عن أصحابه. وأنت لا تجده أخلى منه الساعة. فأخذ سيفًا صارمًا. ثم انحدر. ورسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" مضطجع ينتظر جفوف ثوبيه. فلم يشعر إلا بدُعثور بن الحارث واقفًا على رأسه بالسيف. وهو يقول: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم":"اللـه عَزَّ وَجَلَّ". ودفعه جبريل عليه السلام في صدره فوقع السيف من يده. فأخذ رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" السيف. ثم قام على رأسه فقال: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي"؟ قال: لا أحد. فقال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": "قُمْ فَاذْهَبْ لِشَأْنِكَ. "فلما ولى قال: أنت خير مني. فقال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ. "ثم رجع إلى قومه فقالوا: واللـه ما رأينا مثل ما صنعت؛ وقفت على رأسه بالسيف! فقال: واللـه لا أكثر عليه جمعًا ... وذكر القصة. ثم أسلم دعثور بعد ذلك.

هكذا يكون الإيمان هو سبيل الأمن. السيف فوقه وهو اعزل ولكنه يثق ان اللـه سيمنعه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللـهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ "67"[1].

ونعود لنجد ان نشاط الجهاز بدأ يتسع في مجال نشر العيون بدليل انه عرف بتجمع بني ثعلبة ومحارب لمهاجمة المدينة والمؤكد انه عرف انه تجمع كبير وابلغ بذلك بدليل الحجم الكبير لجيش المسلمين الذي وُصِفَت حملته بأنها أكبر حملة عسكرية قادها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" قبل معركة أحد. ولكن هذه الغزوة سجلت خطأُ امنياً شديداً. فحين ينفرد القائد بنفسه لسبب او لآخر يجب ان تكون هناك حراسة مشددة حوله حتى لا يتكرر ما فعله دعثور. لأنه لولا ان القائد هو رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وان اللـه يعصمه من الناس لنفذ دعثور خطته وقتل القائد.

وما حدث في غزوة ذي أمر حدث في غزوة بني سليم في جمادى الأولى من نفس العام حين نقلت عيون المسلمين خبر جمعاً كبيراً من بني سليم في بحران فباغتهم المسلمون

1- المائدة

بالتحرك. وفي الطريق واصل الجهاز عمله وقبض على رجل من سليم استجوبوه ليعرفوا منه اخبار القوم فاخبرهم ان الجمع افترقوا قبل يوم من وصول المسلمين.

سرية زيد بن حارثة للقردة: جمادى الآخر من العام الثالث للهجرة

هذه السرية هي نتاج اول عملية كبرى للجهاز حققت بها رغبة حاول المهاجرون كثيراً تحقيقها ولم يحالفهم التوفيق. الا وهي الإستيلاء على قافلة لقريش للشام ليستردوا اموالهم التي صادرتها قريش بعد هجرتهم. كما انها تسجل اول ظهور لشخصية امنية كبرى في تاريخ الجهاز. الا وهو نُعَيم بن مسعود ... ونعود للقصة.

قال الواقدي: كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الآخر على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة. وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية. وكان سبب بعثة زيد بن حارثة أن نُعَيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير. وهو على دين قومه. واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير. ومعهم سليط بن النعمان الأنصاري المسلم. فشربوا وكان ذلك قبل أن تُحَرَّم الخمر. فتحدث نعيم بن مسعود. بقضية العير وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال. وان القافلة اتخذت طريقاً مغايراً للتمويه على المسلمين وحدد هذا الطريق. فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله "صلى الله عليه وسلم". فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم. فأخذوا الأموال. وأعجزهم الرجال. وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير. فخمسها رسول الله فبلغ خمسها عشرين ألفا. وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أُسِرَ الدليل فرات بن حيان فأسلم. لقد وجد الجهاز اخيراً طريقه الى حصون اليهود المنيعة. فها هو قد اخترق حصن بني النضير وجاء بخبر رائع استفادت منه القيادة ايما استفادة. واطار صواب قريش فقررت ان تتحرك اخيراً للثأر من هزيمة بدر. صحيح ان الإختراق لم يكن بعين دائمة وانما بضيف عابر. ولكنه بعد ذلك اخترقها بعين دائمة كان لها دورها الهام في اخراج بني النضير من المدينة بل واخترق ايضاً حصن بني قريظة. اما نعيم بن مسعود الأشجعي. الذي قلنا عنه من قبل انه كان خبيراً في الحرب النفسية والتمويه والتضليل فهذه اولى قصصه الثلاث مع المسلمين. واولى خدمتيه للإسلام. وان كانت بغير قصد منه بعكس الخدمة الثانية كما سنرى.

غزوة أُحُد: شوال من العام الثالث للهجرة

تراخت قريش عن ثأرها فى بدر خاصة مع اخبار التحركات الإسلامية العسكرية الناجحة المبنية على النشاط الاستخبارى. وأهمها طرد بنى قينقاع من المدينة.

ولكن استيلاء المسلمين على قافلة صفوان بن امية عند القردة. من خلال سرية زيد بن حارثة. قد اطار صواب قريش كما ارتفعت أصوات القبائل الحليفة تؤنب قريشاً على تخاذلها. لذلك اجتمع سادة قريش فى دار الندوة وقرروا تنفيذ اتفاقهم السابق بتخصيص أرباح عير قريش التى نجا بها أبو سفيان وقت غزوة بدر. لتجهيز حملة للثأر من هزيمةبدر.

وتمثَّل قوام الجيش المكي في المعركة بثلاثة آلاف مقاتل. وخرج كل زعمائهم على رأس هذا الجيش. والقائد العام لهم هو أبوسفيان بن حرب. وأكبر المساعدين له في هذه المعركة هم:

صفوان بن أمية. وعكرمة بن أبي جهل. وخالدبن الوليد. فكانت هذه هي القوة البشرية التي تمَّ تجهيزها. وهي قوة هائلة كما نرى. أما قوة السلاح فقد تمَّ تجهيز ثلاثة آلاف بعير؛ وهو رقم كبير جدًّا. ومائتي فرس. وسبعمائة درع. وخرج مع الجيش خمس عشرة امرأة من نساء قريش. تتقدمهم سيدة مكة الأولى في ذلك الوقت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان. ومعها زوجات القادة العظام الكبار في جيش مكة من أمثال صفوان بن أمية. وعكرمة بن أبي جهل. والحارث بن هشام. وغيرهم.

ثم أشعلت قريش حربًا إعلامية ضخمة تحفِّز الناس على حرب المسلمين. وقاد هذه الحرب الإعلامية أبو عزة الجمحي. وهو الأسير الذي أطلقه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يوم بدر مَنًّاً بغير فداء. وأخذ عليه عهدًا ألا يشارك مع المشركين ولا يحفِّز أحدًا على حرب المسلمين. وهاهو الآن يخالف العهد. ويحفّز من يستطيع من العرب على حرب المسلمين.

وكانت القيادة العامة في جيش المشركين لأبي سفيان. وكان سلاح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل. وكان اللواء مع بني عبد الدار. وقد بدأت عملية تجنيد العباس تؤتى ثمارها. فقد حضر العباس هذا الاجتماع وعرف تفاصيل الحملة من عدة وعتاد ومحاربين وسارع بإرسال الخبر التفصيلى للمدينة ...

ومن جهة أخرى رفض طلب أبى سفيان بالخروج معهم متعللاً بخشيته من تكرار ماحدث معه فى بدر. وبوصول الخبر للمدينة مبكراً بدأ الاستعداد الجدى لمواجهة هـذا الحشـد الكبـير فى تكتم شديد. وعلى جانب أخر كان هناك من يصلى للآلهـة ويبتهـل ليـل نهـار لـكى تنـتصر قريش هذه المرة وتقضى على المسلمين. إنه نعيم بن مسـعود الأشـجعى أحـد قـادة غطفـان. وغطفان حليفة لقريش وليهود المدينة.

أما لماذا هذا الموقف المتحيز ضد المسلمين. فذلك راجع لتأنيب الضمير. فقد عرف أنه من كشف سر قافلة قريش وهو مخمور. فتسبب فى اسـتيلاء المسـلمين عليهـا ... فشـعر بالـذنب تجاه حلفاءه. ولعله رفض حضورالاجتماع حتى لايتكرر الأمـر. ولكنـه عـرف بنيـتهم وقـرر ألا يذهب للمدينة حتى يتم هذا الأمر.

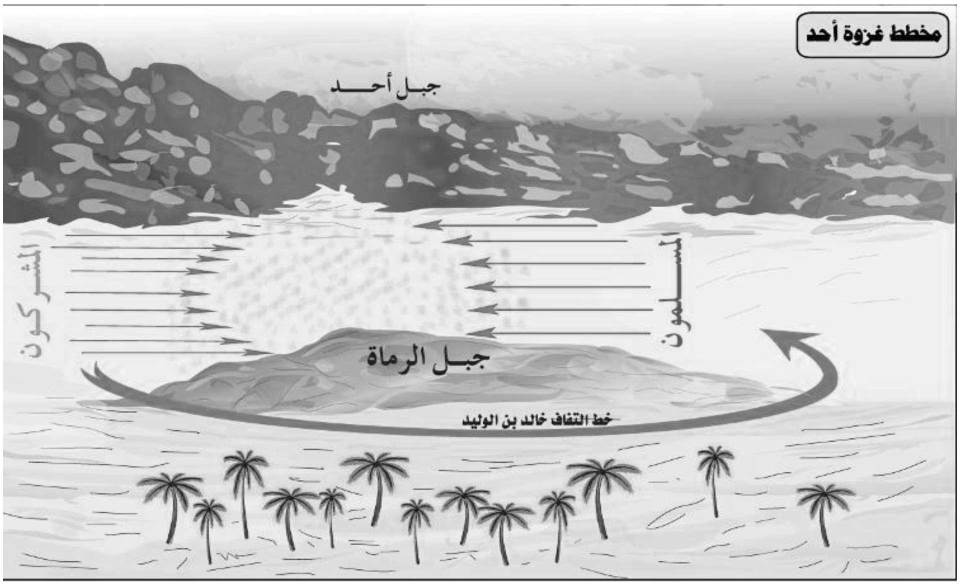
استعد المسلمون للقاء جيش قـريش. ووجـدتهم قـريش متحصـنين فى مـواقعهم فى انتظـار وصولهم مما اثار ذهول قريش ودهشتها مـن وصـول الأخبـار للمسـلمين. ولكـنهم لم يهتمـوا كثيراً مغترين بقوتهم التى سرعان ما انهارت أو كـادت أمـام هجـمات المسـلمين. وبـدت نـذر الهزيمة واضحة لولا خطأ الرماة الذى حول مجرى المعركة لصالح قـريش بإسـتغلال خالـد بـن الوليد لمخالفة الرماة أوامر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وهذا فى حد ذاته درساً أمنياً استوعبه المسلمون جيداً لفداحة نتائجه التى كادت تؤدى بحياة رسـول اللــه "صـلى اللــه عليه وسلم". فلا مخالفة لأومر القائد مهما حدث. وهو مافعله عبداللـه بن جبير قائد الرماة حين ثبت فى مكانه مع قلة من الرماة لم تستطع مواجهة خالد بن الوليـد واستشـهدت وهـى مستبسلة.

ولاشك أن هناك حكمة الهيـة مـن هـذه الهزيمـة بخـلاف الـدرس الأمنـى. تفسرهـا الايـات الكريمة

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"139" إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَـرْحٌ فَقَـدْ مَـسَّ الْقَـوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللـهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللـهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"140" وَلِيُمَحِّصَ اللـهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ"141"﴾[1].

حتى لايظن المسلمون أن النصر سيكون حليفهم دائمـاً. وليتعلمـوا أن الأيـام دول. وكيـف يتماسكون عند الهزيمة ليعبروها سريعاً بعد أن يستوعبوا درسها.

1- آل عمران



غزوة حمراء الأسد: في اليوم التالي مباشرة لغزوة أحد

فى غزوة أحد كان هناك اجراءاً غير متوقعاً اقتضته ظروف ما بعـد المعركـة. فحـين عـودة جيش المسلمين للمدينة مهزوماً. وبعد أن تأكـد رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" أن جيش مكة فى طريق عودته لمكة ولا يفكر فى الهجـوم عـلى المدينـة ... واجـه الجـيش شـماته علنية من اليهود والمنافقين. خاصة ممن انسحبوا قبيل المعركة لسبب او لآخر.

واهتز المسلمون بشدة مما حدث. وبـدأ توجيـه الاتهامـات للرمـاة بـأنهم سـبب الهزيمـة. واخذ المسلمون يفكرون فيما سيحدث بعد هذه الهزيمة. وهل هـى بدايـة النهايـة كـما قـال اليهود والمنافقون؟ وربما تسرب لنفوس بعض المسلمين شئ من الشـك فى صـدق هـذا الـدين كل هذا لم يغب عن فكر رسول اللـه "صلى اللــه عليـه وسـلم" فكلـف جهـاز الاسـتخبارات برصد موقع معسكر مبيت جيش مكة. فهو منهك من المعركة ولن يواصل السـير لـيلاً. وعـاد رجال المهمة بخبر عسكرة جيش مكـة عنـد حمـراء الأسـد. وحتـى وصـول الأخبـار المطمئنـة. كـان الجهـاز قـد شـكل دوريـات حراسـة مسـتمرة لكافـة أرجـاء المدينـة تحسـباً لعـودة جيش قـريش للهجـوم عـلى المدينـة. او اسـتغلال اليهـود والمنـافقين للموقـف للقيـام بعمـل

عدائي ضد المسلمين. وكان لابد من قرار معنوى يوقف بـه رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسلم" الجدل والشك وانخفاض الروح المعنوية. والأهم من ذلك الشماتة داخل المدينـة وبـين قبائل العرب حين ينتشر خبر هزيمة المسلمين فى أحد.

فبعد صلاة فجر اليوم التالى للمعركة. أى بعـد سـاعات مـن انتهـاء المعركـة. نـادى المنـادي مستنفراً للحرب من شارك فقـط فى أحـد. واصر رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" ألا يشارك إلا من شارك في أُحُد حتى يكون المنهزمون فقط هم الذين عـاودوا الإنتصـار. فيكـون رداً للإعتبار.

وكأن المسلمين كانوا ينتظرون هذ االنداء فسارعوا بالخروج فى عدة الحـرب حتـى الجرحـى منهم. مهما كانت شدة جراحهم. وتجمعوا أمام المسجد وسط ذهول اليهود والمنافقين. حيث قرر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" الخروج لملاحقة جيش مكة ومطاردته.

وفرح المسلمون بهذ االقرار وبدأوا التحرك متحرقين للثـأر ورد الاعتبـار. بيـنما رأى اليهـود أنها نهاية المسلمين والإسلام. وفى نفس الوقت كانت هناك أصـوات بـدأت ترتفـع في معسـكر جيش قريش- تقودها هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان – تعاتب على اهـدار فرصـة الإجهـاز على بقايا المسلمين وهم مدحورين بالهجوم على المدينة وإنهاء الأمر.

ونادت هذه الأصوات بأن الفرصة مازالت متاحة وأن عليهم التحرك تجـاه المدينـة لتنفيـذ المهمة. وبدأ الاقتناع يزيد بين الصفوف بل وبدأ الاستعداد بالفعل للتحرك تجـاه المدينـة مـع أول ضوء للفجر. ولكن مع اول شعاع فوجئ جيش مكة بالمسلمين يعسـكرون بـالقرب مـنهم وأنهم يستعدون للهجوم على جيش مكة ...

هنا تبدل الحال وقذف اللـه الرعب فى قلوب المشركين وتذكروا كيـف انـتصروا بالمصـادفة. ولم يشاءوا أن يضيعوا هذا النصر بهزيمـة سريعـة لـذلك بـدأوا يفكـرون في كيفيـة الإنسـحاب الهادئ. دون ان يظهر امام العرب انهم فروا من مطـارديهم المهـزومين. ارادوا ان يبـدو الأمـر وكأنهم لم يعرفوا بخروج المسلمين. ولكن الجهاز اراد ان يكشفهم امام العرب. فاستعان بمعبد بن ابي معبد الخزاعي. وكان مشركاً ولكنه كان حليفاً المسلمين. وقـد جـاء يبـدي اسـفه عـلى ماحدث للمسلمين في احد. فاستعانوا به في تنفيذ خطة تقليدية ولكنها مطلوبة الآن. فطلبـوا منه ان يتعمد المرور في طريقه قرب جيش قريش. وان يخبر اباسفيان ان جيش المسلمين كبير ولا قبل لهم به وهم على هذا الحال. فقد انضم لجيش المسلمين مـن تخلـف عـنهم في احـد. فصدقوه وكان هذا دليلاً على انه لم يكن لديهم الإستطلاع الذي ينقل لهم حقيقة وضع جيش المسلمين.

ولاشك ان استطلاع المسلمين عرف بتقصيرهم هذا فلجأوا لحيلة معبد وإلا ما صدقه المشركون ان كانت لديهم اخبار استطلاعية مؤكدة. وبقى جيش المسلمين ثلاثة ايام يشعل النار ليدل المشركين على مكانه ان كانوا ينوون الهجوم. فسارعوا بالرحيل عائدين فارين من وجه جيش المسلمين الذى ارتفعت معنوياته بهذا النصر المعنوى وعاد للمدينة مزهواً سعيدا ليواجه ذهول اليهود مما حدث. وتعود له الثقة.

كما أن قبائل العرب لم تفهم. هل انتصرت قريش بالفعل فى أُحد؟ وإذا كان. فكيف يفر المنتصر أمام المهزوم وهو يطارده بعد ساعات من الهزيمة؟ أى انتصار هذا لقريش؟ وهكذا استطاع القائد الملهم أن يتعامل معنوياً مع صدمة الهزيمة ليزيل آثارها سريعاً. ذلك أنه ادرك أن جيش قريش ليس بالقوة التى يهابها. حتى وجنوده أغلبه مصابين. كما أن الدافع القوى لدى جيشه أقوى من رغبة العدو فى مواجهة أخرى قد يخسرها. كما كان خاسراً فى بداية المعركة الأصلية هذا بالطبع بالإضافة لمُسَلَّمة راسخة فى عقيدته. وهى العامل الأول فى حساباته ... ألا وهى ثقته فى نصرالله.

ومن الدروس الأمنية الهامه التي تعلمها الجهاز من غزوة احد. مانتج عن الإجراءات الأمنية في اعقاب الغزوة. واثناء غزوة حمراء الأسد. من كشف امر معاوية بن المغيرة. ذلك المشرك الذي ضل طريقه عقب إنتهاء معارك أُحُد ووصل المدينة ليلاً فأحتمى بعثمان بن عفان لأنه كان مصاباً. فأستأذن له عثمان من رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فأمهله ثلاثة ايام يُقتل لو شوهد بعدها. وعرف الجهاز بأمره فكلف من يراقبه سراً.

ولماخرج المسلمون في حمراء الأسد. انتهز معاوية الفرصة وصار يتجسس على المسلمين. فكشفه مراقبه ولكنهم تركوه لمهلة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" له وهي ثلاثة ايام. وعندما عاد رسول الله "صلى الله عليه وسلم". اخبروه بما كان من امره. وكان ذلك في اليوم الرابع فبحثوا عنه فلم يجدوه بالطبع. فأمر رسول الله "صلى الله عليه وسلم" زيد بن حارثة وعماربن ياسر ان يتعقباه ويقتلاه. ففعلا.

ولاشك ان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قد عاتب مسئولي الجهاز لأنهم تركوه وانتظروا اوامر رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حتى فر بما عرفه. وكان يمكن الا يلحقوا به ويفلت بما عرف. وكان يجب القبض عليه حتى عودة رسول الله "صلى الله عليه وسلم". فمن غير المعقول ان يمهله رسول الله"صلى الله عليه وسلم" ليتجسس.

كما نلاحظ ان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" امر اثنين من المهاجرين بقتلـه ولـيس بينهم احد من الأنصار. فلا زالت الحمية القبلية قائمة. ولن يقبل المهاجرون ان يقتله احد من الأنصار. ثبتـت اقـدام الجهـاز المسـتحدث ورتـب اوراقـه جيـداً. وقـد ظهـر ذلـك بوضـوح في الأحداث التالية. فبعد شهرين من أُحـد – في المحـرم - وردت لـه الأخبـار بتحشـد بنـي اسـد بقيادة زعيمهم طليحة بن خويلد بهدف الإغارة على المدينة. وابلغ بها القيادة فتجهزت قـوة قوامها مئة وخمسين راكباً قادها ابو سلمة بن عبد اسد المخزومي. تحركـت في سرعـة وسريـة وباغتت بني اسد قبل ان يكتمل تجمعهم والمنتظـرين لإنتهـاء الشـهر الحـرام. ففـروا وتركـوا غنائم كثيرة. دون قتال.

وفي نفس الشهر. كانت واحدة من اهـم العمليـات الأمنيـة التـي تنـدرج تحـت مصـطلح الإغتيالات السياسية. وكانت مثل ماحدث مـع كعـب بـن الأشرف. ولكـن المهمـة هـذه المـرة كانت أصعب وأخطر وأهم.

سرية عبد اللـه بن انيس: محرم من العام الثالث للهجرة

ابلغ الجهاز ان عيونه في عُرَنَةَ قد ابلغوا عن امـر خطـير يمـس امـن الدولـة وهـو مـا رواه الواقدي في مغازيه.

قَال الْوَاقِدِيّ: حَدّثَنَا إسْمَاعِيل بْنُ عَبْدِاللـهِ بْنِ جُبَيْرٍ. عَنْ مُوسَى بْنِ جُبَيْر قَـال بَلَـغَ رَسُـول اللـهِ "صلى اللـه عليه وسلم" أَنّ سُفْيَانَ بْنَ خَالِدِ بْنِ نُبَـيْحٍ الْهُـذ لِيّ ثُـمّ اللّحْيَـانِيّ وَكَـانَ نَـزَلَ عُرَنَة وَمَاحَوْلَهَا فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِه وَغَيْرِهِم فَجَمَـعَ الْجُمُـوعَ لِرَسُـولِ اللــهِ "صلى اللــه عليـه وسلم" وَضَوَى إلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفْنَاءِ النّاسِ.

فَدَعَا رَسُول اللـهِ "صلى اللـه عليه وسلم" عَبْدَاللـه بْن أُنَيْسٍ. فَبَعَثَـهُ سَرِيّـةً وَحْـدَهُ إلَيْـهِ لِيَقْتُلَهُ وَقَالَ لَهُ رَسُول اللـهِ "صلى اللـه عليه وسلم" انْتَسِبْ إلَى خُزَاعَةَ.

فَقَالَ عَبْدُاللـهِ بْنُ أُنَيْسٍ: يَارَسُول اللـه مَا أَعْرِفُه فَصِفْهُ لِي. فَقَال رَسُول اللـهِ "صـلى اللـه عليه وسلم" إنّك إذَا رَأَيْته هِبْته وَفَرِقْت مِنْهُ وَذَكَرْت الشّيْطَانَ. وَكُنْت لَا أَهَابُ الرّجَالَ فَقُلْـت: يَارَسُول اللـهِ مَا فَرِقْت مِنْ شَيْءٍ قَطّ. فَقَالَ رَسُول اللـهِ "صلى اللـه عليه وسلم" بَـلَى. آيَـةٌ بَيْنَـك وَبَيْنَهُ أَنْ تَجِدَ لهُ قُشَعْرِيرَةً إذَا رَأَيْته. وَاسْتَأْذَنْت النّبِيّ "صلى اللــه عليـه وسـلم" أَنْ أقُـولَ فَقَـالَ

قُلْ مَا بَدَا لَك. قَالَ فَأَخَذْت سَيْفِي لَمْ أَزِدْعَلَيْهِ وَخَرَجْت أَعْتَزِي إلَى خُزَاعَةَ. فَأَخَذْت عَلَى الطّرِيقِ حَتّى انْتَهَيْت إلَى قُدَيْدٍ. فَأَجِدُ بِهَا خزاعَةَ كَثِيرًا. فَعَرَضُوا عَلَيّ الْحُمْلَانَ وَالصّحَابَةَ فَلَمْ أُرِدْ ذَلِك وَخَرَجْت حَتّى أَتَيْت بَطْنَ سَرِف. ثُمّ عَدَلْت حَتّى خَرَجْت عَلَى عُرَنَةَ. وَجَعَلْت أُخْبِرُ مَنْ لَقِيت أَنّي أُرِيدُ سُفْيَانَ بْنَ خَالِدٍ لِأَكُونَ مَعَهُ حَتّى إذَا كُنْت ببَطْنِ عُرَنَةَ لَقِيته يَمْشِى. وَوَرَاءَهُ الْأَحَابِيشُ وَمَنْ اسْتَجْلَبَ وضَوَى إلَيْهِ. فَلَمّا رَأَيْته هِبْته.وعَرَفْته بِالنّعْتِ الّذِي نَعَتَ لِي رَسُولُ اللهِ - "صلى الله عليه وسلم" – وَرَأَيْتنِي أَقْطُرُ فَقُلْت: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَدْ دَخَلْت فِي وَقْتِ الْعَصْرِ حِينَ رَأَيْته. فَصَلّيْت وَأَنَا أَمْشِي أُومِئُ إيمَاءً بِرَأْسِي. فَلَمّا دَنَوْت مِنْه قَالَ مَنْ الرّجُلُ؟ فَقُلْت: رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ. سَمِعْت بجَمْعِك لمُحَمّد فَجِئْتُك لِأَكُونَ مَعَك. قَالَ أَجَلْ إنّي لَفِي الْجَمْع لَهُ. فَمَشَيْت مَعَهُ وَحَدّثْته فَاسْتَحْلَى حَدِيثِي. وَأَنْشَدْته شِعْرًا. وَقُلْت: عَجَبًا لِمَا أَحْدَثَ مُحَمّدٌ مِنْ هَذَا الدِينِ الْمُحْدَثِ فَارَقَ الْآبَاءَ وَسَفّهَ أَحْلَامَهُمْ قَال لَم يَلْقَ مُحَمّدٌ أَحَدًا يُشْبِهُنِي قَالَ وَهُو يَتَوَكّأُ عَلَى عَصًا يَهُدّ الْأَرْضَ حَتّى انْتَهَى إلَى خِبَائِهِ وَتَفَرّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ إلَى مَنَازِلَ قَرِيبَةٍ مِنْهُ وَهُمْ مُطِيفُونَ بِهِ فَقَالَ هَلُم يَا أخَا خُزَاعَةَ فَدَنَوْت مِنْهُ فَقَالَ لِجَارِيَتِهِ أُحْلُبِي فَحَلَبَتْ ثُم نَاوَلَتْنِي. ثُم دَفَعْته إلَيْهِ فَعَبّ كمَا يَعُبّ الْجَمْلُ حَتّى غَابَ أَنْفُهُ فِي الرّغْوَةِ ثُمّ قَال اجْلِسْ.

فَجَلَسْت مَعَه حَتّى إذَا هَدَأَ النّاسُ وَنَامُوا وَهَدَأَ اغْتَرَرْته فَقَتَلْته وَأَخَذْت رَأْسَه ثُمّ أَقْبَلْت وَتَرَكْت نِسَاءَ هُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ وَكَانَ النّجَاءُ مِنّي حَتّى صَعِدْت فِي جَبَلٍ فَدَخَلْت غَارًا. وَأَقْبَل الطّلَب مِنْ الْخَيْلِ وَالرّجَالِ تَوَزّعُ فِي كُلّ وَجْه وَأَنَا مخْتَفٍ فِي غَارِ الْجَبَلِ وَضَرَبَتْ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى الْغَارِ وَأَقْبَلَ رَجُل وَمَعَهُ إدَاوَةٌ ضَخْمَةٌ وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ وَكُنْت حَافِيًا. وَكَانَ أَهَمّ أَمْرِي عِنْدِي الْعَطَشَ كُنْت أَذْكُرُ تِهَامَةَو حَرّهَا. فَوَضَعَ إدَاوَتَهُ وَنَعْلَهُ وَجَلَسَ يَبُولُ عَلَى بَابِ الْغَارِ ثُم قَالَ لأَصْحَابِه لَيْسَ فِي الْغَار أَحَدٌ.

فَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَخَرَجْت إلَى الْإِدَاوَةِ فَشَرِبْت مِنْهَا وَأَخَذْت النّعْلَيْنِ فَلَبِسْتهمَا. فَكُنْت أَسِيرُ اللّيْلَ وَأَتَوَارَ النّهَارَ حَتّى جِئْت الْمَدِينَةَ فَوَجَدْت رَسُولَ اللهِ - "صلى الله عليه وسلم" – فِي الْمَسْجِدِ فَلَمّا رَآنِي قَالَ أَفْلَحَ الْوَجْهُ قُلْت: أَفْلَحَ وَجْهُك يَارَسُول اللهِ فَوَضَعْت رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخْبَرْته خَبَرِي.

قَالَ عَبْدُالله بْنُ أُنَيْسٍ: خَرَجْت مِنْ الْمَدِينَة يَوْم الِاثْنَيْن لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ الْمُحَرّم عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةٍ وَثلاثين شَهْرًا. فَغِبْت اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقَدِمْت يَوْمَ السّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ الْمُحَرّمِ.

ومرة اخري تنجح إخباريات الجهاز في ان تجنب المسلمين قتالاً ضارياً. وتولى القائد إعطاء الدرس للمسلمين في كيفية تجنب هذه المواقف. إذا كانت الظروف سانحة.

الفصل الثاني: الإنطلاق

- غزوة بئر معونة.
- غزوة بنى النضير.
- سرية عمرو بن أمية الضمرى.
- غزوة بدر الآخرة ... شوال من العام الرابع للهجرة.
- التخطيط للتحزب.
- غزوة ذات الرقاع.
- غزوة دومة الجندل.
- غزوة بنى المصطلق ... شعبان من العام الخامس للهجرة.
- غزوة الخندق ... شوال من العام الخامس للهجرة.

غزوة بئر معونة: صفر من العام الثالث من الهجرة

ونأتي لواقعة اعتبرتها المراجع ضمن السرايا، وهي واقعة بئر معونة، ولا أعرف لماذا اعتبرتها المراجع ضمن السرايا، فالتحرك لم يكن عسكريا بالمرة بل بعثة دعائية لتعريف بعض قبائل العرب بالإسلام، وبناءا علي طلبها، كانت البعثة إلي بئر معونة بين أرض بني عامر وأرض بني سليم ...

وجاء الغدر من بني عامر الذين طلبوا هذا الوفد في صفر من العام الثالث من الهجرة "الرابع الهجري". صحيح أن البعثة قاتلت دفاعا من نفسها حين أدركت الغدر ولكنها لم تكن سرية لا في مهمتها ولا في تكوين افرادها.والتفاصيل تؤكد ان الجهاز لم يكن له دور فيها. فهي كما قلنا بعثة لنشر الإسلام. ولكن لعل الجهاز تعلم منها ان الحذر والتأمين يجب ان يشملا حتى المهام السلمية خاصة في اوقات الطوارئ حين تحاط الدولة بالأعداء،وان لم يستطع الجهاز تطبيق هذه القاعدة المستحدثة في واقعة الرجيع الشبيهة ببئر معونة لأنهما كانتا متلازمتان فلم يأمنهما الجهاز. رغم ان وفد الرجيع كان مكلفاً بمهام امنية إضافية. ولكن الجهاز تعلم فكرة دوائر التأمين المتتابعة وهو ما طبقه بالفعل بعد ذلك كما سنرى.

غزوة بني النضير: ربيع الأول من العام الرابع للهجرة.

بعد الهزيمة التي وقعت للمسلمين في غزوة أحد تجرأ اليهود على المسلمين، وبدأوا يكاشفونهم بالغدر والعداوة، ويتصلون بالمشركين والمنافقين ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

وكان النبي "صلى الله عليه وسلم" صابراً متحملاً لأذاهم وجرأتهم، خاصة بعد واقعة الرجيع ومأساة بئر معونة التي قُتِلَ فيها سبعون رجلاً من أفاضل الصحابة في كمين غادر للمشركين وحلفائهم اليهود، وقد تألم النبي "صلى الله عليه وسلم" لهذه المأساة تألماً شديداً.

فِي رَبِيعٍ الْأَوّلِ، عَلَى رَأْسِ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرَةِ النّبِيّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَمُحَمّدُ بْنُ صَالِحٍ، وَمُحَمّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَهْلٍ،، وَابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، وَمَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، فِي رِجَالٍ مِمّنْ لَمْ أُسَمّهِمْ، فَكُلّ قَدْ حَدّثَنِي بِبَعْضِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، وَقَدْ جَمَعْت كُلّ الّذِي حَدّثُونِي، قالوا:

أقبل عمرو ابن أُمَيّةَ الضمرى ناجياً مِنْ مأساة بِئْرِ مَعُونَةَ حَتّى كَانَ بِقَنَاةٍ، فَلَقِيَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَنَسَبَهُمَا فَانْتَسَبَا، فَقَابَلَهُمَا حَتّى إذَا نَامَا وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا.

ثم خرج حتى وَرَدَ عَلَى رَسُولِ اللـهِ "صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" مِنْ سَاعَتِهِ فِي قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللـهِ "صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ":بِئْسَ مَا صَنَعْت، قَدْ كَانَ لَهُمَا مِنّا أَمَانٌ وَعَهْدٌ! فَقَالَ: مَا شَعَرْت، كُنْت أَرَاهُمَا عَلَى شِرْكِهِمَا، وَكَانَ قَوْمُهُمَا قَدْ نَالُوا مِنّا مَا نَالُوا مِنْ الْغَدْرِ بِنَا. وَجَاءَ بِسَلَبِهِمَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللـهِ فَعُزِلَ سَلَبُهُمَا حَتّى بُعِثَ بِهِ مع ديتهما، وذلك أنّ عامر ابن الطّفَيْلِ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِك قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَوْمِي، وَلَهُمَا مِنْك أَمَانٌ وَعَهْدٌ، فَابْعَثْ بِدِيَتِهِمَا إلَيْنَا. فَسَارَ رَسُولُ اللـهِ "صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إلَى بَنِي النّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي دِيَتِهِمَا، وَكَانَتْ بَنُو النّضِيرِ حُلَفَاءَ لِبَنِي عَامِرٍ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ السّبْتِ فَصَلّى فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، ثُمّ جَاءَ بَنِي النّضِيرِ فَيَجِدُهُمْ فِي نَادِيهِمْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَكَلّمَهُمْ رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أن يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الْكِلَابِيّيْنِ اللّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ. فَقَالُوا: نَفْعَلُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا أَحْبَبْت.

وسول لهم الشيطان أعمالهم فتآمروا على انتهاز هذه الفرصة لقتل الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" فأبدوا الموافقة على ان يسلموها لرسول اللـه في ظهر اليوم التالي، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد بها فيلقيها على رأس محمد فيشدخ بها رأسه؛ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا! إنه لَنَقْضُ العهدِ الذي بيننا وبينه. ولكنهم أصروا وعزموا على تنفيذ هذه الخطة الخبيثة.

فلما جلس النبي "صلى اللـه عليه وسلم" إلى جنب جدار حصنهم ينتظر الدية، وجلس معه أبوبكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه، صعد المجرم على سطح المنزل لينفذ فعلته المشؤومة؛ ولكن العين المسلمة في الحصن اسرع بإخبار الرسول، فنهض النبي مسرعاً، وتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك! فأخبرهم بما همّ به اليهود.

وهكذا نجح الجهاز في إنقاذ حياة رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم". صحيح ان اللـه لم يكن ليسمح بتنفيذ المخطط. ولكن المسلمين ايضاً يثبتون انهم متفانيين في حماية رسولهم الكريم وناجحون فيما كلفهم به رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" من مهام امنية متطورة.

وما لبث رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" أن بعث محمد بـن مسـلمة إلى يهـود بنـي النضير يقول لهم: أخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجَّلتُكُم عشراً، فمن وجدتـه بعـد ذلك منكم ضربت عنقه، ولم يطل الحصار طويلاً وإنما دام ست ليال فقط حتى قـذف اللـه في قلوبهم الرعب فانهزموا وتهيأوا للاستسلام وإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسـول اللــه "صـلى اللـه عليه وسلم":

نحن نخرج عن المدينة ؛ فوافق "صلى اللـه عليه وسلم" على أن يخرجـوا منهـا بنفوسـهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل، إلا السلاح فوافقوا على ذلك. ولحقدهم وحسدهم قاموا بتخريـب بيـوتهم بأيـديهم ليحملـوا معهـم الأبـواب والشـبابيك والجـذوع حتـى لا يأخـذها المسلمون، ثم حملوا النساء والصبيان عـلى سـتمائة بعـير. ومـن اليهـود الـذين خرجـوا مـن الحصن في امان ولم يغادروا المدينة كسائر قومهم. يامين بن عمـير. وهـو ابـن عـم عمـرو بـن جحاش الذي كان ينوي قتل رسول اللـه وقد قتل يامين ابن عمه قبـل الخـروج مـن الحصـن وإعلان انه مسلم بالفعل لذلك احتضنه المسلمون ونحسـب انـه كـان عـين المسـلمين داخـل حصن بني النضير وانه من اخبر الرسول "صلى اللـه عليـه وسـلم" بمـؤامرة إغتيالـه. والـدليل قتله لأبن عمه الذي كان مكلفاً بمهمة إلقاء الصخرة على الرسول "صلى اللـه عليه وسلم".

وذهبت طائفة من بنـي النضـير الى الشـام ولكـن اغلـبهم توجهـوا الى حصـن خيـبر خاصـة قادتهم فاستولى رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" عـلى سـلاحهم وأرضـهم وديـارهم وأموالهم.

وفي الغزوة دليلاً على جواز تخريب ممتلكات الكفار إذا كانت هناك ضرورة حربية، وهـو ما فعل النبي "صلى اللـه عليه وسلم"، حيث قطع نخيلهم، وأحرق بساتينهم.

كما شهدت الغزوة درساً في الأمن الداخلي من علي بن ابي طالب رضي اللــه عنـه وارضـاه. قال الواقدي: في وصفه لما حدث اثناء الحصار: فَلَمّا كَـانَ لَيْلَـةً مِـنْ اللّيَـالِي فُقِـدَ عَـلِيّ بْـنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ حَيْنَ قَرُبَ الْعِشَاءُ، فَقَالَ النّاسُ: مَا نَرَى عَلِيّا يَـا رَسُـولَ اللــهِ. قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ "صلى اللـه عليه وسلم": دَعُوهُ، فَإِنّهُ فِي بَعْضِ شَأْنِكُمْ! فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ بِـرَأْسِ عَـزْوَك، فَطَرَحَهُ بين يدي رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللـهِ، إنّي كَمَنْـت لِهَـذَا الْخَبِيثِ فَرَأَيْت رَجُلًا شُجَاعًا، فَقُلْت: مَا أَجْـرَأَهُ أَنْ يَخْـرُجَ إذَا أَمْسَـيْنَا يَطْلُـبُ مِنّـا غِـرّةً. فَأَقْبَـلَ مُصْلِتًا سَيْفَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ، فَشَدَدْت عَلَيْهِ فَقَتَلْته، وَأَجْلَى أَصْحَابَهُ وَلَمْ يَبْرَحُـوا قَرِيبًـا، فَـإِنْ بَعَثْت مَعِي نَفَرًا رَجَوْت أَنْ أَظْفَرَ بِهِمْ.

فَبَعَثَ مَعَهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْـفٍ فِي عَشَرَةٍ مِـنْ أَصْـحَابِهِ، فَـأَدْرَكُوهُمْ قَبْـل أَنْ يَدْخُلُوا حِصْنَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَتَوْا بِرءُوسِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللــهِ "صـلى اللــه عليـه وسـلم"

بِرُءُوسِهِمْ فَطُرِحَتْ فِي بَعْضِ بِئَارِ بَنِي خَطْمَةَ. جيش المسلمين يحاصر بني النضير ورجال من الجهاز يراقبون الحصن خشية الغدر والمباغتة ... هذا هو الأمن الداخلي المثالي[1].

سرية عمرو بن أمية الضمري: ربيع الأول من العام الرابع للهجرة.

ربيع الأول من العام الرابع للهجرة. هذا هو الظهور الثاني لعمرو بن امية الضمري. فهو الذي استطاع النجاة من مأساة بئر معونة وقتل بالخطأ رجلين من بني عامر وهو عائد للمدينة. وكان قتيلا بني عامر من حلفاء المسلمين وهو لايعلم. هذه الواقعة هي التي نتج عنها طرد بني النضير من المدينة كما عرضنا.

سبب السرية أن أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغتال لنا محمدا فإنه يمشي في الأسواق وحده، فأتاه رجل من الأعراب وقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا، فإذا أنت فديتني خرجت إليه حتى أغتاله فإن معي خنجرا كجناح النسر، وإني عارف بالطريق، فقال له أنت صاحبنا، فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال له اطو أمرك.

وخرج ليلا إلى أن قدم المدينة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فدل عليه، وكان في مسجد بني عبد الأشهل، فعقل راحلته وأقبل على رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، فلما رآه قال إن هذا يريد غدرا، والله حائل بينه وبين ما يريد، فجاء ليجني على رسول الله"صلى الله عليه وسلم" فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا، فقال له رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أصدقني، قال وأنا آمن، قال نعم، فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فأسلم، وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال، فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي، ثم اطلعت على ما هممت به، فعلمت أنك على الحق، فجعل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يبتسم.

عند ذلك بعث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس إلى أبي سفيان بمكة، وذلك بعد قتل خبيب بن عدي وصلبه على الخشبة، فلما قدما مكة حبسا جمليهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا، فقال له صاحبه يا عمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبو سفيان، فقال له عمرو إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق، فقال كلا إن شاء

1- المغازي للواقدي

الـلـه، قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا، ثم خرجنا لطلب أبي سفيان، فلقيني رجل من قـريش فعرفني، وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي، فهربت أنا وصاحبي وصـعدنا الجبـل، وخرجـوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل، ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله، فلما أصبحنا، غـدا رجـل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار، فقلت لصاحبي إن رآنا صاح بنا، فخرجـت إليـه ومعـي خنجر أعددته لأبي سفيان فضربته عـلى يـده فصـاح صـيحة أسـمع أهـل مكـة، فجـاء النـاس يشتدون فوجدوه بآخر رمق، فقالوا من ضربك، قال عمرو بن أمية، وغلبه المـوت فـاحتملوه، فقلت لصاحبي لما أمسينا،النجاة، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة.

ولاشك انه كان لرسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسـلم" موقفـاً حاسـماً مـن عمـرو الضـمري وسلمة بن حريس ولامهما بشده- خاصة عمرو- على سوء تصرفهما الـذي ادى لفشـل المهمـة وتعرضهما للخطر. ففي هذه الظروف الحرجة والمهـام المشـوبة بـالخطر يجـب التركيـز عـلى إنفاذ المهمة والعودة سريعاً قبل إنكشاف امرهما وعـدم الإنشـغال بـأي شـئ آخـر حتـى لـو كانت الصلاة في الحرم المكي. وكان اللوم اكثر على عمرو لأنه معروف في مكه ومعرض لكشـف امره إن لم يحتاط بشدة ويتخفـى. فكيـف وهـو يصـلي في الكعبـة ملتقـى اهـل مكـة؟ وهـو ماحدث بالفعل وتسبب في فشل المهمة وعرَّض حياتهما للخطر. بصرف النظر عن إرادة الـلـه في ألا يُقْتَل ابو سفيان للدور الذي ينتظره في الإسلام فيما بعد. فهو درس هام جـداً للمهـمات المماثلة.

غزوة بدرالآخرة: شوال من العام الرابع للهجرة

ويقال لها بدر الموعد: أي لموعد أبي سفيان، حيث قال حين منصرفـه مـن أُحـد: موعـد مـا بيننا وبينكم بدر: أي موسمها، فقال رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسلم" لعمر بن الخطاب: قل نعم إن شاء الـلـه تعالى. لما قدم رسول الـلـه "صلى الـلــه عليـه وسـلم" مـن غـزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم هم رسول الـلـه "صلى الـلــه عليـه وسـلم" بالخروج في شوال لملاقاة قريش في موعد سوق بدر في ذي القعدة.

وبدأ تهيؤ المسلمين للخروج، فذهب نعيم بن مسعود الأشجعي، وكان ذلك قبـل إسـلامه وأخـبر قريشا أن المسلمين تهيأوا للخروج لقتالهم ببدر، فكره أبو سفيان الخروج لذلك، وقال لـه أو سـفيان إنه بدا لي أن لا أخرج، وأكره أن يخرج محمـد ولا أخـرج أنـا، فيزيـدهم ذلـك جـراءة، فـلأن يكـون الخُلف من قبلهم أحب إليّ من أن يكون من قبلي. فالحق بالمدينة، وأعلمهم أنـا في جمـع كثـير ولا

طاقة لهم بنا، ولك إن رجعت إلى المدينة وخَذَّلت المسلمين عن الخروج لبـدر عشريـن بعـيرا. أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو، فجاء نعيم إلى سهيل بـن عمـرو، فقـال لـه: يـا أبـا يزيـد تضمن لي هذه الإبل وانطلق إلى محمد وأثبطه؟ قال نعم، فقدم نعيم المدينة- وكان هذا هـو الظهور الثاني لنعيم مع المسلمين بعد واقعة سرية زيد لقافلـة قـريش بـالقردة- وقـد أرجـف نعيم بكثرة جموع أبي سفيان – هذا تخصصه كـما ذكرنـا- وصـار يطـوف فـيهم حتـى قـذف الرعب في قلوب المسلمين، ولم يبق لهم نية في الخروج، واسـتبشر المنـافقون واليهـود، وقـالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

وهنا كان دور رجال الجهاز، فعندما رأوا ما آل اليه حال المسلمين من الفزع مما قاله نعيم، حتى اسرعوا بإبلاغ رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم"، وجاء أبو بكر وعمر إلى النبي"صـلى اللـه عليه وسلم" وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له: يا رسول اللـه، إن اللـه مظهر نبيه ومعز دينه، وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فـيرون أن هـذا جـبن، فسر لموعدهم، فواللـه إن في ذلك لخيرة، فسر رسول اللـه "صلى اللـه عليـه وسـلم" بـذلك، ثـم قال: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد، وحـين خـرج مـن المدينـة اسـتخلف عليها، عبد اللـه بن عبد اللـه بن أبي بن سلول الأنصاري ـ رضي اللـه عنه - وخـرج في ألـف وخمسمائة من أصحابه، وكان الخيل عشرة أفراس. وفي هذه الواقعة نزل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًـا وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "173" فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللــهِ وَفَضْـلٍ لَـمْ يَمْسَسْـهُمْ سُـوءٌ وَاتَّبَعُـوا رِضْـوَانَ اللـهِ وَاللـهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ "174"﴾[1].

فأذهب اللـه عنهم ما كانوا يجدون، وحمل لواء رسول اللــه"صـلى اللــه عليـه وسـلم" علي بن أبي طالـب كـرم اللــه وجهـه، وخـرج المسـلمون معهـم بتجـارات إلى بـدر، فربحـت الضعف.

اما أبو سفيان فقد قال لقريش: لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج، ولكـن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع، فإن كان محمد لم يخرج وبلغه أنا خرجنا فرجعنـا، لأنه إن لم يخرج كان هذا لنا عليه، وإن خرج أظهرنا أن هذا عـام جـدب ولا يصـلحنا إلا عـام عشب، قالوا: نِعْمَ ما رأيت، فخرج أبو سفيان في قريش: وهـم ألفـان ومعهـم خمسـون فرسـا حتى انتهوا إلى مَجَنة، أي بفتح الميم والجيم وتشديد النون: وهو سوق معروف من ناحية مرّ الظهران، وقيل إلى عفان، وهنا بلغته رسالة نعيم ان المسلمين خرجوا بالفعل ولم تنطل عليهم

1- آل عمران

خدعته فقال: يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب، ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه الماء، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم لتشربوا السويق. وأقام رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التي هي ثمانية أيام، فقد انتهى إلى بدر هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة. لا ينازعهم فيها أحد، ثم انصرف رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إلى المدينة، وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم، وإنهم كانوا أصحاب الموسم، والمخبر لهم بذلك معبد بن أبي معبد الخزاعي، فإنه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا إلى مكة وأخبرهم بذلك. فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذٍ أن تعد القوم، وقد اجترأوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف.

التخطيط للتحزب:

لَمّا أَجْلَى رَسُولُ اللهِ "صلى الله عليه وسلم" بَنِي النّضِيرِ سَارُوا إلَى خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهَا مِنْ الْيَهُودِ قَوْمٌ أَهْلُ عَدَدٍ وَجَلَدٍ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ مِنْ الْبُيُوتِ وَالْأَحْسَابِ مَا لِبَنِي النّضِيرِ- كَانَ بَنُو النّضِيرِ سِرّهُمْ، وَقُرَيْظَةُ مِنْ وَلَدِ الْكَاهِنِ مِنْ بَنِي هارون فَلَمّا قَدِمُوا خَيْبَرَ خَرَجَ حُيَيّ بْنُ أخطب وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَهَوْذَةُ بْنُ الْحُقَيْقِ.

وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيّ مِنْ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ، وَأَبُو عَامِرٍ الرّاهِبُ فِي بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا إلَى مَكّةَ يَدْعُونَ قُرَيْشًا وَأَتْبَاعَهَا إلَى حَرْبِ مُحَمّدٍ "صلى الله عليه وسلم" فَقَالُوا لِقُرَيْشٍ: نَحْنُ مَعَكُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمّدًا. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هَذَا الّذِي أقدمكم ونزعكم؟ قالوا: نعم، جئنا لِنُحَالِفَكُمْ عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمّدٍ وَقِتَالِهِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَرْحَبًا وآهلا أَحَبّ النّاسِ إلَيْنَا مَنْ أَعَانَنَا عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمّدٍ. قَالَ النّفَرُ: فَأَخْرَجَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ كُلّهَا أَنْتَ فِيهِمْ، وَنَدْخُلُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ حَتّى نُلْصِقَ أَكْبَادَنَا بِهَا، ثُمّ نَحْلِفُ بِاللهِ جَمِيعًا لَا يَخْذُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَلَتَكُونَن كَلِمَتُنَا وَاحِدَةً عَلَى هَذَا الرّجُلِ مَا بَقِيَ مِنّا رَجُلٌ. فَفَعَلُوا فَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ وَتَعَاقَدُوا، ثُمّ قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: قَدْ جَاءَكُمْ رُؤَسَاءُ أَهْلِ يَثْرِبَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ الْأُوَلِ، فَسَلُوهُمْ عَمّا نَحْنُ عَلَيْهِ وَمُحَمّدٌ، أَيّنَا أَهْدَى؟ قَالَتْ قُرَيْشٌ: نَعَمْ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأُوَلِ وَالْعِلْمِ، أَخْبِرُونَا عَمّا أَصْبَحْنَا نَحْنُ فِيهِ وَمُحَمّدٌ، دِينُنَا خَيْرٌ أَمْ

دِينُ مُحَمّدٍ؟ فَنَحْنُ عُمّارُ الْبَيْتِ، وَنَنْحَرُ الْكَوْمَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَنَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. قَالُوا: اللـهُمّ، أَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقّ مِنْهُ، إنّكُمْ لَتُعَظّمُونَ هَذَا الْبَيْتَ، وَتَقُومُونَ عَلَى السّقَايَةِ، وَتَنْحَرُونَ الْبُدْنَ، وَتَعْبُدُونَ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقّ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللـهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا "51" أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللـهُ وَمَن يَلْعَنِ اللـهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ "52"[1].

فَاتّعَدُوا لِوَقْتٍ وَقّتُوهُ "اتفقوا على توقيت" فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّكُمْ قَدْ وَعَدْتُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِهَذَا الْوَقْتِ وَفَارَقُوكُمْ عَلَيْهِ، فَفُوا "فوفوا" لَهُمْ بِهِ ! لَا يَكُونُ هَذَا كَمَا كَانَ، وَعَدْنَا مُحَمّدًا بَدْرَ الصّفْرَاءِ فَلَمْ نَفِ بِمَوْعِدِهِ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ، وَقَدْ كُنْت كَارِهًا لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ ...

فَخَرَجَتْ الْيَهُودُ حَتّى أَتَتْ غَطَفَانَ، وَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ فِي الْجَهَازِ، وَسَيّرَتْ فِي الْعَرَبِ تَدْعُوهُمْ إلَى نَصْرِهَا، وَأَلّبُوا أَحَابِيشَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. ثُمّ خَرَجْت اليهود حتى جاءوا بنى سليم، فَوَعَدُوهُمْ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ إذَا سَارَتْ قُرَيْشٌ. ثُمّ سَارُوا فِي غَطَفَانَ، فَجَعَلُوا لَهُمْ تَمْرَ خَيْبَرَ سَنَةً، وَيَنْصُرُونَهُمْ وَيَسِيرُونَ مَعَ قُرَيْشٍ إلَى مُحَمّدٍ إذَا سَارُوا، فَأَنْعَمَتْ بِذَلِكَ غَطَفَانُ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَسْرَعَ إلَى ذَلِكَ مِنْ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ.

وتم الاتفاق علي التحزب- كما سنري - و بعدها انتقل الوفد اليهودي الي غطفان لاكمال جيش الاحزاب بعد ان اتفق مع قريش علي اللقاء في رمضان التالي- اي بعد عام- عند اطراف المدينة لشن الهجوم بمساعدة يهود بني قريظة الذين كانوا مازالوا في المدينة علي عهدهم مع المسلمين. ولاشك ان العباس عم الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" والذي كان لايزال يعيش في مكة قد عرف بهذا الاتفاق التآمري ولاشك انه ارسل لابن عمه بهذه الاخبار وموعد الهجوم ... كما سبق وفعل قبل غزوة احد كما رأينا. اذن كان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يعلم بهذا التآمر في وقته و يعلم موعد الهجوم قبله بعام كامل وكان لابد من ان يبدأ الاستعداد لمواجهة هذا الخطر الكبير ...

وقد علم رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بتواطؤ غطفان مع قريش كما كان بلاشك يخشي تواطؤ بني قريظة، المهم انه لابد ان يستعد من الان، وربما لم يخبر إلا كبار الصحابة.كان لابد من إتباع سياسة عسكرية خاصة خلال هذا العام، تعتمد علي زيادة القدرة العسكرية لجيش المسلمين من حيث العدد، وكذلك الحد من العمليات العسكرية

1- النساء

التي يمكن ان تنهك المسلمين و تؤثر في عددهم، لذلك لم يشهد هذا العام إلا غزوات ذات الرقاع ثم دومة الجندل ثم غزوة بنى المصطلق. كانت هذه الغزوات الثلاث نتيجة حتمية لانتشار أخبار اتفاق الأحزاب بين العرب، فحاولت بعض القبائل المساهمة في تنفيذ هذا الاتفاق بإنهاك المسلمين حتى لا يستطيعوا مقاومة جيش الاحزاب حين يواجههم.

غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ: المحرم من العام الرابع للهجرة.

قال الواقدي: قَدِمَ قَادِمٌ بِجَلَبٍ لَهُ فَاشْتَرَى بِسُوقِ النّبَطِ وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ جَلَبْت جَلَبَك؟ قَالَ: جِئْت مِنْ نَجْدٍ وَقَدْ رَأَيْت أَنْمَارًا وَثَعْلَبَةَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ. وَأَرَاكُمْ هَادِينَ عَنْهُمْ.

فَبَلَغَ النّبِيّ "صلى الله عليه وسلم" قَوْلُهُ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ قَائِلٌ: كَانُوا سَبْعَمِائَةٍ أَوْ ثَمَانَمِائَةٍ. وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ "صلى الله عليه وسلم" مِنْ الْمَدِينَةِ، حَتّى سَلَكَ عَلَى الْمَضِيقِ ثُمّ أَفْضَى إلَى وَادِي الشّقَرَةِ فَأَقَامَ بِهِ يَوْمًا، وَبَثّ السّرَايَا فَرَجَعُوا إلَيْهِ مَعَ اللّيْلِ، وَخَبّرُوهُ أَنّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا وَقَدْ وَطِئُوا آثَارًا حَدِيثَةً. ثُمّ سَارَ رَسُولُ اللهِ "صلى الله عليه وسلم" فى أصحابه حتى أبى مَحَالّهُمْ، فَيَجِدُونَ الْمَحَالّ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَقَدْ ذَهَبَتْ الْأَعْرَابُ إلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ وَهُمْ مُطِلّونَ عَلَى النّبِيّ "صلى الله عليه وسلم".

وَقَدْ خَافَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْهُمْ قَرِيبٌ وَخَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَارّونَ. وَخَافَتْ الْأَعْرَابُ أَلّا يَبْرَحَ رَسُولُ اللهِ "صلى الله عليه وسلم" حَتّى يَسْتَأْصِلَهُمْ.وَفِيهَا صَلّى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" صلاة الخوف.

فحدّثنى ربيعة ابن عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: فَكَانَ أَوّلَ مَا صَلّى يَوْمَئِذٍ صَلَاةُ الْخَوْفِ، وَخَافَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَيْهِ وَهُمْ فِي الصّلَاةِ وَهُمْ صُفُوفٌ. وبين القرآن الكريم صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو. قال تعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾"102"[1].

1- النساء

فقد صلى المسلمون صلاة الخوف، وصفة هذه الصلاة أن طائفة صفت معه، وطائفة في وجه العدو، فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاء الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم. أي ان صلاة الخوف ركعتان لأنها صلاة قصر.

وفي هذه الغزوة كان للأمن الداخلي دوره في رصد هذا القادم الغريب وتقصي اية اخبار من موضع قدومه. وكان لهم ما تمنوا وعرفوا منه اخباراً هامة عن تجمع أنمار وثعلبة لمحاربة المسلمين. ومن الحالات السابقة المماثلة يمكن التكهن بان اخباراً كانت قد وصلت كالعادة عن هذا التجمع واكدها هذا القادم. لأنه من غير المنطقي امنياً ان يتم سؤال كل تاجر قادم عما يعرفه إلا إذا كانت هناك حملة للتأكد او استطلاع لأخبار محددة. ونلاحظ تطور عمل الجهاز واكتساب مزيد من الإحترافية في الأداء.

غزوة دومة الجندل: ربيع الأول من العام الخامس للهجرة

عاد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" من ذات الرقاع، وقد ساد المنطقة الأمن والسلام، واطمأنت دولته، فتفرغ للتوجه إلى أقصي حدود العرب حتى تصير السيطرة للمسلمين على الموقف، ويعترف بذلك الموالون والمعادون.

ثم جاءت إليه الأخبار بأن القبائل حول دومة الجندل ـ قريباً من الشام ـ تقطع الطريق هناك، وتنهب ما يمر بها من قوافل وركبان، وأنها قد حشدت جمعاً كبيرا تريد أن تهاجم المدينة، فاستعمل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على المدينة سِبَاع ابن عُرْفُطَة الغفاري، وخرج في ألف من المسلمين لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة 5هـ وأخذ رجلاً من بني عُذْرَة دليلاً للطريق يقال له: مذكور. خرج يسير الليل ويكمن النهار حتى يفاجئ أعداءهم وهم غارون، فلما دنا منهم إذا هم مغربون، فهجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب. وأما أهل دومة الجندل ففروا في كل وجه، فلما نزل المسلمون بساحتهم لم يجدوا أحداً، وأقام رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أياماً، وبث السرايا وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحداً، ثم رجع إلى المدينة، ووادع في تلك الغزوة عيينة بن حصن الفزاري.

بهذه الإجراءات السريعة الحاسمة، وبهذه الخطط الحكيمة الحازمة نجح النبي "صلى الله

عليه وسلم" في بسط الأمن، واقرار السلام في المنطقة، والسيطرة على الموقف، وتحويل مجري الأيام لصالح المسلمين، وتخفيف المتاعب الداخلية والخارجية التي كانت قد توالت عليهم وأحاطت بهم من كل جانب، فقد سكت المنافقون واستكانوا، وتم إجلاء قبيلة من اليهود، وبقيت الأخرى تظاهر بإيفاء حق الجوار، وبإيفاء العهود والمواثيق، واستكانت البدو والأعراب، وحادت قريش عن مهاجمة المسلمين، ووجد المسلمون فرصة لنشر الإسلام وتبليغ رسالات رب العالمين.

غزوة بني المُصطلق: شعبان من العام الخامس للهجرة

شهدت هذه الغزوة نشاطاً هاماً للجهاز. كما ان بها درساً امنياً هاماً يوضح واجباً حتمياً على كل مواطن للحفاظ على سلامة وامن الجبهة الداخلية للوطن. وان كان البعض يظنه صفة خسيسة وهي الوشاية. وسنرى ماحدث وما قاله القرآن عنه.

بلغ رسول الله- "صلى الله عليه وسلم"- أن زعيم قبيلة بني المصطلق الحارث بن أبي ضِرَار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ... ونلاحظ ان هنا مهمتان للجهاز وعيونه الساهرة من مختلف القبائل. ففي البداية ابلغوا عن نية زعيم بني المصطلق في الهجوم على المدينة. وابلغوا القيادة التي قررت التأكد من الخبر لأهميته. وهنا درس امني هام تعلمه الجهاز من القائد الموحى اليه. فعندما يكون الخبر هاماً ويترتب عليه إجراءاً كبيراً. وكان مصدره احد العيون. يجب التأكد منه عن طريق مصدر آخر او احد رجال الجهاز. فقد يكون قد تم كشف هذا العين واجبروه على ان يرسل هذه المعلومة للخداع لعمل كمين. او يكون هو تراجع عن موقفه المؤيد للمسلمين وباعهم لأعدائهم نظير المال. لذلك ارسل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بُرَيْدَة بن الحصيب الأسلمي للتحقق من الخبر.

واستأذن بريدة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن يقول ما يتخلص به من شرهم وإن كان خلاف الواقع- أي يكذب - فأذن له رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له مَن الرجل؟ قال: رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم فقال له الحارث: فنحن على ذلك فعجل علينا. قال بريدة: أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسُروا بذلك منه ورجع إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فأخبره خبر القوم.

وبعد أن تأكد لديه "صلى الله عليه وسلم" صحة الخبر ندب الصحابة. وأسرع في الخروج.

وكان خروجه لليلتين خلتا من شعبان. وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها. وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عينًا؛ ليأتيه بخبر الجيش الإسلامي. فألقي المسلمون القبض عليه وقتلوه. وكانت هذه هي المهمة الثانية لرجال الجهاز المشاركون في الغزوة كمحاربين ايضاً.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وقتله عينه. خافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم من كان معهم من العرب. وانتهي رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إلى "المُرَيْسِيع". وهي اسم لماء من مياههم. قال ابن القيم: إنه لم يكن بينهم قتال. وإنما أغار عليهم على الماء فسبي ذراريهم وأموالهم. كما في الصحيح.وكان من جملة السبي: جُوَيْرِيَة بنت الحارث سيد القوم. وقعت في سهم ثابت ابن قيس. فكاتبها. فأدي عنها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وتزوجها. فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا. وقالوا: أصهار رسول الله "صلى الله عليه وسلم". ولما كانت غزوة بني المصطلق وخرج فيها المنافقون مثَّلوا قوله تعالى:

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ "47"[1].

وحتى هذا الوقت كان المسلمين – وحتى رسول الله – يعلمون ان بينهم منافقين ولكنهم لايعرفونهم. لذلك لم يرفضوا خروجهم لأنهم لا يعرفونهم.

وجد المنافقون متنفسين للتنفس بالشر. فأثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين. والدعاية الشنيعة ضد النبي "صلى الله عليه وسلم" فقد أقام رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بعد الفراغ من الغزوة على ماء المُرَيْسِيع. ووردت واردة الناس لجلب الماء من العين. ومع عمر بن الخطاب أجير يقال له: جَهْجَاه الغفاري من المهاجرين. فازدحم هو وسِنَان بن وَبَر الجهني الأنصاري على الماء فاقتتلا. فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. وتجمع الفريقان للقتال وسارع رجال الجهاز المرافقين للغزوة بإخبار القائد بما على وشك ان يحدث من تقاتل مسلمين. فاسرع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ووقف بينهما قائلاً: "أبدعوي الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها مُنْتِنَة". وبلغ الأمر عبد الله بن أُبي بن سلول فغضب ـ وعنده رهط من قومه. فيهم زيد بن أرقم غلام حدث ـ وقال: أو قد فعلوها. قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. والله ما نحن وهُم إلا كما قال الأول: "سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ". أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على

1- التوبة

من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم. أحللتموهم بلادكم. وقاسمتموهم أموالكم. أما واللـه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. وواضح ان سنان بن وبر كان من رجال ابن سلول المنافقين. وانه تعمد إستفزاز المهاجر الغفاري ليشتعل الموقف.

أي انها خطة مدبره من قِبَل ابن سلول ونفذها سنان. لأن رد فعل ابن سلول كان سريعاً ومرتباً من شخص يعرف ماذا سيحدث وكيف سيستغله. وكان سيفُلح لولا عناية اللـه التي تمثلت في شاب انصاري تربى على الإسلام وفهم ان المصلحة العامة اهم من أي إنتماء شخصي. هذا الشاب هو زيد بن ارقم الذي قلنا انه سمع دسيسة ابن سلول فأخبر زيد عمه بالخبر. فأخبر عمه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وعنده عمر. فقال عمر: مُرْ عَبَّاد بن بشر فليقتله. فقال: "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أَذِّنْ بالرحيل". وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها. فارتحل الناس. فلقيه أسيد بن حضير فحياه. وقال: لقد رحلت في ساعة منكرة؟ فقال له: "أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟" يريد ابن أبي. فقال: وما قال؟ قال: "زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل". قال: فأنت يا رسول اللـه. تخرجه منها إن شئت. هو واللـه الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول اللـه. ارفق به. فواللـه لقد جاءنا اللـه بك. وإن قومه لينظمون له الخَرَز ليتوجوه. فإنه يري أنك استلبته ملكاً.

ثم مشي بالناس يومهم ذلك حتى أمسي. وليلتهم حتى أصبح. وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس. ثم نزل بالناس. فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً. فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث. وهذا درساً امنياً ونفسياً آخر من القائد. فالإنهاك البدني يصرف الذهن عن التأمل في وساوس الشياطين سواء شياطين الجن او الإنس أما ابن سلول فلما علم أن زيد بن أرقم بَلَّغ الخبر جاء إلى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وحلف باللـه ما قلت ما قال. ولا تكلمت به. فقال من حضر من الأنصار: يا رسول اللـه عسي أن يكون الغلام قد أُوهم في حديثه. ولم يحفظ ما قال الرجل. فصدقه. قال زيد: فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط. فجلست في بيتي. فأنزل اللـه:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللـهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ "7" يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ "8"﴾[1].

1- المنافقون

فأرسل إلي رسول اللـــه "صلى اللـــه عليه وسلم" فقرأها عليّ. ثم قال: "إن اللـــه قد صدقك".

هذه الواقعة تلزم كل مسلم ان يُبلغ عن أي شئ يظن انه يضر بالصالح العام. حتى لو كان ظنه في غير محله ... فالتحقق من الأمر مسئولية القائمين على العمل الأمني ... المهم الأ يكون كاذباً عن عمد بهدف الإضرار او الإنتقام. فهذا عقابه مُلزِم ان تأكد المسئولين من كذب البلاغ المتعمد. ولكن عقاب اللـه له مؤكداً فهو المطلع على خائنة الأعين وماتخفي الصدور.

ونعود لماحدث بعد تبين الحقيقة وبعد ان اكد اللـه ان ابن سلول من المنافقين. فقد كان ابن هذا المنافق ـ وهو عبد اللـه بن عبد اللـه بن أبي ـ رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار. فتبرأ من أبيه. ووقف له على باب المدينة. واستل سيفه. فلما جاء ابن سلول قال له: واللـه لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول اللـه "صلى اللـــه عليه وسلم". فإنه العزيز وأنت الذليل. فلما جاء النبي "صلى اللـه عليه وسلم" أذن له فخلي سبيله.

ونأتى إلى أهم وأخطر وانجح عمليات جهاز الاستخبارات الاسلامى. ألا وهى:

غزوة الخندق: شوال من العام الخامس من الهجرة

لم يقتصر عمل الجهاز على فترة الغزوة والعمليات العسكرية ولكن - تحسباً لإحتمالات متوقعة من إنتقام اليهود لما حدث لهم- بدأ العمل مع انتهاء غزوة بنى النضير. فقد ذكرنا من قبل أنه أثناء حصار المسلمين لحصن بنى النضير. تمرد يهوديان وخرجا من الحصن وأعلنا إسلامهما. وقد تلقتهما عناصر الجهاز. ومن المقبول ان يكون أحدهما مَن أبلغ رسول اللـــه "صلى اللـه عليه وسلم"عن مؤامرة قتله. والأوقع أن يكون هو يامين بن عُمَيْر والذى قتل ابن عمه عمرو بن جحاش الذي تطوع بقتل رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". والمُتَصَور أنه قتل أبن عمه قبل تنفيذ المؤامرة ثم هرب من الحصن وأخبر المسلمين بالمؤامرة. فلعل شخص آخر ينفذ ما حال القتل دون تنفيذ عمرو بن جحاش له ويقتل رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". فكان ما كان من طرد بنى النضير. وما حدث لم يُمَكِّن الجهاز من استخدام يامين أكثر من ذلك فقد انكشف أمام اليهود. ولكن بقى أبو سعد بن وهب والذى لم يعرف اليهود بأمره فى خضم أحداث الحصار ثم الجلاء ... لذلك كلف الجهاز أبو سعد ان يرحل مع بنى النضير خاصة مع من سيذهب منهم إلى حصن خيبر لينقل الأخبار للمسلمين ... وكانت هذه الخطوة فى حد ذاتها انتصاراً آتى ثمره بعد ذلك.

فرغم انه عاد الأمن والسلام. وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعوث التي استغرقت أكثر من سنة كاملة. إلا أن اليهود ـ كانوا قد ذاقوا ألواناً من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم ـ لم يفيقوا من غيهم. ولم يستكينوا. ولم يتعظوا بما أصابهم من نتيجة الغدر والتآمر. فبعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين من خلال المناوشات التي كانت بين المسلمين والوثنيين. ولما تحول مجري الأحداث لصالح المسلمين. وتمخضت الليالى والأيام عن بسط نفوذهم. وتوطد سلطانهم ـ تحرق هؤلاء اليهود أي تحرق. وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين. وأخذوا يعدون العدة. لتصويب ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها. ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على قتال المسلمين مباشرة. خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة.

ففي شعبان من السنة الخامسة للهجرة. أخبر أبو سعد الجهاز بما يدبره اليهود ضد المسلمين. وعرف الجهاز ان عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير على رأسهم حيي بن أخطب. قد خرجوا إلى قريش بمكة. يحرضونهم على غزو الرسول "صلى اللـه عليه وسلم". ويوالونهم عليه. ومن مكة وصلت باقى التفاصيل عن طريق العباس عم الرسول "صلى اللـه عليه وسلم". فقد وصل الوفد وتم الإتفاق بعد ان وعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم. فأجابتهم قريش. وكانت قريش قد أخلفت موعدها في الخروج إلى بدر. فرأت في ذلك إنقاذا لسمعتها والبر بكلمتها. وبعد عودة الوفد من غطفان نقل أبو سعد ما سمعه منهم عن تفاصيل رحلتهم. فأكد ما وصلهم من مكة وأخبرهم بما حدث فى غطفان حيث خرج هذا الوفد إلى غَطَفَان. فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشاً فاستجابوا لذلك. ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك فاستجاب له من استجاب. وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي "صلى اللـه عليه وسلم" والمسلمين. هنا أعد الجهاز تقريره بعد أن وصل لهم من مكة ومن عيونهم فى غطفان ما يؤكد تنفيذ قريش وغطفان للخطة وبدء الإستعداد. لذلك عندما عاد رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" من غزوة بنى المصطلق وضعوا أمامه كل المعلومات. فكان القرار بالبدء فوراً فى الاستعداد لمواجهة هذا الطوفان القادم.

ونظرة الى بيانات هذه الغزوة توضع خطورة موقف المسلمين فيها. فقد عرف الجهاز من عيونه في مكة وغطفان وباقي القبائل المتحالفة انه قد خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة في أربعة آلاف. ووافاهم بنو سليم. وخرجت من الشرق قبائل غطفان وبنو أسد وغيرها. واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه.

وكان لابد من مراقبة الطريق المتوقَع قدوم جيش الأحزاب منه. وعلى مسافة كبيرة لسرعة الإبلاغ. وسارع رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" إلى عقد مجلس استشاري أعلي. تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة. وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشوري اتفقوا على اقتراح قدمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي اللـه عنه. قال سلمان: يا رسول اللـه. إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدَقْنَا علينا. وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك. وأسرع رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" إلى تنفيذ هذه الخطة. فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً. ولما كانت المدينة تحيط بها الحرات والجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوي الجنوب. وكان النبي "صلى اللـه عليه وسلم" يعلم أن زحف مثل هذا الجيش الكبير. ومهاجمته المدينة لا يمكن ان يكون إلا من جهة الجنوب. اتخذ الخندق في هذا الجانب.وقام المسلمون بجد ونشاط يحفرون الخندق. ورسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يحثهم ويشاركهم في عملهم هذا. وعن أنس: خرج رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" إلى الخندق فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة. فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأي ما بهم من النَصَب والجوع قال:

اللـهم إن العيش عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبداً

وفيه عن البراء بن عازب قال: رأيته "صلى اللـه عليه وسلم" ينقل من تراب الخندق حتى واري عني الغبار جلدة بطنه. وكان كثير الشعر. فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة. وهو ينقل من التراب ويقول:

اللـهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى رغبوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا

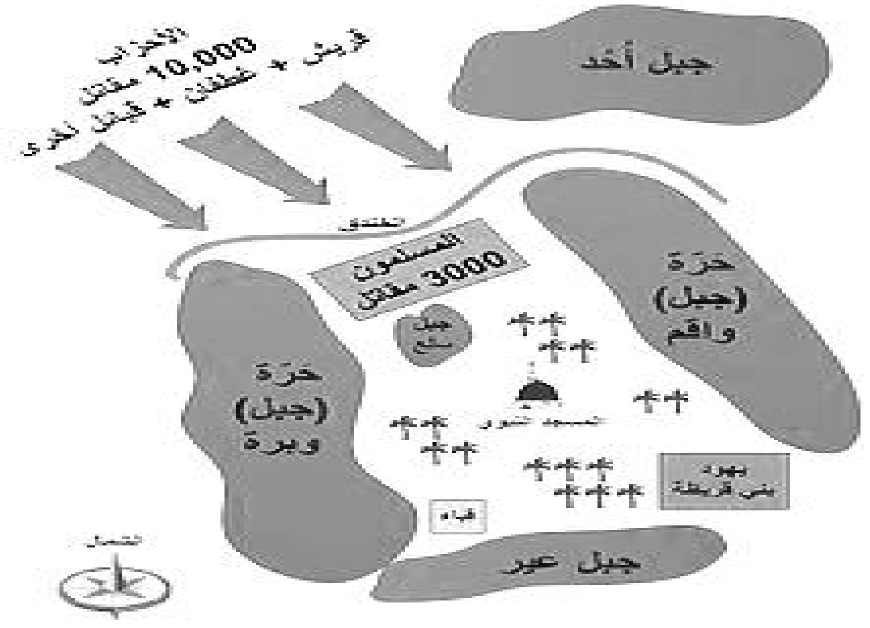
قال: ثم يمد بها صوته بآخرها. وفي رواية:

إن الألى قـــد بغـــوا علينـــا   وإن أرادوا فـتنـــــة أبينـــــا

كان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يقاسون من شدة الجوع ما يفتت الأكباد. فقد كان حفر الخندق في رمضان وكان الصيام قد فرض. فهل صاموا في هذه الظروف؟

من المتوقع انهم صاموا خاصة وان الطعام لم يكن متوفراً بسبب التفرغ للعمل بالخندق كما ان ماورد عن شكواهم من الجوع مع العمل يشير الى صيامهم.

قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول. فاشتكينا ذلك لرسول الله "صلى الله عليه وسلم". فجاء وأخذ المعول فقال: "بسم الله". ثم ضرب ضربة. وقال: "الله أكبر. أعطيت مفاتيح الشام. والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة". ثم ضرب الثانية فقطع آخر. فقال: "الله أكبر. أعطيت فارس. والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن". ثم ضرب الثالثة. فقال: "بسم الله". فقطع بقية الحجر. فقال: "الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن. والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني". وواصل المسلمون عملهم في حفر الخندق. فكانوا يحفرونه طول النهار. ويرجعون إلى أهليهم في المساء. حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة. قبل أن يصل الجيش الوثني



العرمرم إلى أسوار المدينة.

وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عَرَمْرَم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل. جيش ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ.

ولو بلغت هذه الأحزاب أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطراً على كيان المسلمين مما يقاس. وربما تبلغ إلى استئصال الشأفة وإبادة الخضراء. ولكن قيادة المدينة كانت قيادة متيقظة. لم تزل واضعة أناملها على العروق النابضة. تتجسس الظروف. وتقدر ما يتمخض عن مجراها.

أقبلت قريش في أربعة آلاف. حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومَة بين الجُرْف وزَغَابَة. وأقبلت غَطَفَان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف حتى نزلوا بذَنَبِ نَقْمَي إلى جانب أُحد. يقول المولى عز وجل عن حال المؤمنين حين شاهدوا جيش الأحزاب:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾"22"[1].

وأما المنافقون وضعفاء النفوس فقد تزعزعت قلوبهم لرؤية هذا الجيش.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾"12"[2].

وخرج رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في ثلاثة آلاف من المسلمين. فجعلوا ظهورهم إلى جبل سَلْع فتحصنوا به. والخندق بينهم وبين الكفار.وكان شعارهم: "حم لا يُنصَرون". واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في آطام المدينة. ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة. وجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها. فالتجأوا إلى فرض الحصار على المسلمين. بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم. إذ كانت هذه الخطة ـ كما قالوا ـ مكيدة ما عرفتها العرب. فلم يكونوا أدخلوها في حسابهم رأساً. وأخذ المشركون يدورون حول الخندق غضاباً. يتحسسون نقطة ضعيفة؛ لينحدروا منها.

1- الأحزاب

2- الأحزاب

وأخذ المسلمون يتطلعون إلى جولات المشركين. يرشقونهم بالنبل. حتى لا يجترئوا على الاقتراب منه. ولا يستطيعوا أن يقتحموه. أو يهيلوا عليه التراب. ليبنوا به طريقاً يمكنهم من العبور. وقد حاول المشركون في بعض الأيام محاولة بليغة لاقتحام الخندق. أو لبناء الطرق فيها. ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة. ورشقوهم بالنبل. وناضلوهم أشد النضال حتى فشل المشركون في محاولتهم. ولأجل الاشتغال بمثل هذه المكافحة الشديدة فاتت بعض الصلوات عن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" والمسلمين. ففي الصحيحين عن جابر رضي اللـه عنه: أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق. فجعل يسب كفار قريش. فقال: يا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال النبي "صلى اللـه عليه وسلم": "وأنا واللـه ما صليتها". فنزلنا مع النبي "صلى اللـه عليه وسلم" بُطْحَان. فتوضأ للصلاة. وتوضأنا لها. فصلى العصر بعد ما غربت الشمس. ثم صلي بعدها المغرب. وقد استاء رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" لفوات هذه الصلاة حتى دعا على المشركين. ففي البخاري عن عليّ عن النبي "صلى اللـه عليه وسلم" أنه قال يوم الخندق: "ملأ اللـه عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً. كما شغلونا عن الصلاة الوسطي حتى غابت الشمس". وكان للجهاز عيونه فى بنى قريظه وكانوا ثلاثة هم: ثعلبه بن سعيه وأخاه أسيد بن سعيه. وأسد بن عبيد. عرف منهم بزيارة حيى بن اخطب واتفاقه مع كعب بن اسد فبينما كان المسلمون يواجهون هذه الشدائد على جبهة المعركة كانت أفاعي الدس والتآمر تتقلب في جحورها. تريد إيصال السم داخل أجسادهم.

فقد انطلق كبير مجرمي بني النضير حيي بن أخطب إلى ديار بني قريظة فأتي كعب بن أسد القرظي ـ سيد بني قريظة وصاحب عقدهم وعهدهم. وكان قد عاقد رسول اللـه على أن ينصره إذا أصابته حرب. فضرب عليه حيي الباب فأغلقه كعب دونه. فما زال يكلمه حتى فتح له بابه. فقال حيي: إني قد جئتك يا كعب بعز الدهر وببحر طَامٍ. جئتك بقريش على قادتها وسادتها. حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال من رُومَة. وبغطفان على قادتها وسادتها. حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمَي إلى جانب أحد. قد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه.

فقال له كعب: جئتني واللـه بذُلِّ الدهر وبجَهَامٍ قد هَرَاق ماؤه. فهو يرْعِد ويبْرِق. ليس فيه شيء. ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه. فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء.

فلم يزل حيي بكعب يفْتِلُه في الذِّرْوَة والغَارِب. حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من اللـه

وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان. ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده. وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين. ودخل مع المشركين في المحاربة ضد المسلمين. لذلك بدأ الجهاز فى مراقبة منطقة حصن بنى قريظه فى شمال المدينة تحسباً لغدرهم ودخول جيش الأحزاب من ناحيتهم. ورصدت العيون كذلك تهرب المنافقين من العمل فى حفر الخندق بل والتحريض على عدم الجدية فى العمل. وبعد حفر الخندق كانت قوة الحراسة مكونة من فرقتين: الأولى بقيادة زيد بن حارثة لمراقبة حصن بنى قريظة عن قرب لسهولة نقل أخبار الحصن لهم من عيونهم هناك ... وهم الذين نقلوا تفاصيل لقاء كعب مع حيى والاتفاق وموقف عمرو بن سعدى الرافض لنقض العهد ومحذراً من مغبته.

وأبلغ الجهاز الأمر للقيادة. وانتهي الخبر إلى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وإلى المسلمين. وكما حدث فى بنى المصطلق أراد الرسول التأكد حتى يستجلي موقف قريظة. فيواجهه بما يجب من الوجهة العسكرية. وبعث لتحقيق الخبر السعدين؛ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. وعبد اللـه بن رواحة وخَوَّات بن جبير. وقال: "انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه. ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس. وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس". فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما يكون. فقد جاهروهم بالسب والعداوة. ونالوا من رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وقالوا: من رسول اللـه؟ لا عهد بيننا وبين محمد. ولا عقد. فانصرفوا عنهم. فلما أقبلوا على رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" لحنوا له. وقالوا: عَضَل وقَارَة؛ أي إنهم على غدر كغدر عضل وقارة بأصحاب الرَّجِيع.

وعلى رغم محاولتهم إخفاء الحقيقة تفطن الناس لجلية الأمر. فتجسد أمامهم الخطر رهيب. وقد كان أحرج موقف يقفه المسلمون. فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف. بينما كان أمامهم جيش عرمرم لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه. وكانت ذراريهم ونساؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ. وصاروا كما قال اللـه تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا "10" هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾"11"[1].

1- الأحزاب

ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسري وقيصر. وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وحتى قال بعض آخر في ملأ من رجال قومه: إن بيوتنا عورة من العدو. فائذن لنا أن نخرج. فنرجع إلى دارنا فإنها خارج المدينة. وحتى همت بنو سلمة بالفشل. وفي هؤلاء أنزل اللـه تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللـهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا"[12]" وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1].

وانسحب المنافقون فقل عدد جيش المسلمين وارتبكوا.

أما رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فتقنع بثوبه حين أتاه غَدْر قريظة. فاضطجع ومكث طويلاً حتى اشتد على الناس البلاء. ثم نهض مبشراً يقول: "اللـه أكبر. أبشروا يا معشر المسلمين بفتح اللـه ونصره". ثم أخذ يخطط لمجابهة الظرف الراهن. وكجزء من هذه الخطة كان يبعث الحرس إلى المدينة؛ لئلا يؤتي الذراري والنساء على غرة.

وكانت بني قريظة قد بدأت بالفعل عمليات الحرب. قال ابن إسحاق: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت. وكان حسان فيه مع النساء والصبيان. قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن. وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا. ورسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" والمسلمون في غور عدوهم. لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إن أتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان. إن هذا اليهودي كما تري يطيف بالحصن. وإني واللـه ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا مِنْ يهود. وقد شغل عنا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وأصحابه. فانزل إليه فاقتله.

قال: واللـه لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فاحتجزت ثم أخذت عموداً. ثم نزلت من الحصن إليه. فضربته بالعمود حتى قتلته. ثم رجعت إلى الحصن وقلت: يا حسان. انزل إليه فاسلبه. فإنه لم يمنعني من سبله إلا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه من حاجة.

وقد كان لهذا الفعل المجيد من عمة الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" أثر عميق في حفظ

1- الأحزاب

ذراري المسلمين ونسائهم. ويبدو أن اليهود ظنوا أن الآطام والحصون في منعة من الجيش الإسلامي ـ مع أنها كانت خالية عنهم تماماً ـ فلم يجترئوا مرة ثانية للقيام بمثل هذا العمل. إلا أنهم حاولواامداد الغزاة الوثنيين بالمؤن. كدليل عملي على انضمامهم إليهم ضد المسلمين.فحقق الجهاز نجاحاً آخر. فمن خلال رقابته لحصن بنى قريظة والذى تم التشديد عليه ودعمه بعد المجاهرة بالعداء. استولى رجال الجهاز على قافلة طعام مكونة من حِمل عشرين بعيراً بالتمر والشعير والتين. كان حيى قد أرسلها من حصن بنى قريظة لجيش الأحزاب. فقد تأثرت المؤن بسبب طول الحصار الذى لم يكن فى الحسبان. وكان لابد من إقدام حاسم. يفضي إلى تخاذل الأحزاب. وتحقيقاً لهذا الهدف أراد الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" أن يصالح عُيينَة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة. حتى ينصرفا بقومهما. ويخلو المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة العاجلة بقريش التي اختبروا مدي قوتها وبأسها مراراً. وجرت المراودة على ذلك. فاستشار السعدين في ذلك- ابن معاذ وابن عبادة- فقالا: يا رسول اللـه. إن كان اللـه أمرك بهذا فسمعاً وطاعة. وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه. لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك باللـه وعبادة الأوثان. وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بيعاً. فحين أكرمنا اللـه بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ واللـه لا نعطيهم إلا السيف. فَصَوَّبَ رأيهما وقال: "إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة". وهذه الواقعة توضح جواز الرشوة الاضطرارية للدفاع عن النفس ... وبهذا يتأكد ان الإسلام يبيح كل شئ فى حال الدفاع المشروع عن النفس. بشرط عدم المبالغة فى الإجراء الوقائى. فمثلاً لا يهددك شخصاً بيده فتطلق عليه الرصاص.

ولمعرفة احوال جيش الأحزاب أمام الخندق.أرسل الجهاز جاسوسان هما سليط بن النعمان الذى أبلغ عن قافلة قريش نقلاً عن نعيم في غزوة القردة. ومعه سيفان بن عوف وهما من الأنصار- لكى لا يعرفهما أحد من جيش الأحزاب- وذلك لمعرفة أخبار الجيش. ولكنهما قابلا دورية كبيرة العدد لم يستطيعا تفاديها وقُبِض عليهما وأعدما. ولكن المسلمين نجحوا فى نقل جثتيهما ودفنا فى قبر واحد ... ومعرفة المسلمين بما حدث لهما يدل على أن تحركهما كان مراقباً من دورية أخرى. وهذا قمة العمل الاستخبارى الدقيق. فكل فريق عمل يتابعه فريق آخر للتغطية والمساندة إذا لزم الأمر وليعرف ماذا حدث له ... هكذا يكون التكامل فى العمل الاستخبارى. وهذا ما تعلمه الجهاز مما حدث في واقعة الرجيع كما ذكرنا،كما ان نجاح المسلمين في اختراق صفوف الأحزاب ونقل جثتي الصحابيين لدفنهما في المدينه،يمثل نجاحاً آخر لهذا الجهاز .

وعندما اشتدت الأزمة كان الظهور الثالث والحاسم لنعيم بن مسعود مع المسلمين. والثاني لصالح المسلمين ولكن بإرادته هذه المرة. فقد نجح فى التسلل إلى المدينة ورصدته الرقابة وتابعته فقط لأنه لم يكن مسلحاً. فربما جاء للتجسس أو للتخذيل فقط كما فعل من قبل فى غزوة بدر الآخره... ولكنه توجه بهدوء لخيمة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فقال: يا رسول الله. إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي. فمرني ما شئت. فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إنما أنت رجل واحد. فَخذِّلْ عنا ما استطعت. فإن الحرب خدعة". وهذا التصرف من الرسول "صلى الله عليه وسلم" يمثل قمة الإحتياط في وقت الشدة وفي نفس الوقت يعطي الفرصة للإستفادة إن كانت هناك إستفادة حقيقية. فلم يرفض عرض نعيم رغم انه لايعرفه إلا جاء معادياً المسلمين. ولكن قد يكون على حق. فأعطاه حرية التصرف دون التكليف بمهمة معينة إمعاناً في الحرص. وأعطاه رخصة هامة لعمل أي شئ ينقذ به المسلمين. وذلك حين قال له: إن الحرب خدعة.

وقد ورد في بعض المصادر ان نعيم استأذن رسول الله في الكذب لينقذ المسلمين. فسمح له لأن الحرب خدعة. ذهب نعيم من فوره إلى بني قريظة ـ وكان عشيراً لهم في الجاهلية ـ وكان رجال الجهاز لاشك يراقبونه حتى دخل الحصن فيتسلمه عيون الجهاز في الحصن وهم من قصوا ماحدث في الحصن. دخل نعيم عليهم وقال: قد عرفتم ودي إياكم. وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت. قال: فإن قريشاً ليسوا مثلكم. البلد بلدكم. فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم. لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره. وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه. وقد ظاهرتموهم عليه. وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فإن أصابوا فرصة انتهزوها. وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمداً فانتقم منكم. قالوا: فما العمل يا نعيم ؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم مضي نعيم على وجهه إلى قريش وقال لهم: تعلمون ودي لكم ونصحي لكم؟ قالوا: نعم. قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه. وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه. ثم يوالونه عليكم. فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم. ثم ذهب إلى غطفان. فقال لهم مثل ذلك.

فلما كانت ليلة السبت الأخيرة من شوال ـ سنة 5هـ ـ بعثوا إلى يهود: أنا لسنا بأرض مقام. وقد هلك الكُرَاع والخف. فانهضوا بنا حتى نناجز محمداً. فأرسل إليهم اليهود أن اليوم يوم السبت. وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه. ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى

تبعثوا إلينا رهائن. فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان: صدقكم واللـه نعيم. فبعثوا إلى يهود إنا واللـه لا نرسل إليكم أحداً. فاخرجوا معنا حتى نناجز محمداً. فقالت قريظة: صدقكم واللـه نعيم. فتخاذل الفريقان. ودبت الفرقة بين صفوفهم. وخارت عزائمهم.

وكان المسلمون يدعون اللـه تعإلى: "اللـهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا". ودعا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" على الأحزاب. فقال: "اللـهم منزل الكتاب. سريع الحساب. اهزم الأحزاب. اللـهم اهزمهم وزلزلهم".

وقد سمع اللـه دعاء رسوله والمسلمين. فبعد أن دبت الفرقة في صفوف المشركين وسري بينهم التخاذل، أرسل اللـه عليهم جنداً من الريح فجعلت تقوض خيامهم. ولا تدع لهم قِدْرًا إلا كفأتها. ولا طُنُبًا إلا قلعته. ولا يقر لهم قرار. وأرسل جنداً من الملائكة يزلزلونهم. ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف.

وبعد نجاح نعيم. وهبوب الرياح الشديدة وتدهور حال جيش الأحزاب كان دور حذيفه بن اليمان حيث أرسله رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في تلك الليلة الباردة القارسة ليأتيه بخبرهم. وشدد عليه الا يتصرف في أي شئ دون الرجوع له. وقد سنحت الفرصة لحذيفة بالفعل لقتل ابي سفيان وكاد يفعل لولا إلتزامه بأوامر القائد. وقد وجدهم على هذه الحالة. وقد تهيأوا للرحيل. فرجع إلى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". فأخبره برحيل القوم. فأصبح رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وقد رد اللـه عدوه بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفاه اللـه قتالهم. فصدق وعده. وأعز جنده. ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده. فرجع إلى المدينة. وهكذا انتصر المسلمون وأندحر جيش الأحزاب. ونجح الجهاز فى عمله نجاحاً باهراً أثناء الغزوة. مما جعل القتال فيها قليلاً بدليل وقوع تسعة شهداء للمسلمين وأربعة قتلى للمشركين فقط على مدى شهر ونصف من الحصار والمناجزة عن بعد. فقد كان انسحاب جيش الأحزاب في منتصف شهر ذي القعدة.

لم تكن معركة الأحزاب معركة خسائر. بل كانت معركة أعصاب. لم يجر فيها قتال مرير. إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام. تمخضت عن تخاذل المشركين. وأفادت أن أية قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة؛ لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوي مما أتت به في الأحزاب. ولذلك قال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" حين أجلي اللـه الأحزاب: "الآن نغزوهم. ولا يغزونا. نحن نسير إليهم".

الفصل الثالث: الذروة

- غزوة بنى قريظة: شوال من العام الخامس للهجرة.
- سرية عبد الـلـه بن عتيك: ذو القعدة من العام الخامس للهجرة.
- سرية عبد الـلـه بن رواحة: شوال من العام السادس للهجرة.
- صلح الحديبية: ذو القعدة من العام السادس للهجرة.

غزوة بني قريظة: شوال من العام الخامس للهجرة

لم ينته الأمر عند حد إندحار جيش الأحـزاب وإنسـحابه. ففـي الوقـت الـذي الـتقط فيـه المسلمون انفاسهم بعد العسرة الشديدة ونشدوا الراحة. وفي اليـوم الـذي رجـع فيـه الرسـول صلى الـلـه عليه وسلم إلى المدينة. جاءه جبريل عند الظهـر. وهـو يغتسـل في بيـت أم سـلمة فقال: "أو قد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم. وما رجعت الآن إلا مـن طلـب القوم. فانهض بمن معك إلى بني قريظة. فإني سائر أمامـك أزلـزل بهـم حصـونهم. وأقـذف في قلوبهم الرعب". فسار جبريل في موكبه من الملائكة. فأمر الرسولُ مؤذناً فأذن في الناس: "مـن كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة". واستعمل عـلى المدينـة ابـن أم مكتـوم. وأعطى الراية علي بن أبي طالب. وقدّمه إلى بني قريظة فسار علي حتى إذا دنا من حصـونهم سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم.

وضرب المسلمون الحصار على بني قريظة خمسًا وعشرين ليلة. ولما اشـتد الحصـار وعظـم البلاء على بني قريظة. أرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكِّم الرسولُ فيهم سـعدَ بـنَ معـاذ. ونزلوا على حكمه. ورأوا أنه سيرأف بهم بسبب الحلف بينهم وبين قومه الأوس. فجيء بسعد محمولاً؛ لأنه كان قد أصابه سهم في ذراعه يوم الخندق. فقضى أن تُقتل المقاتلـة. وأن تُسـبى النساء والذرية. وأن تُقسم أموالهم. فأقرّه الرسولُ. وقال: "قضيت بحكم الـلــه". ونفـذ حكـم الإعدام في أربعمائة في سوق المدينة. حيث حفـرت أخاديـد وقُتِلـوا فيهـا بشـكل مجموعـات. وكان من بينهم حيي بن أخطب – الد اعداء الإسلام والمسلمين – وكعب بن اسـد زعـيم بنـي قريظة. وكانت هذه هي حالة الإعدام الجماعي الوحيده في حياة رسول الـلــه. وكانـت هـذه موجباتها ... الخيانة العظمى وقت الحرب. وقسمت أموالهم وذراريهم عـلى المسـلمين. وقـد أرسل الرسولُ سعدَ بن عبادة بالخمس من الذرية والنساء إلى الشام فباعهـا. واشـترى بـالثمن سلاحًا وخيلاً ليستعين به المسلمون في معاركهم مع الأعداء من يهود ومشركين.

وقد نجت مجموعة قليلة جداً بسـبب وفائهـا للعهـد ودخولهـا في الإسـلام. وعـلى رأسـهم عيون المسلمين الثلاثة السابق ذكرهم والذين شهدوا لعمرو بن سعدي وآخـرين انهـم رفضـوا نقض العهد ولم يستطيعوا الخروج من الحصن كما سبق ان فعل رجال بني النضـير. فأخـذت القيادة بشهادتهم وعفت عنهم ...

سرية عبد اللـه بن عتيك: ذو القعدة من العام الخامس للهجرة

بعد ايام قليلة من إنتهاء غزوة الخندق. وكمرحلة من مراحـل تصـفية الحسـابات مـع مـن اشترك في التحريض على تجمع الأحزاب. ارسل رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" عبـد اللـه بن عتيك على رأس سرية.كان هدف السريـة قتـل سـلّام بـن أبي الحقيـق الـذي فـر إلى حصن خيبر بعد أن حرض مع حيـي بـن أخطـب قـريش والأحـزاب عـلى المسـلمين في غـزوة الخندق. فأمر الرسول عبد اللـه بن عتيك وأبو قتادة وعبد اللـه بن أنيس والأسود الخزاعـي ومسعود بن سنان. بقتل سلام بن أبي الحقيـق. فـذهبوا إلى خيـبر وكمنـوا لـه. ونزلـوا منزلـة. ففتحت امرأته التي خاطبها عبد اللــه بـن عتيـك باليهوديـة. وأخبرهـا بانـه يحمـل لزوجهـا هدية. غير أنها ارتابت من كونهم مسلحين. فهمت بالصياح غير أنهم لوحوا لهـا بالسـيوف أن اصمتي. ودخلوا البيت وقتلوه. وصاحت امرأته فتجمع ثلاثة آلاف من رجـال خيـبر يقـودهم الحارث أبو زينب. غير أنهم لم يلحقوا بهم. وعاد عبد اللـه بـن عتيـك وأصـحابه إلى المدينـة. وأخبروا الرسول بقتل ابن أبي الحقيق.

❖ بعد سرية ابن عتيك فى ذو القعدة سنة 5 وحتى الحديبية، كانت مرحلـة الهجـوم مـن المسلمين كوعد رسول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" بعـد غـزوة الخنـدق، وبمصـطلحات الألعاب الرياضية الجماعية، فقد بدأ المسلمون عملياتهم العسكرية بأسـلوب دفـاع المنطقـة. متمركزين فى يثرب. معتمدين على الهجمات المرتدة والتـى نفـذوها بنجـاح نتيجـة حماسـهم للإسلام وأيضا لنجاح جهاز الاستخبارات فى جمع المعلومات ورصد تحركات الاعداء مبكراً مـما مكن القيادة العسكرية من وأد هذه التحركات فى مهدها بسرايا عسـكرية سريعـة للمباغتـة. ولكنهم بعـد غـزوة الخنـدق تحولـوا للهجـوم المـنظم عـلى مختلـف المحـاور. بعـد ان أمنـوا الهجمات المرتدة وذلك لصلابة الجبهة الداخلية الدفاعية خاصـة بعـد ان خلـت المدينـة مـن اليهود وانكشف امر المنافقين فبَطُلَ خطرهم.

وبنظرة متأملة لإجمالى عمليات الجهاز فى هذه المرحلة نجد أنه تعلم الكثير من تجاربه، ويبدو ذلك بجلاء مما حدث فى سرية عبد اللـه بن أنيس إلى سفيان بن خالـد، حيـث كـان رد القيادة العسكرية على خبر إستعداد خالد بن سفيان لغزو المدينة. هـو إرسـال سريـة فردية للتحايل والاغتيال ورد الخطر، وهي حالة وحيدة كان السبب فيها هو تأخر وصول المعلومات حتى تم التجمع بالفعل مما جعل تحـرك سريـة عسـكريةغير مناسـب، لـذلك حرص الجهاز على أن تصله المعلومات مبكرة لسرعة التحرك المناسـب وهـذا مـا تأكـد فى

سرايا وغزوات الفترة التى اشرنا إليها آنفاً، حيث نجحت اربعة عشر سرية وغزوتان فى الإجهاز على الأعداء دون قتال بسبب عنصر المباغتة الناتج عن دقة وسرعة اخبار الجهاز.

❖ ودلالة أخرى على نجاح هذا الجهاز تمثلت فى الفارق الكبير بين نتائج سرايا وغزوات ما قبل غزوة بدر وسرايا وغزوات ما بعد غزوة بدر، فلم تحقق سرايا ما قبل غزوة بدر اى نجاح يذكر فى مهامها والتى كانت اغلبها للتعرض لقوافل قريش، وذلك بسبب عدم دقة توقيت خروج هذه السرايا والتى كانت تتأخر عن موعد القافلة بسبب انعدام المعلومات الاستطلاعية عن هذه القوافل ومواعيدها. كما حدث في سرية سعد بن ابي وقاص وغزوة بواط. أو عما يحدث فى المكان المستهدف للسرية ووضع العدو هناك. كما حدث في سرية عبيدة بن الحارث ... صحيح أن ما فعله كرز بن جابر الفهرى من الإغارة على مضارب المدينة ثم الفرار مما استدعى خروج غزوة بدر الأولى، قد تكرر من أبى سفيان فى غزوة السويق بعد غزوة بدر، ولكن وقتها لم يكن الجهاز قد استكمل الاستعداد لمختلف المهام، والدليل أن هذا الأسلوب من الهجوم الخاطف لم يتكرر أبداً بعد غزوة السويق.

❖وهناك اعتبار نفسى آخر راعاه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" مع الصحابى الجليل زيد بن حارثة ثالث من أسلم والذى تبناه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فصار اسمه زيد بن محمد. ففى العام الخامس من الهجرة مر زيد بن محمد بتجربة عسيرة للغاية نتج عنها أزمة نفسية مر بها هذا الصحابى المقرب من رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ... فقد زوجه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" من القرشية الشريفة الاستقراطية وابنة عمة رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" زينب بنت جحش. لم تكن هى راضية بهذا الزواج ولكنها ازعنت لأمر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". ولكن الحياة لم تستقم بينهما فلم تستطع هى أن تستسيغ الأمر. وبأمر اللـه واستجابة لطلب زيد وشكواه منها. طلقها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" من زيد. ثم تزوجت رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بعد أن الغى اللـه التبنى. فلم يعد زيد ابناً لرسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" وعاد اسمه زيد بن حارثة ... فقد زيد زوجه الجميلة الشريفة لعدم التكافؤ. ثم فقد بنوته لرسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وكانت هناك ردود أفعال متباينة لزواج رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" من مطلقة زيد. أحرجت زيد للغاية. لولا أن أحداث غزوة الخندق قد اهمّت المسلمين وشغلتهم فأنشغل زيد بهذه المحنة ونسى أزماته. وكان من الطبيعى أن يعود زيد لمحنته الإنسانية بعد غزوة بنى قريظة وانتهاء المحنة العامة التى ينسى فيها المؤمن محنته الخاصة. ولم يكن هناك من حل لمشكلة زيد سوى انشغاله الدائم بالأمور العامة كعلاج نفسى. لذلك ففى

العام التالى وهو العام السادس. ارسل رسول الـلـه "صلى الـلـه عليـه وسـلم" زيـد بـن حارثـة على رأس ست سرايا قتالية.فقد كان قائداً بارعاً ثم شارك فى بعثـة الحديبيـة ثـم فى خيـبر ثـم ارتاح ليهدأ لمدة عام خرج بعدها فى سرية مؤتة حيث نال الشهادة التى يتمناهـا كـل مسـلم سنة ثمان للهجرة.

هكذا تعامل رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسلم" مع أزمة زيد بن حارثة بما يفيده ويفيـد المسلمين ... وهكذا يجب أن يكون تصرف القائد حيـال جنـدى مخلـص مـن جنـوده. شـاءت إرادة الـلــه أن تضـع القائـد مـع جنديـه فى هـذا الظـرف الشـائك ... تصرف يفيـد الجنـدى والجماعة.

ونعود للتحركات العسكرية فيما بين غزوة بني قريظة وصـلح الحديبيـة لنجـد ان اهمهـا سرية عبد الـلـه بن رواحه.

سرية عبد الـلـه بن رواحة: شوال من العام السادس للهجرة

لما قُتِلَ أبو رافع بن سلّام بن أبي الحقيق عظيم يهود في خيبر، أمّروا عليهم أُسَـيْرِ بْـن زَارِمَ. ولما أمّروه عليهم قال لهم إني صانع بمحمد ما لم يصنعه أصحابي. فقـالوا لـه ومـا عسـيت أن تصنع، قال:أسير في غطفان فأجمعهم لحربه. قالوا نِعمَ ما رأيت. وكان ذلـك قبـل فـتح خَيْـبَر، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب الرسول.

ومرة اخرى يظهر دور ابو سعد بن وهب عين المسلمين في خيـبر منـذ طـرد بنـي النضـير. والذي ابلغ بما حدث. فبلغ ذلك الرسول، فوجه إليه عبد الـلــه بـن رواحـة في ثلاثـة نفـر سرا يسأل عن خبر أسير وغرته. فأقبل حتى أتى ناحية خيبر فجعل يدخل الحوائط وفـرق أصـحابه في النطاة، والشق، والكتيبة، ووعوا ما سمعوا من أسير وغيره. ثم خرجوا بعد إقامة ثلاثة أيـام فرجع إلى النبي صلى الـلـه عليه وسلم لليال بقين من رمضان فخَبَّر النبي بكل ما رأى وسـمع، فندب الرسول الناس لذلك. فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد الـلـه بن رواحة. فقدموا على أسير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا لـه، قـال نعـم ولي مـنكم مثـل ذلـك. فقالوا نعم. فقلن إن رسول الـلـه بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليـك، فطمع في ذلك، واستشار اليهود في ذلك فأشاروا عليـه بعـدم الخـروج وقـالوا مـا كـان محمـد ليستعمل رجلا من بنو إسرائيل، قال بلى قد مل الحرب.

فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كـل رجـل مـنهم رديـف مـن المسـلمين. قـال

عبد اللـه بن رواحه كنت رديفا لأسير. فكأن أسيرا ندم على خروجه معنـا. فـأهوى بيـده إلى سيفي. ففطنت له. وقلت أغدر عدو اللـه أغدر عدو اللـه أغدر عـدو اللــه ثلاثـا، فضربتـه بالسيف فأطحت عامة فخذه فسقط. وملنا على أصحابه فقتلنـاهم إلا رجـلا واحـدا أعجزنـا جريا، ثم أقبلنا عـلى رسـول اللــه فحـدثناه الحـديث. فقـال "قـد نجـاكم اللــه مـن القـوم الظالمين".

ونصل إلى مـا حـدث فى الحديبيـة ظاهرهـا وباطنهـا ومـدلولات صـلح الحديبيـة وشرطهـا المجحف وكيف استفاد منه الجهاز بخطة رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم".

وقد كشفت هذه الغزوة أن خطر اليهود فى خيبر لن ينتهى ولابد من وضع حد لهذا الخطر الدائم. ولكن المشكلة أن المسلمين محاطون بمثلث خطر مكون مـن قـريش وخيـبر وغطفـان والتى كشف تحرك أسير استمرار استعداد غطفان للتحالف ضد المسـلمين رغـم مـا حـدث فى غزوة الأحزاب وكان أخطر ضلعي هذا المثلث. قريش وخيـبر لأن غطفـان لا تتحـرك وحـدها. وهناك خطر من التحرك تجاه أحد الطرفين دون أن يتعرض المسلمون لخطر انقضاض الطرف الآخر خاصة وأن المسلمين معهما بين شقى رحـا. لـذلك كـان لابـد مـن تحييـد أحـد الطـرفين للتفرغ للطرف الآخر. واتصور ان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فضل أن يُحَيِّد قـريش لما يعرفه من انهيار معنوياتها. وقد فسر نزول الآيـة الكريمـة عـن دخـول مكـة وأداء العمـرة ليتحرك مع المسلمين لأداء العمرة وهو يتوقع ألا ترحب قريش بدخوله مكة بسهولة.

صلح الحُديبية: ذو القعدة من العام السادس للهجرة

قرّر رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" أن يسير بأصحابه مـن المدينـة المنـوّرة إلى مكّـة لزيارة بيت اللـه الحرام، بعد أن رأى في منامه أنّه يدخله هو وأصحابه آمنين من غير قتال.

كما روت ذلك الآية الشريفة:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللـهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللــهُ آمِنِـينَ مُحَلِّقِـينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾"27"[1].

توجّه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" نحو مكّة ومعه ما يقرب من ألـف وأربعمائـة

1- الفتح

من المهاجرين والأنصار، وذلك في الأوّل من ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وقد ساقوا معهم سبعين بَدَنة هدياً لتُنحر في مكّة.

فلمّا تناهى الخبر إلى قريش فزعت، وظنّت أنّ رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يريد الهجوم عليها، فراحت تتدارس الموقف، وتعدُّ نفسها لصدِّه عن البيت الحرام.

ولمّا بلغ الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" أخبار إعداد قريش، والتهيّؤ لقتاله، غيّر مسيره وسلك "صلى اللـه عليه وسلم" طريقاً غير الطريق الذي سلكته قُوّات قريش المتوجّهة لقتاله.

في طريقه "صلى اللـه عليه وسلم" إلى مكّة استقرّ وأصحابه في وادي الحُديبية، وهي قرية سُمّيت ببئر هناك، وبينها وبين مكّة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

قال ابن عباس: إنّ رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم" خرج يريد مكّة، فلمّا بلغ الحُديبية وقفت ناقته، وزجرها فلم تنزجر، وبركت الناقة، فقال أصحابه: خلأت الناقة، فقال "صلى اللـه عليه وسلم": "ما هذا لها عادة، ولكن حبسها حابس الفيل".

ودعا عمر بن الخطّاب ليرسله إلى أهل مكّة، ليأذنوا له بأن يدخل مكّة، ويحل من عمرته وينحر هديه، فقال: يا رسول اللـه، ما لي بها حميم، وإنّي أخاف قريشاً لشدّة عداوتي إيّاها، ولكن أدلّك على رجل هو أعزّ بها منّي ... عثمان بن عفّان.

فقال: صدقت، فدعا رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم" عثمان، فأرسله إلى أبي سفيان وأشراف قريش؛ يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت معظّماً لحرمته.

بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى النبي "صلى اللـه عليه وسلم"، فقال: يا أبا القاسم، إنّ مكّة حرمنا وعزّنا، وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا، ومتى ما تدخل علينا مكّة عنوة يطمع فينا فنُتَخطّف، وإنّا نُذَكّرك الرحم، فإنّ مكّة بيضتك التي تفلّقت عن رأسك.

قال "صلى اللـه عليه وسلم":

"فما تريد"؟ قال: أُريد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن أخلّيها لك في قابل فتدخلها، ولا تدخلها بخوفٍ ولا فزع، ولا سلاح إلّا سلاح الراكب، السيف في القراب والقوس، فدعا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" علياً ليكتب كتاب الصلح.

فقال "صلى اللـه عليه وسلم ": "اكتب بسم اللـه الرحمن الرحيم".

فقال سهيل:

لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك الـلـهمّ. فكتبها علي.

ثمّ قال "صلى الـلـه عليه وسلم":

"اكتب، هذا ما صالح محمّد رسول الـلـه سهيل بن عمرو"، فقال سـهيل: لـو شـهدت أنّـك رسول الـلـه لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال رسول الـلـه"صلى الـلـه عليه وسلم":

"اكتب، هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الـلـه سهيل بن عمرو"، فجعل علي يتلكّأ ويـأبى أن يكتب إلّا محمّد رسول الـلـه، فقال له رسول الـلـه"صلى الـلـه عليه وسـلم": "اكتـب، فـإنّ لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد".

فكتب: "هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الـلـه سـهيل بـن عمـرو، اصـطلحا عـلى وضـع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنّـه مـن أتى محمّـداً مـن قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن أتى قريشاً ممّن مع محمّـد لم يـردّوه عليـه، وإنّ بيننـا عيبة مكفوفة، وأنّه لا أسلال ولا أغلال، وأنّ من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهـده دخـل فيه، وأنّ من أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ... ".

جاء في الاتّفاقية:

1ـ إيقاف الحرب بين الطرفين لمدّة عشر سنين.

2ـ التخيير بين الدخول في عهد رسول الـلـه"صلى الـلـه عليـه وسـلم"، أو الـدخول في عهـد قريش.

3ـ أن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة، لا يُكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يُعيّر.

4ـ أن يرجع رسول الـلـه"صلى الـلـه عليه وسلم" هذا العـام، ثـمّ يعـود إلى مكّـة في العـام القادم بلا سلاح ويقيم بها ثلاثة أيّام.

كما قال ابن عباس: "صالح رسول الـلـه "صلى الـلـه عليـه وسـلم" بالحُديبيـة مشركي مكّـة على أنّ من أتاه من أهل مكّة ردّه عليهم، ومن أتى أهل مكّة من أصحاب رسول الـلـه "صـلى الـلـه عليه وسلم" فهو لهم ولم يردّوه عليه، وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه.

شهد على الاتّفاقية مجموعة من الصحابة، مـنهم عـلي بـن أبي طالـب، وكـان هـو كاتـب الصحيفة، كما شهد من قبل قريش: حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص.

وكتب علي الكتاب نسختين: إحداهما عند رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم"، والأُخرى عند سهيل بن عمرو.

وافق رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم" على المعاهدة وهو يستطيع أن يدخل مكة بالقوة العسكرية ولكنه لن يأمن استغلال اليهود الفرصة خاصة بعد مقتل إبي رافع ثم أسير مما زاد من ثأر اليهود لدى المسلمين.

لذلك وافق على الصلح الذى تضمن هدنة عشر سنوات بين المسلمين وقريش، وافق وهو يعلم أن قريش وحلفائها، لن يلتزموا بالهدنة طويلاً وسيجد نفسه مضطراً لمواجهة قريش قريباً لخرق الهدنة من جانبها. وكانت ردود الأفعال الثائرة من المسلمين وأكثرهم عمر بن الخطاب،خاصة بسبب الموافقة على رد من يفر بإسلامه من مكة للمدينة، فقال عمر بن الخطّاب: واللـه ما شككت مذ أسلمت إلّا يومئذٍ ـ أي يوم الحُديبية ـ فأتيت النبي"صلى اللـه عليه وسلم"، فقلت له: ألست نبي اللـه؟ فقال: "بلى"، قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: "بلى".

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: "إنّي رسول اللـه، ولست أعصيه، وهو ناصري"، قلت: أو لست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك أن نأتيه العام"؟ قلت: لا، قال: "فإنّك تأتيه وتطوف به"

إلا أن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" - وإمعاناً فى السرية ودواعى الأمن – أخفى عن المسلمين ما يدبره وسبب موافقته على الصلح وشروطه ليُحَيِّد قريش ويتفرغ لخيبر.رجع سهيل بن عمرو وأصحابه إلى مكّة، وأمّا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم " فقد نحر هديه وحلق، وأمر أصحابه بالنحر والحلق، وأقام بالحُديبية بضعة عشر يوماً، ثمّ رجع إلى المدينة المنوّرة.

وقال أنس بن مالك:

لمّا رجعنا من غزوة الحُديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا، قال: فنحن بين الحزن والكآبة، قال: فأنزل اللـه عزّ وجلّ: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ...".

فقال نبي اللـه"صلى اللـه عليه وسلم":

"لقد أُنزلت عليَّ آية أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها". وقد هدأ المسلمون بعد أن نزلت سورة الفتح فى طريق العودة مؤيدة خطوات الرسول "صلى اللـه عليه وسلم".

أما التدبير الأعظم فكان فى الموافقة على شرط رد من يهرب من قريش أو حلفائها بإسلامه ويلجأ للمدينة وعدم قبوله، فبينما هم يكتبون الصلح إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو إلى النبي"صلى اللـه عليه وسلم" حتّى جلس إلى جنبه، وكان قد أسلم، فقيّدته قريش وعذّبته، فلمّا رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه، ثمّ قال: يا محمّد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: "صدقت".فقال المسلمون: لا نردّه، فقام "صلى اللـه عليه وسلم" وأخذ بيده، وقال: "اللـهمّ إن كنت تعلم أنّ أبا جندل لصادق فاجعل له فرجاً ومخرجاً"، ثمّ أقبل على الناس وقال: "إنّه ليس عليه بأس، إنّما يرجع إلى أبيه وأُمّه، وإنّي أُريد أن أتمّ لقريش شرطها".

ثم جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الصلح والنبي"صلى اللـه عليه وسلم" بالحُديبية، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم في طلبها وكان كافراً، فقال: يا محمّد أردد عليّ امرأتي، فإنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منّا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللـهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللـهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾"10"[1].

قال ابن عباس: امتحانهنّ أن يُسْتَحْلَفْنَ ما خرجن من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلّا حبّاً لله ولرسوله، فاستحلفها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" فحلفت باللـه الذي لا إله إلّا هو على ذلك، فأعطى رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" زوجها مهرها وما أنفق عليها، ولم يردّها عليه، فتزوّجها عمر بن الخطّاب.

فكان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء إذا امتُحنّ، ويعطي أزواجهنّ مهورهن".

1- الممتحنة

كـان وراء قبـول الرسـول "صـلى اللــه عليـه وسـلم" لهـذا الشرط خطـة أمنيـة ونفسـية وعسكرية رائعة، فقـد أدى عـدم معرفـة الكثـيرين بهـذا الشرط لهـرب الكثـير مـن المسـلمين ولجؤهم للمدينة، وردهم المسلمون حسب الاتفاق وكان اولهم ابا جندل كما ذكرنا ونعود لما حدث لأبي جندل في الحديبية حين لجأ للمسلمين ورده رسول اللـه كإتفاقه مع قـريش فقـال رسول اللـه لأبي جندل" :أبا جندل، اصبر واحتسـب؛ فـإن اللــه جاعـل لـك ولمـن معـك مـن المستضعفين فرجًا ومخرجًا. وإنا صالحنا القوم وإنا لا نغدر"[1].

وفي طريق عودته مقيداً لمكة مع ابيه انفلت أبو جندل بن سـهيل بـن عمـرو وخـرج مـن مكة في سبعين راكبا أسلموا وانضم إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائـف مـن العـرب ممن أسلموا حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل فلحقوا بأبي بصير ولكن من هو ابو بصير؟

هو احد نتائج إتفاق الحديبية الذي عانى منه ابو جندل. فأبو بصير رجل مـن قـريش وهـو مسلم. أتى الرسول فاراً بدينه ولم يكن يعلم بالإتفاق. فأرسلت قريش في طلبـه رجلـين فقـالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين. فخرجا به حتى بلغـا ذا الحليفـة. فنــزلوا يـأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: واللـه إني لأرى سيفك هذا يا فـلان جيـداَ. فاسـتله الآخـر فقـال: أجـل واللــه إنـه لجيـد. لقـد جربـتُ بـه ثـم جربـت بـه. ثـم جربـت بـه. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه. فضربه حتـى بـرد. وفـر الآخـر حتـى أتى المدينـة. فدخل المسجد يعدو. فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هـذا ذعـراً. فلما انتهى إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم قال: قُتل واللـه صاحبي وإني لمقتـول. فجـاء أبـو بصير فقال: يا نبي اللـه. قد واللـه أوفى اللـه ذمتـك قـد رددتنـي إلـيهم. ثـم أنجـاني اللــه منهم. قال النبي صلى اللـه عليه وسلم: ويل أمه. مسعر حرب.لو كـان لـه أحـد. فلـما سـمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم؛ وفهم رجال الجهاز ما المح لهم به رسول اللـه"صلى اللــه عليـه وسلم" فلحقوا بأبي بصير – وكان قد خرج متوجها لسيف البحر. واتفقوا معـه عـلى ان يكـون نواة لقوة عسكرية اسلامية منطلقة خارج حدود المدينة الملزمة بتوفير المؤن والسلاح والعتاد لهم. وتحديد المهام التي سيقومون بها ككتيبة إسلامية دائمة ووافق بحماس فلم يكـن امامـه حل آخر كما انها الفرصة التي كان يتمناها ليجاهد في سبيل الإسلام. وذاع صـيته سريعـاً بعـد ان قام بعدة عمليات مع بعض الصحابة اوضحت إنتشار المسـلمين عـلى طـرق التجـارة دون التعرض للقوافل وإنما لبث الرعب في نفوس المشركين في أرجاء الجزيـرة. وقـد قويـت شـوكته بعد ان انضم اليه ابو جندل ورجاله.

1- ابن الأثير: أسد الغابة 59./6

وتم توظيفهم بأفضل صورة. حيث كلف الرسول "صلى اللـه عليـه وسـلم" الجهـاز بتجنيـد هؤلاء الفارين وتكوين فرق عسكرية تتمركز فى الكهوف على طرق التجارة وتكـون مسـتعدة للتحرك بحسب التعليمات. هذه المجموعات كان لهـا دور كبـير ومتنـوع فى نشر الفـزع مـن المسلمين فى كافة أرجاء الجزيرة ثم أخيراً فى فتح مكة. وكانـت أول هـذه المهـام التكتيكيـة فى غزوة خيبر. والتى جاءت فى أعقاب صلح الحديبية مباشرة ... وسنأتى لتوضيح هـذه المهمـة فى سياق حديثنا عن غزوة خيبر.

غزوة خيبر: محرم من العام السابع من الهجرة

بعد أن فَرغ رسولُ اللـه صلى اللـه عليه وسلم من صلح الحديبية، أراد أن يوقف طغيـان اليهود، فاستنفر المسلمينَ لغزو خيبر في محرم من السنة السـابعة، وجهّـز جيشـاً عدَّتـه ألـف وستمائة مجاهد، بينهم مائتا فارس، بقيادة الرسول، قال ابن إسحاق: وكان رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر نزل بينهم وبين غطفان، ليحول بيـنهم وبـين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول اللـه صـلى اللــه عليـه وسـلم فبلغنـي أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول اللـه صـلى اللــه عليـه وسـلم مـن خَيْبَرَ جمعـوا لـه ثـم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلـيهم حسـا، فظنـوا أن ابـا بصـير ورجالـه قـد خـالفوا إلـيهم، فرجعـوا عـلى أعقـابهم، فأقـاموا في أهلـيهم وأموالهم، وخلوا بين رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وبين خيبر، وبذلك اسـتفاد المسـلمون من الشرط الذي احتجوا عليه في البداية، فكان السبب في منع غطفان من دعم يهود خيـبر في هذه الغزوة.

وأمر الرسولُ المسلمين بالمبيت بقربِ خيبر، وبعد صـلاة الفجـر تحـرّك جـيش المسـلمين في الوقت الذي خرج فيه اليهودُ من حصونهم نحو أراضيهم الزراعية، فلما رؤوا المسلمين علمـوا أنّ النّبي "صلى اللـه عليه وسلم" قد أتاهم، صاحوا يقولون محمد والجيش معه وولوا الادبار فقال رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم":

"خربت خبير، إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" انتظم الجـيش الإسـلامي ووقـف امام الحصون بكامل معداته ينتظر امر قائده.

اما اليهود فقد أشار عليهم زعيمهم "سلام بن مشـكم" بجمـع أمـوالهم وعيـالهم في حصـن "الكتيبة"وحشد المقاتلة في حصن نطاة الحصين ودخل معهم يحـثهم ويحرضـهم عـلى القتـال والصبر.

أمر النبى بقطع النخيل المحيط بحصن النطاة، لأن كثرته تحول دون تحركات القوات العسكرية، فخرج اليهود للقائهم واستماتوا في الدفاع عن حصونهم، لأن في هزيمتهم القضاء الأخير على بنى إسرائيل في بلاد العرب.

وقد ارسل النبي عدة اشخاص لفتح الحصون ولكنهم فشلوا وكان اولهم أبو بكر وبعده عمر بن الخطاب حيث باءت جميع المحاولات بالفشل ... وانتهى اليوم الأول ولم ينل احدهم النصر. واستؤنف القتال في الغداة، واستمر القتال ثلاثة أيام واليهود يحاربون امام حصونهم فزعين من الحرب في الميدان فإذا انهزموا عادوا إليها واغلقوها دونهم. وفى اليوم السادس، وقال رسول الله: "لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". وأخذ كل الصحابة يتمنى أن تكون الراية من نصيبه، وفى الغد بعث إلى على ابن إبى طالب حيث كان مصابا بالرمد في عينيه فقام الرسول بوضع قليل من ريقه في عين علي بن ابي طالب، وسلمه الراية.

خرج على ابن أبي طالب وهو يحمل سيفه "ذو الفقار" ودرات رحى معركة هائلة قتل قائد الحصن "الحارث بن أبي زينب" فتولى بعده أخوه "مرحب" وكان من أبطال اليهود الذين يعدون بألف فارس ورج وهو يرتجل وخرج لابسا درعين ومتقلدا بسيفين يريد المبارزة فتقدم على ابن أبي طالب وقتل اليهودي مرحب.

بعد أن استطاع المسلمين إسقاط أول حصن وكان يسمى حصن "ناعم"، بدأت الحصون تنهار واحداً تلو الآخر، حتّى لم يتبقّ منها سوى حصني الوطيح والسَّلالم، فحاصرهما المسلمون أربعة عشر يوماً فلم يروا غير الاستسلام.

فاقترح اليهود أن يظلوا في الأرض، فيقوموا بزراعتها، ويكون للمسلمين نصف الثمر، فقَبِل النبي ذلك، وعيَّن عبد الله بن رواحة لجمع ما يدفعونه من الثمار.

لم يكن بين رسول الله وبين يهود خيبرٍ عهد، بخلاف بني قنيقاع والنضير وقريظة، فقد كان بينه وبينهم عهد، ومعنى ذلك أنّ النبيّ توجَّه إليهم ليدعوهم إلى الإسلام، أو قبول الجزية، أو الحرب، فلمَّا لم يسلموا ولم يقبلوا الجزية حاربهم.

اما ابو بصير ورجاله فقد قسموا الى فرق عديدة كتخطيط جهاز الإستخبارات فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تمر بهم عير إلا أخذوها حتى كتبت قريش له "صلى الله عليه وسلم" سأله بالأرحام إلا آواهم ولا حاجة لهم بهم فكتب رسول الله "صلى الله عليه وسلم"

إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وإن من معهم من المسلمين يلحق ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في يده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا. وعادت هذه الفرق للمدينة ولكنها ظلت جاهزة بتكويناتها لإستخدامها في مهام مطلوبة في المرحلة الهامة التالية. فبعد خيبر واصلت السرايا إنطلاقها في كافة ارجاء جزيرة العرب لنشر الإسلام من جهة ولتأمين الدولة الإسلامية من جهة أخرى. وقد بلغ عدد هذه السرايا ثمان سرايا قبل عمرة القضاء. أي خلال عام من صلح الحديبية. ولم نعد بحاجة لكي نؤكد على دور جهاز الإستخبارات في نجاح أغلب هذه السرايا. واستمر هذا الدور بنجاح خلال عشرة سرايا خلال عام قبل فتح مكة. ونلاحظ إنقطاع الغزوات في هذه الفتره. ربما لتمرس المسلمين على القيادة العسكرية وربما لطبيعة المهام التي لا تتطلب غزوة. و لم تُقَصِّر الإستخبارات إلا في سرية مؤته حيث فوجئ جيش المسلمين بوجود جيش الروم في مواجهتهم ... وربما كان لبعد المسافة أثره في عدم وصول أخبار. اياً كان المبرر فإن الكمال لله وحده.

بعد عودة سرية ابي قتاده منتصرة على غطفان في شعبان من العام الثامن للهجرة حدث ما توقعه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" من عدم إلتزام قريش وحلفائها بالهدنه المنصوص عليها في صلح الحديبية. وبات حلم الفتح المبين الذي وعد اللهُ به قريب المنال. وزاد شوق المهاجرين لمكة الحبيبة البلد الحرام ... فماذا حدث؟

فتح مكة: رمضان العام الثامن الهجرى

قَدَّمنا في واقعة الحديبية أن بنداً من بنود هذه المعاهدة يفيد أن من أحب أن يدخل في عقد محمد "صلى الله عليه وسلم" وعهده دخل فيه. ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وأن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعتبر جزءاً من ذلك الفريق. فأي عدوان تتعرض له أي من تلك القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق. وحسب هذا البند دخلت خُزَاعَة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودخلت بنو بكر في عهد قريش. وصارت كل من القبيلتين في أمن من الأخري. وقد كانت بين القبيلتين عداوة وتوترات في الجاهلية. فلما جاء الإسلام. ووقعت هذه الهدنة. وأمن كل فريق من الآخر اغتنمها بنو بكر. وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم. فخرج نَوْفَل بن معاوية الدِّيلي في جماعة من بني بكر في شهر شعبان سنة

8 هـ. فأغاروا على خزاعة ليلاً. وهم على ماء يقال له: "الوَتِير" فأصابوا منهم رجالاً. وتناوشوا واقتتلوا. وأعانت قريش بني بكر بالسلاح. وقاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل. حتى حازوا خزاعة إلى الحرم. فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل. إنا قد دخلنا الحرم. إلهك إلهك. فقال كلمة عظيمة: لا إله اليوم يا بني بكر. أصيبوا ثأركم. فلعمري إنكم لتَسرِقُون في الحرم. أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ ولما دخلت خزاعة مكة لجأوا إلى دار بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي. وإلى دار مولي لهم يقال له: رافع.

وأسرع عمرو بن سالم الخزاعي. فخرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. فوقف عليه. وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نصرت يا عمرو بن سالم". ثم عرضت له سحابة من السماء. فقال: "إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب". ثم خرج بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي في نفر من خُزَاعَة. حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. فأخبروه بمن أصيب منهم. وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم. ثم رجعوا إلى مكة.

ولا شك أن ما فعلت قريش وحلفاؤها كان غدراً محضاً ونقضاً صريحاً للميثاق. لم يكن له أي مبرر. ولذلك سرعان ما أحست قريش بغدرها. وخافت وشعرت بعواقبه الوخيمة. فعقدت مجلساً استشارياً. وقررت أن تبعث قائدها أبا سفيان ممثلاً لها ليقوم بتجديد الصلح. وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما ستفعله قريش إزاء غدرتهم. قال: كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العَقْدَ. ويزيد في المدة. وخرج أبو سفيان ـ حسب ما قررته قريش ـ فلقي بديل بن ورقاء بعُسْفَان ـ وهو راجع من المدينة إلى مكة ـ فقال: من أين أقبلت يا بديل؟ ـ وظن أنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال: سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا. فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوي. فأتي مبرك راحلته. فأخذ من بعرها. ففته. فرأي فيها النوي. فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً. وقدم أبو سفيان المدينة. فدخل على ابنته أم حبيبة. فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه. فقال: يا بنية. أرغبت بي عن هذا الفراش. أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنت رجل مشرك نجس. فقال: والله لقد أصابك بعدي شر. ثم خرج حتى أتي رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فكلمه. فلم يرد عليه شيئاً. ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله "صلى الله عليه وسلم". فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتي عمر بن الخطاب فكلمه. فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ؟ فوالله لو لم

أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به. ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب. وعنده فاطمة. والحسن غلام يدب بين يديهما. فقال: يا علي. إنك أمس القوم بي رحماً. وإني قد جئت في حاجة. فلا أرجعن كما جئت خائباً. اشفع لي إلى محمد. فقال: ويحك يا أبا سفيان. لقد عزم رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة. فقال: هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس. فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: واللـه ما يبلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس. وما يجير أحد على رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وحيئذ أظلمت الدنيا أمام عيني أبي سفيان. فقال لعلى بن أبي طالب في هلع وانزعاج ويأس وقنوط: يا أبا الحسن. إني أري الأمور قد اشتدت علي. فانصحني. قال: واللـه ما أعلم لك شيئاً يغني عنك. ولكنك سيد بني كنانة. فقم فأجر بين الناس. ثم الْحَقْ بأرضك. قال: أو تري ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا واللـه ما أظنه. ولكني لم أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد. فقال: أيها الناس. إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره. وانطلق. ولما قدم على قريش. قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته. فواللـه ما رد على شيئاً. ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً. ثم جئت عمر بن الخطاب. فوجدته أدني العدو. ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم. قد أشار على بشيء صنعته. فواللـه ما أدري هل يغني عني شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس. ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك. إن زاد الرجل على أن لعب بك. قال: لا واللـه ما وجدت غير ذلك.

يؤخذ من رواية الطبراني أن رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" أمر عائشة ـ قبل أن يأتي إليه خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام ـ أن تجهزه. ولا يعلم أحد. فدخل عليها أبو بكر. فقال: يابنية. ما هذا الجهاز؟ قالت: واللـه ما أدري. فقال: واللـه ما هذا زمان غزو بني الأصفر. فأين يريد رسول اللـه؟ قالت: واللـه لا علم لي. وفي صباح الثالثة جاء عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً. وارتجز: يا رب إني ناشد محمداً ... الأبيات. فعلم الناس بنقض الميثاق. وبعد عمرو جاء بديل. ثم أبو سفيان. وتأكد عند الناس الخبر. فأمرهم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بالجهاز. وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال: اللـهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. وزيادة في الإخفاء والتعمية بعث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم سرية قوامها ثمانية رجال، تحت قيادة أبي قتادة بن رِبْعِي، إلى بطن إضَم، فيما بين ذي خَشَب وذي المروة، على ثلاثة بُرُد من المدينة، في أول شهر رمضان سنة 8 هـ ؛ ليظن الظان أنه صلى اللـه عليه وسلم يتوجه إلى تلك الناحية، ولتذهب بذلك الأخبار، وواصلت هذه السرية سيرها، حتى إذا وصلت حيثما أمرت بلغها أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم خرج إلى مكة، فسارت إليه حتى لحقته.

ولعشر خلون من شهر رمضان المبارك 8 هـ غادر رسول اللــه صلى اللــه عليـه المدينـة متجهاً إلى مكــة، في عشرة ألاف من الصحابة رضي اللـه عنهم، واستخــلف عـلى المدينـة أبـا رُهْم الغفاري.

ولما كان بالجُحْفَة ـ أو فوق ذلك ـ لقيه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان قد خرج بأهلـه وعياله مسلماً مهاجراً، وتحركت كل كتيبة مـن الجـيش الإسـلامي عـلى الطريـق التـي كلفـت الدخول منها.

فأما خالد وأصحابه فلم يلقهم أحد من المشركين إلا أناموه. وقتل من أصحابه من المسلمين كُرْز بن جابر الفِهْرِي وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة. كانا قد شذا عن الجيش، فسلكا طريقاً غـير طريقه فقتلا جميعاً، وأما سفهاء قريش فلقيهم خالد وأصحابه بالخَنْدَمَـة فناوشـوهم شـيئا من قتال، فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلاً، فانهزم المشركون، وانهـزم حِـمَاس بـن قـيس - الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين ـ حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلقي على بابي.

وأقبل خالد يجوس مكة حتى وافى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم عـلى الصـفا. وأمـا الزبير فتقدم حتى نصب راية رسول اللــه صـلى اللــه عليـه وسـلم بـالحَجُون عنـد مسـجد الفتح، وضرب له هناك قبة، فلم يبرح حتى جاءه رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم.

ثم نهض رسول اللـه صـلى اللــه عليـه وسـلم. والمهـاجرون والأنصـار بـين يديـه وخلفـه وحوله. حتى دخل المسجد. فأقبل إلى الحجر الأسـود. فاسـتلمه. ثـم طـاف بالبيـت. وفي يـده قوس. وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما. فجعل يطعنها بالقوس. ويقول: ﴿جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا "81"[1] قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ "49"[2].

والأصنام تتساقط على وجوهها. وكان طوافه على راحلته. ولم يكن محرماً يومئـذ. فـاقتصر على الطواف. فلما أكمله دعا عثمان بن طلحة. فأخذ منه مفتاح الكعبـة. فـأمر بهـا ففتحـت فدخلها. فرأي فيها الصور. وأمر بالصور فمحيت.

مَسَّـتِ الحاجـة إلى بعـث عـدة مـن السرايـا بعـد الفـتح كـان اهمهـا سرايـا هـدم الأصـنام وكانواخمس سرايا. هذا بالإضـافة الى سرايـا اخـرى وذلـك لسـيادة الأمـن عـلى عامـة منـاطق الجزيرة. وهاك لوحة تلك السرايا:

1- الإسراء

2- سبأ

1ـ سرية عيينة بن حصن الفزاري ـ في المحرم سنة 9 هـ ـ إلى بني تميم. في خمسين فارساً. لم يكن فيهم مهاجري ولا أنصاري. وسببها: أن بني تميم كانوا قد أغروا القبائل. ومنعو أداء الجزية. وخرج عيينة بن حصن يسير الليل. ويكمن النهار. حتى هجم عليهم في الصحراء فولي القوم مدبرين. وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدي وعشرين امرأة وثلاثين صبياً. وساقهم إلى المدينة. فأنزلوا في دار رَمْلَة بنت الحارث. وقدم فيهم عشرة من رؤسائهم. فجاءوا إلى باب النبي صلى اللـه عليه وسلم. فأظهروا رغبتهم في المفاخرة والمباهاة. وقدموا خطيبهم عُطَارِد بن حاجب فتكلم. فأمر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ثابت بن قيس بن شَمَّاس ـ خطيب الإسلام ـ فأجابهم. ثم قدموا شاعرهم الزبرقان بن بدر. فأنشد مفاخراً. فأجابه شاعر الإسلام حسان بن ثابت على البديهة. ولما فرغ الخطيبان والشاعران قال الأقرع بن حابس: خطيبه أخطب من خطيبنا. وشاعره أشعر من شاعرنا. وأصواتهم أعلى من أصواتنا. وأقوالهم أعلى من أقوالنا. ثم أسلموا. فأجازهم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. فأحسن جوائزهم. ورد عليهم نساءهم وأبناءهم.

2ـ سرية قُطْبَة بن عامر إلى حي من خَثْعَم بناحية تَبَالَة. بالقرب من تُرَبَة في صفر سنة 9 هـ. خرج قطبة في عشرين رجلاً على عشرة أبعرة يعتقبونها. فشن الغارة. فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً. وقُتل قطبة مع من قُتل. وساق المسلمون النَّعَم والنساء والشاء إلى المدينة.

3ـ سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كِلَاب في ربيع الأول سنة9هـ. بعثت هذه السرية إلى بني كلاب؛ لدعوتهم إلى الإسلام. فأبوا وقاتلوا. فهزمهم المسلمون. وقتلوا منهم رجلاً.

4ـ سرية علقمة بن مُجَزِّز المُدْلِجي إلى سواحل جُدَّة في شهر ربيع الآخر سنة 9هـ في ثلاثمائة.بعثهم إلى رجال من الحبشة. كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القَرْصَنَة ضد أهل مكة. فخاض علقمة البحر حتى انتهي إلى جزيرة. فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا.

5ـ سرية على بن أبي طالب إلى صنم لطيئ يقال له: الفُلْس ـ ليهدمه ـ في شهر ربيع الأول سنة 9 هـ. بعثه رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في خمسين ومائة. على مائة بعير وخمسين فرساً. ومعه راية سوداء ولواء أبيض. فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر. فهدموه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وفي السبي أخت عدي بن حاتم. وهرب عدي إلى الشام. ووجد المسلمون في خزانة الفلس ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وفي الطريق قسموا

الغنائم وعزلوا الصفي لرسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ولم يقسموا آل حاتم.

واخيراً كانت هناك ثلاث غزوات هم:

حُنَيْن. وكانت فى اعقاب الفتح ... ثم غزوة حصار الطائف ... واخيراً غزوة تبـوك في العـام التاسع من الهجرة.

وكانت سرية علي بن ابي طالب الى اليمن في رمضـان مـن العـام العـاشر للهجـرة هـي آخـر سرية خرجت في حياة الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" فيم كان بعث اسامة بن زيد آخـر مـا اعد رسول اللـه "صلى اللـــه عليـه وسـلم" قبـل وفاتـه وحـال مرضـه دون خروجـه ... وهـو البعث الذي اصر ابو بكر خليفة المسلمين على إنفاذه بعد وفـاة الرسـول "صـلى اللـــه عليـه وسلم" بنفس تشكيله.

وبوفاة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم انتهـت الغـزوات والسرايـا التـي امتـدت عـلى مدى عشر سنوات وجابت انحاء جزيرة العرب وبلـغ عـدد مَغَـازِي النّبِـيّ صَـلّى اللــهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ الّتِي غَزَا بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً. وَكَانَ مَـا قَاتَـلَ فِيهَـا تِسْـعًا: بَـدْرُ الْقِتَـالِ. وَأُحُـدُ. وَالْمُرَيْسِـيعُ. وَالْخَنْـدَقُ. وَقُرَيْظَـةُ. وَخَيْـبَرُ. وَالْفَـتْحُ. وَحُنَـيْنٌ. وَالطّـائِفُ. وَكَانَـتْ السّرَايَـا سَـبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيّةً.

وبدأ عهد حروب مانعي الزكاة والمتنبئـين ثـم الفتوحـات. ولكـن مـا كـان مـن المفـترض ان يستمر هو عمل جهاز الإستخبارات. والذي ادى دوره ببراعة حتى في فتح مكة. فعندما تحرك جيش الإسلام تجاه مكة. كان من المتوقع عندما تعرف القبائل الحليفة لقـريش بهـذا التحـرك الإسلامي. ان تستعد لدعم قريش ونصرتها بالسلاح والرجال مـما يصـعب مـن موقـف جـيش الإسلام ودخوله مكـة. لـذلك لم يكـن مطلوبـاً تحـرك هـذه القبائـل وان يخلـوا بـين المسـلمين وقريش. وهنا كان دور فرق ابي جندل العسـكرية. فقـد ذكرنـا انهـا بعـد ان عـادت للمدينـة ظلت بنفس تكوينها مستعدة لأي مهام تطلب منها. وجاء وقتها مع فتح مكة فقـد تحركـت هذه الفرق لترابض بالقرب من مضارب القبائل المتوقع ان تتحرك لنصرة قريش وبدأت تعلـن عن وجودها في تحذير واضـح بـأن مـن سـيتحرك لـنصرة قـريش سـتنقض هـذه الفـرق عـلى مضارب القبيلة تحتلها وتأسر وتنهب. فتراجعت هذه القبائل عن نيتها وأخبرت قريشاً بـذلك. وهذا ما اجبر اباسفيان على السعي للتفاوض مع رسول اللـــه صـلى اللـــه عليـه وسـلم مـما مكن المسلمين من دخول مكة دون مقاومة تذكر. وهكذا ظل دور الجهـاز فعـالاً حتـى وفـاة الرسول صلى اللـه عليه وسلم وكان يجب ان يستمر. بل ويتطور بمـا يناسـب الظـروف التـي استجدت بوفاة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم والدور المطلوب من المسـلمين القيـام بـه بعد النبوة. وهو ما لم يحدث – كما سنرى في الباب الثالث من الكتاب.

الباب الثالث : الدرس الإلهي والدرس النبوي

مقدمة الباب الثالث

تميز الإنسان عن سائر المخلوقات على الأرض بنعمة العقل والتفكير. وككل ميزة او تفرد او ابتكار في اي مجال يمكن ان يكون نعمة او ان يكون نقمة. إذا احسنا استغلاله- كما امرنا اللـه – صار نعمة. وإذا أساءنا استخدامه صار نِقمة والعياذ باللـه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ "7"[1].

وكل النعم التي أنعم اللـه بها على الإنسان هي إختبار له. وفي نفس الوقت هدف الشيطان الأول عقل الإنسان هدف ابليس الأول في توعده لبني البشر وهو سبيله لغواية الإنسان بكافة الموبقات.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ "64"[2].

والعقل اهم حتى من الغريزة. لأن الغريزة تؤدي فقط الى معصية مؤقتة لله يمكن الإستغفار والتوبة عنها. كما ان فطرة الإنسان الخيرة ونعمة الغفران غير المحدود من اللـه تعالى للعصاة. تغلب كل جهود الشيطان لإغواء الإنسان بالعودة للمعصية او إدمانها. ولكن العقل يوصل الإنسان – في اقصى درجات نجاح ابليس – الى طريق مسدود مع اللـه لا يُعَدِّل الإنسان فيه مساره. بل ويتمادى فيه إذا لم ينكر وجود اللـه أصلاً. لذلك فإن عقل الإنسان هو الهدف الأساسي للشيطان.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ "6"[3].

1- الإسراء

2- الإسراء

3- فاطر

ومن أهم أساليب إبليس الخداعية للبشر. أن ينفخ فى نيران غرور الإنسان خاصة بقدراته العقلية. فيبدأ فى التمرد على الأديان السماوية ويشكك فيما جاء بها من غيبيات بحجة ان عقله يرفضها ولا يقتنع بها. كما يرفض ما جاء بها من تعاليم في العبادات والمعاملات والمحرمات لأنها تتعارض مع رغبات الإنسان.

يقول رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": حُفَّتِ الجنَّةُ بالمَكارِهِ. وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ[1] فلجأ الإنسان لوضع نظريات سياسية واخلاقية ومجتمعية بل وعقائدية. تعارض ما جاء فى الأديان بل ومنها ما ينكر الأديان بل وينكر وجود اللـه عز وجل. وتعددت النظريات والسياسات وانتشرت الجماعات العقائدية التي تنوعت بين تلك التي تسعى لتغيير مبادئ الأديان بما يتعارض مع ما امر اللـه به. وذلك بدعوى مسايرة التطور. ومنها من ابتدع اديان جديدة دعت اليها بقوة. ومنها من انكر فكرة الدين من اساسها بدعوى الحرية وعدم حرمان الإنسان من الإستمتاع بالملذات التي وهبتها له الطبيعة. وتنافست هذه الجماعات فيما بينها فى الهيمنة والانتشار واقناع أكبر قطاع ممكن من البشر بهذه النظريات ليتبعوها ويدينوا بالولاء والطاعة والتأييد للجهة المنشئة لهذه النظرية.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ"175" وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "176" سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ "177"[2].

ولكى يصلوا لهذه النتائج فلابد لهم من دعاة متمكنون مؤمنون بهذه النظرية وقادرون على شرحها والاقناع بها ونشرها. فى ظل دعم كبير ومتنوع من الدولة المُصَدِّر للدعوة. ويتوزع هؤلاء الدعاة فى كافة أرجاء العالم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الانتشار. بل ويستخدم هؤلاء الدعاة أعواناً آخرين متنوعي المواهب والثقافات يساعدونهم فى نشر هذه الدعوة وغالباً ما يكون هؤلاء الأعوان من نفس البلد التى يتحرك فيها الداعية ومن مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية. والذين لديهم تطلعات طبقية وسلطوية ويعانون من جنون العظمة. ويجب ان يقتنعوا ان هذه الدعوة هي السبيل الوحيد لتحقيق طموحاتهم. لذلك يجب ان تسود وتحكم. وغالباً ما تكون مخابرات الدولة المنشأ للدعوة

1- الراوي: أنس بن مالك المحدث:مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2822 خلاصة حكم المحدث: صحيح

2- الأعراف

هى المكلفة بإرسال هؤلاء الدعاة بعد تهيئتهم التهيئة المناسبة. من دراسة تاريخ وظروف ولغة هذه الدولة وشعبها. والتكوين الثقافي والمستوى التعليمي.

ولعل أقرب مثال لهذا الصراع المسمى بالصراع الايديولوجى. هو ما شهده العالم من حرب باردة بين أنصار النظرية الشيوعية وأنصار الفكر الرأسمالى. رغم الإختلاف العميق في اسس ومبادئ وشمولية النظريتين. ولكن العامل الإقتصادي هو الهدف الأساسي من صراعهما. ذلك الصراع الذي استمر حتى انهارت الكتلة الشيوعية فى أوائل تسعينيات القرن العشرين فانفردت الرأسمالية بالعالم ومع ذلك لم تحقق الانتشار المطلوب ولم تقض تماماً على انصار النظرية الشيوعية التى تحاول العودة للساحة ولكن على استحياء ... فلا يزال الصراع مستمراً. ولعل العيوب والقصور والأخطاء العديدة هى السبب فى النجاح المحدود لهذه الحملات الدعائية وأحياناً الفشل الذريع وربما كوارث أو جرائم. هنا يقدم اللـه لمن يقوم بهذه المهام. درساً نموذجياً الهياً فى كيفية نشر دعوة ما ومواصفات هذه الدعوة. والترويج لها بحيث تسود وتدوم لأطول فترة ممكنة. وهو ما حدث للدين الاسلامى الذى نزل على سيدنا محمد "صلى اللـه عليه وسلم" ودام وساد لفترات طويلة وسيسود بأمر اللـه الى النهاية.

فكيف هيأ اللـه عز وجل لدعوة الإسلام وللداعية الهادى البشير؟

الفصل الأول : الدرس الإلهى

- ماذا فعل الـلـه كأول خطوة للتمهيد لنشر الدعوة الإسلامية؟

قبل أن نشرح الدرس الالهى بالتفصيل. يجب أن نشرح التجربة الإنسانية فى هذا المجال كاملة لكى نحسن استيعاب الدرس وفهمه. فمن يعمل فى مجال من المجالات. ويطمح لإتقان هذا العمل ورفع كفاءته فى أداءه وربما تطويره. يجب عليه أن يدرس متى نشأ هذا العلم؟ وماهي مراحل تطوره والمشاكل التى واجهته وتم حلها وكيف تم حلها. وتلك التى لم يُستَطع حلها وأخيراً مناطق الغموض التى لم تكتشف بعد. وذلك حتى يستطيع أن يفهم النموذج المثالى فى العمل فى هذا المجال ويُقَيِّمَه ويحدد كيف يستفيد منه وإلى أى درجة. خاصة وأن من يقدم هذا النموذج الكامل "ليس كمثله شئ" وبذلك لن يستطيع أحد أن يحاكى هذا النموذج تماماً. وقد يسأل البعض لماذا اذن أدرس هذا النموذج المثالى إذا لم أكن استطيع محاكاته؟ كل ما يمكن ان نستفيده من هذا الدرس أننا يمكن أن نطبقه جزئياً وفى نطاق محدود لا يتعارض مع الدعوة التى درسنا نموذجها لأنها الدعوة السائدة. أو لكى ننضم إلى فريق الدعاه لهذه الدعوة لننال ثواب نشرها ومزيد من الترويج لها من القوة القادرة الدائمة الداعمة لها. ونعوض ما قصر فيه السلف من ترك منهج الأمن الذي حرص عليه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ثم عدم إدراك الدور المنوط بهم لنشر الإسلام بعد وفاته "صلى اللـه عليه وسلم".

كما أننا ندرسه لكى نثبت لمن يشكك أو لا يعرف أصلاً. أن الدعوة التى وجهها هذا النموذج الكامل ليس لها نظير. وأن ظروفها لن تتكرر. إذن لن يستطيع أى شخص أو جهة داعية تطبيق هذا النموذج تماماً. لأن الكمال لله وحده. وبالتالى فإن طبيعة هذه الدعوة وطريقة نشرها والتمهيد لها لا يمكن تكرارها لأسباب عديدة سنشرحها أثناء عرضنا لهذا النموذج ...

وكل ما نستطيع أن نفعله أن نحاكيها فى بعض مراحلها وخطواتها. وحتى فى هذه الخطوات فإن المحاكاة لن تكون كاملة لأن لله المثل الأعلى دائماً. كما يجب ان نراعي موضع هذه الدعوة من الدعوة الإلهية السائدة الى ان يأتي امر اللـه.

ولنتذكر مثلا أن الاتحاد السوفيتى – بعد الحرب العالمية الثانية- قد اقتسم اوروبا مع الحلفاء الغربيين وفرض على دول شرق اوروبا حكمه الشيوعي. وفى زمن الحرب الباردة. كان يسعى بالطبع لنشر النظرية الشيوعية بين اكبر عدد من دول العالم بل وأهمها استراتيجياً ليكون له أكبر عدد من الحلفاء الذين يدينون له بالولاء والطاعة. وذلك فى مواجهة المد الرأسمالى.

ودعونا نتغاضى عن الخلاف الايديولوجى الذي نشأ بينه وبين جارته الصين الشعبية فى تفسير النظرية الشيوعية وتطبيقاتها. رغم أن هذا هو أكبر خطأ يمكن أن يحدث. أن يتعارض

داعيان لنظرية واحدة و يكون بينهما صراعاً شديداً. كان من نتيجته أن سقط كلاهما فى زمـن واحد تقريباً وإن كانت روسيا تحاول جاهدة إعادة إحياء الشيوعية ولكن وحدها.

ولنعود إلى ما كان يفعله جهاز المخـابرات السـوفيتى K.G.B بـل والدولـة لتحقيـق هـذا الهدف وهو نشر الفكر الشيوعى كبديل عن الأفكار الأخرى المنـتشرة فى العـالم آنـذاك والتـى بعضها تعتبر مقدمات تمهيدية لهذا الفكر. مثل الفكر الإشتراكي. فما يحدث حالياً لزرع داعيـة في منطقة ما لنشر فكر معين. هو ان الدولة الداعية تختار من رجـال مخابراتهـا مـن يناسـب العمل في هذه الدولة المستهدفة. ولا تفكر إطلاقاً ان يكون هذا الداعية من ابناء هـذا البلـد. لابد ان يكون من رجالها. واعوانه من هذا البلد. والآن لنرى:

ماذا فعل اللـه كأول خطوة للتمهيد لنشر الدعوة الإسلامية؟

- الخطوة الأولى:

لقد قرر المولى أن تكون هذه الدعوة فى كوكب الأرض وهذا الكوكب لا يمكن أن يكون فى معزل منفرداً دون منظومة متكاملة تحيط به ويكون هو مركزها– كما افضنا في الفصل الأول من الباب الأول من الكتاب- لذلك فصل الأرض عن السماوات فـيما يعـرف بإنفجـار القبضـة الذى نتج عن شظاياه كون متكامل من النجوم والكواكب والمجرات والشهب والنيـازك يـدور فى نظام ثابت وله مراحل فى بدايته وفى نهايته. فصـارت الأرض هــى مركـز هـذا الكـون.وأعـد اللـه الأرض فى خير صورة لتكون مستقراً للبشر المستقبلين لهذه الدعوة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَـلَ فِيهَـا زَوْجَـيْنِ اثْنَـيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "3" وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّـاتٌ مِـنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُـلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ "4"[1].

وقررأن تكون مكة المكرمة هى مهد هذه الدعوة. فجعـل مكـة هــى مركـز الأرض وبالتـالى الكون كله. واعدها الإعداد المناسب لاستقبال بدايات هذه الدعوة. كما سـنرى مـما سنفصـله في موضعه.

1- الرعد

لذلك فعلى الدولة الداعية أن تختار النطاق العام المناسب لدعوتها. ثم تختار مهـداً لهـذه الدعوة داخل النطاق بحيث يكون مركزاً لكل مَـن حولـه مـن الـدول لتكـون مسـافة الحركـة واحدة من المهد إلى أطراف هذا العالم.

- الخطوة الثانية:

هي ما فعله الـلـه حين بدأ بخلق الملائكة وقد افضنا في الحديث عـن الملائكـة وصـفاتهم ومهامهم في الفصل الأول من الباب الأول من الكتاب.

إذن الدولة الداعيـة تحتـاج لفريـق عمـل مطيـع ومـؤمن بقـوة بهـذه الـدعوة وبالدولـة الداعية. ومدَرب وله قدراته العالية المناسبة لطبيعة مهامه. لينفذ أوامرها فيما يوكل إليه من مهام تخص الدعوة دون ان يناقش او يفكر.فهو متشبع بالإيمان بالدعوة. لذلك لا يفكـر فيهـا او في غيرها. ويكون لكل منهم مهمته المحددة والباقين يكونوا نموذجـاً للطاعـة لهـذه الدولـة الداعية. عن إقتناع تام.

ولكن هل يصلوا لمستوى إعداد الملائكة وقدراتهم ومدى ايمانهم وطـاعتهم لله؟ لا بـالطبع ولكن الى اقصى درجة ممكنة.

- الخطوة الثالثة:

هي توقع وجود معادين ومعارضين لهـذه الـدعوة معـروفين او مجهـولين. يحاربونهـا علنـاً أحياناً وسراً غالباً. بـالطرق المشروعـة وغـير المشروعـة والتـي لا حـدود لهـا. ولا قيـود عليهـا. ويحاولون إفشال خطط نشرها وصرف الناس عنها بكل الطرق ... والحل الأمثل لمواجهة ذلـك هو التحذير الدائم لمن اقتنع بهذه الفكرة من التراجع والارتداد. مع فضح أسـاليب المعـادين. ووجود الثواب المناسب للمتمسكين بالفكرة والعقاب العاجل أحياناً والآجل أحياناً أخرى لمـن يتحول لرفض الفكرة نو يتشكك فيها ... مـع السـماح لـه بـالعودة إذا تراجـع وعـاد للإقتنـاع. وهذا ما فعله الـلـه مع البشر فى مواجهة إبليس وأعوانه حتى من البشر .ولكـن الفـارق بـين النموذج والتطبيق يظهر هنا.

فالدولة الداعيـة لـيس المطلـوب منهـا أن تخلـق المعـادين بنفسـها. وانمـا تـدعم اعوانهـا وتحصنهم ضدهم ما استطاعت. لكن الـلـه هو الذى خلق إبليس وشيعته من الجـن والانـس

بإرادته جل فى علاه لإختبار الإنسان وقوة إيمانه واستيعابه لما جاء فى الرسالة من تحذيرات ... معتمداً على قوة الرسالة واعجازها.

- الخطوة الرابعة:

هى أن الله أخذ ذرات ذرية آدم وهم بعد فى مرحلة المشروع. وأخذ عليهم العهد والشهادة بأنه ربهم ...

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ﴾"173"[1].

حتى يستطيع بعد ذلك أن يحاسبهم ويواجههم إذا انحرفوا عن جادة الصواب او انكروا إرسال نذير لهم وهذا ما لا تستطيع الدولة الداعية أن تفعله إلا فى حدود. مع فريق الايمان الأول بدعوتها من مختلف الجنسيات والذين سيكونون دعماً لنشر الدعوة. وهم الذين توجه لهم الدعوات لزيارة هذه الدولة أو تمنحهم فرصاً دراسية متقدمة فيها أو تخضعهم لدورات تثقيفية مكثفة فى اسس هذه الدعوة. فيعاهدونها على دعمها ...

ولكن هذا العهد لن يكون مع البذور المنشئة لهؤلاء الدعاة إلا إذا وصلت لهم بالرسالة فى ارحام امهاتهم وإن فقهوا.

أما اعجاز الله فكون هذا العهد مع ذرات البشر الأولى التى ستولد فى كل زمان ومكان وحتى نهاية العالم. فتصبح جزءاً من فطرتهم ... لذلك نقول أن الإيمان بالله هو فطرة الإنسان التى لو استجاب لها ولم يكابر. نجا.

- الخطوة الخامسة:

وارى انها اهم خطوة. والعامل الأساسي في نجاح عمل الداعية او فشله... الا وهي طبيعة الرسالة الخاتمة التي سينشرها الداعية وخواصها. فما هي مقومات الدعوة الناجحة؟

1- الأعراف

يقدم لنا المولى – عز وجل – النموذج المثالي المتكامل في خطوات:

1- الأولى: وضع الدعوة النهائية منذ البداية. دعوة ازلية. تحفظها الجهة الداعية لحين موعد نزولها للمستقبلين بواسطة الداعية النهائي. وتتسم بما يلي:

1- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾"9"[1].

2- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾"82"[2].

3- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾"17"[3].

4- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾"54"[4].

5- ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾"88"[5].

6- ﴿قُرْآَنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾"28"[6].

7- ﴿وَقُرْآَنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾"106"[7].

8- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾"2"[8].

9- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾"105"[9].

10- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾"41"[10].

11- ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾"1"[11].

12- ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾"1"[12].

1- الإسراء

2- الإسراء

3- القمر

4- الكهف

5- الإسراء

6- الزمر

7- الإسراء

8- البقرة

9- النساء

10- الزمر

11- هود

12- إبراهيم

13- ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾"1"75".
14- ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾"2"38".

هذه بعض صفات القرآن الكريم. ولعل اهمها ما ورد في الآية الأخيرة. فقد جاء القرآن تشريعاً شاملاً لكل جوانب الحياة بلا استثناء. ومعالجاً لكل عيوب ومفاسد الحياة القبلية السياسية والإقتصادية "مثل الربا" والإيمانية "مثل عبادة الأصنام من دون اللـه" والإجتماعية "إمتهان المرأة وقوانين المواريث" والإنسانية"وأد البنات وتجارة العبيد" والأمنية "الإغارات بين القبائل. وقطع طرق القوافل لنهبها" والأخلاقية.

يقول رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم": إنما بُعِثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ[3].

فهل تستطيع دعوة بشرية ان تتسم حتى بالصفات التي اوردناها من صفات الدعوة الإلهية؟

نستطيع فقط ان نستخلص من النموذج الصفات التي يجب ان تتسم الدعوة البشرية بأكبر قدر مستطاع منها ... يجب ان تكون دعوة قوية ... صادقة ... على حق ... بليغة ... معجزة في صياغتها ... مقنعة ... منطقية ... ذات مصداقية واقعية ... بها علاجاً لكل عيوب ومفاسد النظام الإجتماعي والإقتصادي والعقائدي والإنساني والأمني والأخلاقي السائد في مسرح العمليات بصفة عامة ومهد الدعوة بصفة خاصة. ويفضل ان تكون الدعوة مرتبطة بفكر تراثي سابق في المنطقة. كما يجب ان يكون لمهد الدعوة طبيعة عقائدية مناسبة للدعوة ... ولأنها بشرية فيجب ألا تتعارض او تتداخل مع الدين المنتشر في منطقة الدعاية. ويجب الا تكون عقائدية او دينية. لأنه لا اديان بعد الإسلام. ولا دين إلا الإسلام.

مصداقاً لقوله تعالى:"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللـهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللـهِ فَإِنَّ اللـهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾"4"19".

2- الثانية: بدأت رسائل اللـه التمهيدية.بدعوة الناس الى ترك عبادة الأصنام والعودة الى عبادة اللـه الواحد الذي لا إله غيره.

1- النمل

2- الأنعام

3- الراوي: أبو هريرة المحدث: ابن باز - المصدر: مجموع فتاوى ابن باز - الصفحة أو الرقم: 2/215 خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد

4- آل عمران

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللـهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ "16" إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللـهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللـهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللـهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ "17"[1].

ثم دعوات مكتوبة بها تفاصيل اكثر مثل صحف إبراهيم وموسى والتوراة والزابور والإنجيل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ "65"[2].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ "105"[3].

وكلها تنزل دفعة واحدة وتبشر بالدعوة النهائية وهي الإسلام.وانها الدعوة المقبولة عند اللـه

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ "85"[4].

إذن على الجهة الداعية وضع دعوة مبدئية تمهيدية تتفق مع جوهر الدعوة النهائية. هذه الدعوة تضع الجمهور المستهدف على اول طريق الإيمان بالدعوة النهائية على ان تكون هذه الدعوة متنوعة ما بين الإبلاغ الشفوي بمبدأ معين.ثم دعوات في صيغة مكتوبة بها المزيد من التفاصيل عن الدعوة الشفهية.على ان تبشر كل الدعوات المكتوبة بالدعوة النهائية الشاملة والمعترف بها.

3- الثالثة: انزل اللـه القرآن على مراحل عديدة وفي مواقف محددة ومناسبات. وبترتيب مبدئي يناسب مراحل تطور الدعوة.

﴿وَقُرْآَنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ "106"[5].

بل ونسخ اللـه بعض الآيات بعد نزولها واستبدلها بغيرها إختباراً لقوة إيمان المسلمين ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ "106"[6].

1- العنكبوت
2- آل عمران
3- الأنبياء
4- آل عمران
5- الإسراء
6- البقرة

وكان سيدنا جبريل يحدد الترتيب النهائي للآيات في رمضان من كـل عـام عـلى مـدى ثلاثـة وعشرين عاماً.كما قسم اللـه القرآن الى سور تضم كل سورة عدة آيات ... بل وميز اللـه بين موضوعات السور المكية وموضـوعات السـور المدنيـة. بمـا يتناسـب وطبيعـة مرحلـة الـدعوة وإحتياجات المسلمين في وقتها. فالسور المكيـة كانـت تـدعم قـوة الإيمـان وتحـكي عـن الأمـم والأديان والأنبياء السابقين.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾"16"[1].

وقصة الخلق.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْـلَ عَـلَى النَّهَـارِ وَيُكَـوِّرُ النَّهَـارَ عَـلَى اللَّيْـلِ وَسَـخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾"5"[2].

بينما تركزت موضوعات السور المدنية على العبادات والشرائع والمعـاملات والتعليـق عـلى الأحداث الجارية والعظة منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"183"[3].

وكشف الحقائق الخافية عن المسلمين بل وعن الرسول"صلى اللـه عليه وسلم"

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللـهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيـدُونَ أَنْ تَهْـدُوا مَـنْ أَضَـلَّ اللـهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللـهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾"88"[4].

حتى يكون ديناً متكاملاً. فكان إنزال الآية المناسبة والسورة الملائمة في التوقيـت المطلـوب. يحدث التأثير المطلوب.

هذا إذن ما يجب ان تفعله الجهة الداعية حين تبدأ في عرض دعوتهـا النهائيـة ... التـدرج في عـرض أجـزاء الـدعوة حسـب المواقـف وتطورهـا وتطـور الإقتنـاع بالـدعوة. ولكـن مـن

1- مريم

2- الزمر

3- البقرة

4- النساء

يستطيع مجاراة صنع اللـه؟ كل مانستطيعه هو المحاكاة بقدر استطاعتنا. ويكون النجاح بحسب صدق ومثالية وفائدة هذه الدعوة.وعدم تعارضها مع ما جاء به الإسلام.

- الخطوة السادسة:

لم يترك اللـه البشربعد هبوطهم للأرض. دون دعاة هاديين. وهو ما وعد به آدم.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"[1]"38.

فقد أطال اللـه عمر سيدنا آدم أول الأنبياء لألف عام ليمتد تأثيره إلى أطول فترة ممكنة، وفى حياة آدم أنزل اللـه خمسون كتاباً على شيث. فيها هداية وتوجيهات وتذكرة للبشر ولكنها لم تبشر بالداعية النهائى، بل فقط تُثَبِّت دعائم الإيمان بوحدانية اللـه ... و شيث هو ابن سيدنا آدم الذي حمل رسالته من بعده. قبل إدريس ولكن القرآن الكريم لم يُعده بين الأنبياء. ولعله من الأنبياء الذين لم يذكرهم القرآن.

ثم أرسل سيدنا إدريس فى حياة آدم. بعد أن رحل أبناء آدم إلى ضفاف نهر الفرات فى بابل ثم اتبعه بخمسة من ابناء آدم الصالحين ولم يكونوا انبياء، ثم توالى إرسال الانبياء والرسل لكافة الأمم. والرسل فقط هم من بشروا بالداعية الخاتم.ولم تخل امة من نبى أو رسول على مدى الزمان وحتى آخر الرسل قبل النبى الخاتم وإلا كيف يعذب اللـه أمة لم يرسل إليها نذير.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾"[2]"13.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾"[3]"15.

إذن نَوّع اللـه فى دعاته بين الصالحين والأنبياء والرسل وتجمعهم صفات واحدة اهمها.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾"[4]"51.

1- البقرة

2- الأنعام

3- الإسراء

4- مريم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ "1"54.
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ "2"56.

وأخلى اللـه العالم من الانبياء والرسل لفترة زمنية طويلة قبل إرسال الداعية الخاتم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ "3"19.

ولكن هناك ارهاصات مرتبطة بظهور الداعية الخاتم، منها الصالحين الذين سمعوا بملة إبراهيم ولكنها لم تصل لهم، وعرفوا بالداعية الخاتم. و أهل الكتاب من مسيحيين ويهود وكانوا ينتظرون الداعية بنوايا مختلفة، الصالحين المعروفين بإسم المتحنفين نسبة إلى حنفية ملة إبراهيم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ "4"67.

كانوا فى شوق للداعية ليدلهم على طريق اللـه الذى يبحثون عنه، والمؤمنون من أهل الكتاب كانوا ينتظرونه لينفذوا أمر اللـه ويتبعونه ... وأغلب اليهود كانوا ينتظرونه ليعادوه ويحاربوه حسداً منهم له ولأتباعه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللـهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ "5"109.

إذن هذه الفترة الخالية شوقت المؤمنين العارفين بأمره لظهوره، وكشفت أعداءه مبكراً كما أن الضلال والفسق والشرك باللـه زاد فى العالم فأصبح إرساله مطلوباً لتعديل المسار ليس فى منطقة إرساله فقط بل و العالم أجمع ... لتكون رسالته هى الخاتمة والملزمة لكل البشر، فتسود إلى نهاية الحياة. كان هؤلاء المنتظرون ارهاصة منطقية وواقعية، ولكن كان لابد من ارهاصة اعجازية أخرى تمثلت في قصة أهل الكهف.فقد ظل أهل الكهف نائمين لفترة طويلة هرباً بدينهم من ظلم الطاغية.

1- مريم
2- مريم
3- المائدة
4- آل عمران
5- البقرة

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ "1"25.

ثلاث مئة سنين بالتقويم الشمسى وثلاث مئة وتسع سنين بالتقويم القمرى ... فإذا أجمعت كتب التفسير على أن قصتهم كانت فى زمن الإمبراطور الرومانى دقلديانوس، والذى يحكى التاريخ أنه ارتكب مذبحة للنصارى المصريين عام 303م ... والمرجح أن أهل الكهف هربوا من مذبحة دقلديانوس.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا"15وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ "2"16.

فإذا كانت هذه المذبحة عام 3.3م وهى بداية اختفاء أهل الكهف، وإذا أضفنا لها ثلاثمائة سنة لعرفنا أن استيقاظ أهل الكهف كان عام 603 م. فإذا كان ميلاد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عام 571م. إذن حدثت المعجزة وعُمر النبى اثنين وثلاثين عاماً. ولا شك أن أهل مكة قد سمعوا بها فى رحلاتهم التجارية للشام وتأثر بعضهم بها. مع ما سمعوه من المسيحيين واليهود عن نبى آخر الزمان.وكان لهذا أثره حين أُرْسِل الداعية الخاتم.

كانت مصر في ذلك الوقت تحت الحكم الروماني. و الرومان نصارى ولكن على مذهب مخالف لمذهب نصارى مصر. فاضطهدوا اصحاب هذا المذهب وارادوا إجبارهم على إتباع مذهبهم كشكل من اشكال الجبروت وفرض مذهب المحتل. وظل هذا الحال قائماً ونصارى مصر ينتظرون. لذلك رأوا في معجزة اهل الكهف ارهاصة إعجازية لبعث سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" لأنها أنصفت المؤمنين وذكَّرتهم بقرب ظهور الداعية الخاتم المكلف بنصرة المؤمنين فى كل مكان.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ "3"21.

وهو ما فعله الإسلام بالفعل حين فتح الله مصر للمسلمين على يد عمرو بن العاص عام 64م. أى بعد معجزة أهل الكهف بحوالى سبعة وثلاثين عاماً أى. وقد منح الإسلام لنصارى مصر حرية

1- الكهف

2- الكهف

3- الكهف

العقيدة كأهل كتاب. ولم يفرض عليهم الإسلام- رغم انه الدين الحق- لأنه لا إكراه في الـدين. فدخل فيه من اقتنع وظل على دينه مـن اراد. ولم يكتـف الـلــه بهـذه الإرهاصـات الواقعيـة والإعجازية قبل إرسال الداعية الخاتم، بل وكان فى تعرف الراهب بُحَيرا عليه وهـو صـبى، ثـم محاولات اليهود قتل الصبى فى أسواق دمشق ... تمهيداً أخيراً وأقوى لظهور الداعية الخاتم.

إذن على الجهـة الداعيـة أن ترسـل دعـاة أوليـين فى مختلـف المنـاطق المسـتهدفة ليـنشروا المبادىء الأولية للدعوة ويثبتوها ثم يبشروا بالداعية الخاتم والذى يأتى بالدعوة الكاملة. على ان يكون هؤلاء الدعاة من نفس المنطقة ويكونوا من ذوى المنعة فى قـومهم ولـديهم منطـق قوى وقبول عام ... ولابد من قـدرة الجهـة الداعيـة عـلى نصرة هـؤلاء الـدعاة بقـوة وعقـاب المعارضين بالصورة التى لا تخلق مشاكل أكبر للجهة الداعية فى المنطقة بل والمناطق المجاورة، وربما تكتفى بأن يكمن الداعية ومن معه بمذهبهم حتى يأتى الـداعى التـالى بأسـلوب مغـاير أكثر اقناعاً، وتستمر المحاولات لتحقيق أكبر زيادة ممكنـة مـن المريـدين فى كـل منطقـة، ثـم تهدأ حركة الدعاة لفترة من الـزمن قبـل إرسـال الداعيـة النهـائى فى المنطقـة المحـددة كمهـد للدعوة، وذلك لإختبار قوة اقتناع المريـدين وكـذلك للترقـب والتشـوق لظهـور هـذا الداعيـة الاساسى بالدعوة الكاملـة.عـلى ان يكـون هـذا الداعيـة متناسـب مـع الدعايـة لـه ولا يصـدم المتشوقين لظهوره. والمطابقة بين النموذج والمحاكاة، يجب أن يراعـي فـارق المسـافة الزمنيـة المحددة للدعاة الأوليين وموعد ظهور الداعية النهائى. ولكن المحاكـاة لـن تسـتطيع أن تقـدم للداعية النهائى إرهاصات إعجازية مدعمة ... ربما شىء من الإرهاصات المنطقية والواقعية.

- الخطوة السابعة:

وهى خطوة هامة. وتتركز فى تأهيل الداعية النهائى للمهمة الأساسية والفاصـلة فى ترسـيخ الدعوة ونجاحها.

اختار الـلـه محمد بن عبد الـلـه منذ خلق آدم، وهيـأه بصـفات هامـة عائليـة وشخصـية وسلوكية، فقد كان مثل غيره من الأنبياء من عائلة تُحقق له المنعة والحماية حين يبدأ إعـلان الدعوة. بل وطهر بذرته السـلالية. وجعلـه محبوبـاً مـن قومـه ولـه حضـور وجاذبيـة خاصـة "كاريزما" وحصَّنَه من الصفات السيئة او الوقائع والأحـداث التـي تشـوه سـيرته. كـما حصَّـنه الـلـه من مزالق شباب عصره من خمر ونساء وعبادة الأصنام، بل وزرع فيه حب التأمل مـن خلال امتهانه لمهنة اغلب الأنبياء وهي رعي الأغنام. وكذلك حـب التعبـد أو التحنـث.ويقـول سيد قطب في ظلاله في معرض تفسيره لسورة المزمل وسبب نزولها وتوقيته:

كان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" يتحنث في غار حراء - قبل البعثة بثلاث سـنوات. أي يتطهر ويتعبد. وكان تحنثه "عليه الصلاة والسلام" شهرا من كل سنة. هـو شـهر رمضـان - يذهب فيه إلى غار حراء على مبعدة نحو ميلين من مكة، ومعه أهله قريبا منه.

فيقيم فيه هذا الشهر، يطعم من جاءه من المساكين، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة ... وهو غير مطمـئن لما عليـه قومـه من عقائد الشرك المهلهلة، وتصوراتها الواهية، ولكن ليس بين يديـه طريـق واضـح، ولا مـنهج محدد، ولا طريق قاصد يطمئن إليه ويرضاه. وكان اختيـاره "صـلى اللــه عليـه وسـلم" لهـذه العزلة طرفا من تدبير اللـه له ليعده لما ينتظره من الأمـر العظـيم. ففـي هـذه العزلـة كـان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ؛ ويفرغ لموحيات الكون، ودلائل الإبداع ؛ وتسبح روحه مع روح الوجود ؛ وتتعانق مع هذا الجـمال وهـذا الكـمال ؛ وتتعامـل مع الحقيقة الكبرى. وتمرن على التعامـل معهـا في إدراك وفهـم. ولا بـد لأي روح يـراد لهـا أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى ... لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة. لا بد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مـع الكـون الكبـير وحقائقـه الطليقـة. فالاسـتغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتستنيم له، فلا تحاول تغييره.

أما الانخلاع منه فترة، والانعزال عنه، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصـغير، ومـن الشواغل التافهة فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر، ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف النـاس، والاسـتمداد مـن مصـدر آخـر غـير هـذا العـرف الشـائع ! وهكذا دبر اللـه لمحمد "صلى اللـه عليه وسلم" وهو يعـده لحمـل الأمانـة الكـبرى، وتغيـير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ. دبر له هذه العزلة قبل تكليفـه بالرسـالة بـثلاث سـنوات. ينطلق في هذه العزلة شهرا من الزمان، مع روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود مـن غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يـأذن اللــه". ونضـيف لـذلك انه تأثر في فكرة التحنث والتعبد الى اللـه بما رآه من سلوكيات زيد بن عمـرو بـن نوفيل القرشي الذي جاهر برفض عبادة الأصنام وانتظاره لنبي آخر الزمان المنتظـر وكان يدعو اللـه ان يرسل هذا النبي لإنقـاذ الـبشر مـن الضـلال،وهذا مـا سـمعه ايضاً من ورقة بن نوفـل نصراني مكـة واخـيراً مجـاهرة قـس بـن سـاعدة بالتنديـد بعبادة الأصنام في خطبته الشـهيرة في سـوق عكـاظ بمكـة المكرمـة والتـي سـمعها النبي قبل بعثه ... تحنثه اذن كان للتبتل لله لكي يرسل النبي المنتظر للهداية ولـكي

يتبعه دون أن يطمح أو يتصور أن يكون هو، أو يدرك أنه يُهَيأ لمهمة خطيرة. كما حدث مثلاً لأمية بن ابي الصلت حين سمع عن نبي آخر الزمان وقرر ان يكون هو هذا النبي وبدأ يمثل صفاته ويدعي الوحي. ولكن بُحَيرا الراهب كشف له خطأ ظنه. لأنه لم يكن معصوماً منذ بداية حياته وهذا شرط الأنبياء. لذلك عصم الله سيدنا محمداً من الزلل منذ بداية حياته حتى تتماشى دعوته مع سيرة حياته. فيحقق ذلك قدراً اكبر من الإقتناع بدوره وبرسالته.

وكانت أميته حصناً له من أى اتهام بأن ما جاء به هو مما أطلع عليه فى كتب الأولين، أو أنه يخط ما جاء به من آيات بيده.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ "1"5".

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ "2"158".

اذن من اهم عوامل التهيئة ان يكون الداعية في بداية حياته شخصاً عادياً يعرفه كل الناس ويحبونه ويحمدون جليل صفاته وذلك لدواعي التمويه والتورية والحماية حتى لا يستعدوا لعدائه قبل إعلان الدعوة. ولكي يتناسب ذلك مع اسلوب بداية توجيه الدعوة كما في الخطوة التاسعة.

مرحلة مهمة اخرى في تهيئة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" لمواجهة المهمة الثقيلة بتحمل مسئولية توجيه الدعوة الخاتمة. هذه المرحلة هي توفير المُناخ الأسري المناسب لتحمل تبعات هذه المهمة منذ بدايتها. وتمثلت هذه التهيئة في الزوجة الصالحة الواثقة في زوجها وصفاته المتميزة.والتي تحسن التصرف وتعرف كيف تحتوي زوجها الحبيب في مواقف الشدة. وتحسن توجيهه وبث الطمأنينة والثقة في نفسه.

كانَ أوَّلُ ما بُدِئَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الرؤيا الصادقةُ في النومِ. فكانَ لا يرَى رؤيَا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبحِ. ثم حُبِبَ إليهِ الخَلاءُ. فكانَ يلْحَقُ بغارِ حِرَاءٍ. فيَتَحَنَّثُ فيهِ - قالَ: والتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ - الليالِيَ ذواتِ العددِ قبْلَ أن يَرجِعَ إلى أهلِهِ. ويَتَزَوَّدُ لذَلِكَ. ثمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ. فيَتَزَوَّدُ بمثْلِهَا. حتى فَجِئَهُ الحقُّ وهوَ في غَارِ حِرَاءٍ. فجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقرأْ. فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "ما أنَا بِقَارِئٍ". قالَ: "فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بلغَ مني الجَهدَ. ثم أرسلنِي فقالَ: اقرأْ. قلتُ: ما أنَا بقارِئٍ. فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانيةَ حتى بلَغَ مني الجَهدَ. ثم أرسلَني فقالَ: اقرأْ. قلتُ:

1- الفرقان

2- الأعراف

ما أنَا بقَارِئٍ. فأخذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتى بلَغَ مني الجَهْدَ. ثمَّ أرسلَنِي فقالَ: اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. الآياتِ إلى قَوْلِـهِ: عَلَّـمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ". فرجَعَ بهَا رسولُ اللـهِ صلَى اللـهُ عليهِ وسلمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ. حتى دَخَلَ على خَدِيجَةَ. فقالَ: "زَمِّلُـونِي زَمِّلُـونِي". فَزَمَّلـوهُ حتَّـى ذهَـبَ عنـهُ الـروعُ. قـالَ لخَدِيجَـةَ: "أيْ خَدِيجَةُ. مَا لِي. لقدْ خَشِيتُ على نفسِي". فأخبرَهَا الخَبَرَ. قالتْ خَدِيجَةُ: كـلَّا. أَبْشِرْ. فواللـــهِ لا يُخْزِيكَ اللـهُ أبدًا. فواللـهِ إنَّـكَ لَتَصِـلُ الـرحِمَ. وتصـدُقُ الحـديثَ. وتَحْمِـلُ الكَـلَّ. وتَكْسِـبُ المَعْدُومَ. وتَقْرِي الضَّيْفَ. وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحقِّ. فانْطَلَقَتْ بهِ خديجةُ حتَّـى أَتَـتْ بـهِ وَرَقَـةَ بنَ نَوْفَلٍ. وهوَ ابنُ عمٍّ خديجَةَ أَخِي أبِيهَا. وكانَ امرأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ. وكانَ يكْتُـبُ الكتـابَ العربِيَّ. ويكتُبُ من الإنجيلِ بالعربيةِ ما شـاءَ اللـــهُ أن يكتُـبَ. وكـانَ شـيخًا كبـيرًا قـد عَمِـيَ. فقالتْ خديجةُ: يا ابنَ عَمٍّ. اسمَعْ من ابْنِ أخِيكَ. قالَ ورَقَةُ: يا ابنَ أخِـي. مـاذا تَـرَى؟ فـأَخْبَرَهُ النبيُّ صلَّى اللـهُ عليهِ وسلَّمَ خَبَرَ ما رأَى. فقالَ ورَقَةُ: هذا النَّـامُوسُ الـذي أُنـزَل عـلى مـوسَى. لَيْتَنِي فيهَا جذَعًا. ليتَنِي أكُونُ حيًّا. ذَكَرَ حَرفًا. قالَ رسولُ اللـهِ: "أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ". قالَ وَرَقَـةُ: نَعمْ. لم يأتِ رجلٌ بِمَا جِئْتَ بـهِ إلا أُوذِيَ. وإنْ يُـدْرِكْنِي يَومُـكَ حيًـا أنْصُرْكَ نصرًا مُـؤَزَّرًا. ثـمَّ لم يَنْشَبْ ورقةُ أنْ تُوُفِّيَ. وَفَتَرَ الوحْيُ فَتْرَةً. حتى حَزِنَ رسولُ اللـهِ صلَّى اللـهُ عليهِ وسلَّمَ[1].

نعم الزوجة المناسبة لرجل يحمل مسئولية تبليغ الدعوة. فقـد كـان لهـا دورهـا الهـام في طمأنة زوجها ثم آمنت به وظلت تدعمه لعشر سنوات حتى توفاها اللـه متأثرة بمعاناتها في حصار الشِعب. واطلق رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم"على هذا العام عام الحزن.

ومع كل هذا ومع بداية المهمة يجب أن يكون هناك دعم غير محدود من الجهة الداعيـة ومنها أسلوب اتصال آمن ومتمكن ومتواصل لتبليـغ الأوامـر والتوجيهـات وتوصـيل جزئيـات الدعوة فى موعدها ومناسبتها. وتمثل هذا في الروح الأمين سيدنا جبريـل عليـه السـلام. والـذي تولى هذه المهمة مع كافة الأنبياء والرسل ... ولهذا خُلِقَ.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ"192" نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ"193" عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾"194"[2].

وأخيراً كرمه اللـه بالإشادة به فى القرآن فى أكثر من موضع، بل وبأصحابه أيضاً، فقـد قـال عز من قائل:

1- الراوي: عائشة أم المؤمنين المحدث: البخاري- المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4953 خلاصة حكم المحدث: "صحيح"

2- الشعراء

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللـهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللـهَ كَثِيرًا﴾"1"21.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللـهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللـهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللـهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾"2"29.

ومن هنا يتضح لنا بجلاء الصفات التى يجب أن يتسم بها الداعية النهائى الذى تختاره الجهة الداعية ووضعه في مجتمعه قبل الدعوة. واسلوب تغطيته حتى الموعد المحدد. وكذلك ضمانات التواصل بينهما فى التوقيتات المناسبة، ويكون اختيار الصفات على حسب نوعية وأهمية الدعوة ونطاق نشرها وجمهورها المستهدَف ... ونُذَكِّر مرة أخرى أن المحاكاة لن تكون مطابقة للنموذج، فاللـه قادر على كل شىء وليس فى قدرته أحد، والمصطفى لا ولن يتكرر، والدعوة نفسها لا شىء يضاهيها ولا دعوة بعدها من نفس نوعيتها، بل أن الدعوة المستحدثة يجب أن تتوافق مع هذه الدعوة الالهية لكى يكتب لها أكبر قدر من النجاح.

ونود ان نوضح ان اسلوب إخفاء شخصية الداعية النهائي حتى اللحظة الفاصلة حماية له.استفادت منه الماسونية العالمية في تحريكها للأحداث لإسقاط الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية واللتان سقطتا في توقيت واحد بعد ان انهكت حروبهما معاً كلتا الدولتين فسهل التآمر عليهما. فقامت الثورة الشيوعية في روسيا والعلمانية في تركيا. وفي كلا الحالتين اخفت الماسونية كلاً من لينين في روسيا ومصطفى كمال في تركيا حتى اكتملت مراحل المؤامرة في كلا الدولتين وجاءت اللحظة الحاسمة فظهر كلا الرجلان ليتوليا القيادة ويكملا تنفيذ المخطط. ولكن كان كل منهما في الصورة منذ البداية ومشارك في الأحداث بصورة متدرجة.ولكن بفاعلية ووعي وفهم اكبر لأهداف المخطط. لذلك لم تعترض الأغلبية على تولي ايهما القيادة في بلده.

- الخطوة الثامنة:

ونعود الى تفاصيل إعداد مهد الدعوة ومسرح العمليات قبل ان يُعلَن عن ظهور الداعية النهائي الذي حددنا مواصفاته. فبالإضافة لكون مهد الدعوة – وهي مكة-مهيأة منذ الأزل كمركز لمسرح العمليات العام وهو الأرض بل والكون كله. فقد اضاف اللـه لها من المواصفات ما زادها تهيأة لتقبل الدعوة. فقد كان للمكان قدسية خاصة لدى كل البشر -

---

1- الأحزاب

2- الفتح

المحيطين به وتمثل هذا في وجود الكعبة المشرفة في مكة فقدجعل اللـه بها اول بيت وُضِعَ للناس.يحج الناس اليه كل عام من كل صوب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"96" فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللـهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾"97"[1].

وهي الشعيرة التي وفرت لها سبل حياة رغدة من التجارة ومن خدمة الحجيج. وكذلك بئر زمزم المباركة التي لا ينفذ ماءها وتزيد من قدسية مكة. كما ان قوافلها كانت آمنة من اي إعتداء.و لم تكن مضطرة لخوض حروب هجوماً او دفاعاًوبذلك تحقق وعد اللـه لأهلها إستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللـهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾"126"[2].

كما اطعم اهلها من الجوع و آمنهم من الخوف.﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾"4"[3].

وجعلها بلداً حراماً.﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾"91"[4].

ويضاف لذلك ان الكعبة كانت تذكرهم بسيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل والذين كانوا يفخرون انهم من نسله. اذن كانوا يعرفون اللـه. وانه رب هذا البيت وكانوا يعبدون الأصنام لتقربهم لله زلفى ... هذا عن اهل مكة.

اذن وجود اللـه لم يكن غريباً عليهم.كما انهم كانوا يعيشون في منطقة حفلت بقصص الأنبياء والرسل- وهم الدعاة الأوائل- بل كان يعيش بينهم اليهود والنصارى. اهل الكتب السماوية. ثم خرج منهم المتحنفون الذين يبحثون عن ملة إبراهيم. موقنين بوحدانية اللـه.ولكنهم لا يعرفون

1- آل عمران

2- البقرة

3- قريش

4- النمل

كيف يتعرفون عليه ولا ما المطلوب منهم ليكتمل ايمانهم ... كل هذه الأجواء المحيطة بقريش في مكة. كانت خير تمهيد لظهور الإسلام على يد سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم".

اذن على الدولة الراعية للدعوة ان تحسن إعداد هذا المهد لتقبل الدعوة. تأمنه وتحميه وتدعمه في كافة المجالات لتسهل المهمة على داعيتها واعوانه في إقناع شعب وقيادات هذا البلد بأن صالحهم في الإنتماء لهذه الدعوة.

- الخطوة التاسعة:

بعد اكتمال إعداد الداعية النهائي وكذلك تهيئة مهد الدعوة.حانت لحظة بدء الدعوة بتكليف الداعية بإبلاغ الدعوة. وهي مهمة الروح الأمين فنزل على محمد بن عبد الله بأول آيات القرآن الكريم. ليخبره انه نبي آخر الزمان الذي يسمع عنه،ولا شك ان علمه"صلى الله عليه وسلم" بأمر هذا النبي المنتظر سهل الأمر عليه عما لو كان لا يعرف عنه شيئاً . وكلفه الروح الأمين بتبليغ الرسالة.وحدد له خطة تبليغ الرسالة. وهي الدرس الهام والأسلوب الذي تفرد به سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" عن سائر الأنبياء والرسل الذين سبقوه. وهذا التفرد في حد ذاته تمييز هام ودعم قوي من الله لرسوله المصطفي والذي اوحى الله لجده ان يسميه بإسم لم يكن معروفاً في زمانه ... محمد. وكان اسماً وصفة. بل جعل الله في اجداده ما يدعم فكرة نبوته وقدسية عائلته. وذلك حين اوحى عز وجل لجده عبد المطلب بموضع بئر زمزم والتي كانت قبيلة جرهم قد اخفتها حين أُبعِدت عن مكة وأمره بحفرها ونصره على قريش حين ارادت مزاحمته على البئر. وكان لهذا الحدث اثره في تولي بني هاشم مهمة سقاية الحجيج بعد صراع محدود مع باقي بطون قريش حسمه الله ايضاً لصالح بني هاشم.

كان الجديد في الدعوة لهذا الدين هو البداية الحذرة في نشره والدعوة له. فقد بدأ رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بدعوة اهل بيته فآمنت به زوجته والتي كانت اكثر هدوءاً منه في استقبال تداعيات التكليف من فزع ورعب.فهي التي طمأنته ان مابه ليس مس من الشيطان بل هو ملاك.وذلك حين كشفت رأسها فأختفى الملاك ثم زادت من طمأنتها له حين استشارت ابن عمها النصراني ورقة بن نوفل الذي اكد لها ولزوجها انه نبي آخر الزمان المنتظر وان من يأتيه هو جبريل الأمين بل وتنبأ له ببعض ما سيحدث له من قومه ومنها إجبارهم إياه على الخروج من مكة ... كانت زوجته اذن هي اول من اسلم ثم ابن عمه الصبي علي بن ابوطالب

والذي كان ينفق عليه رسول اللـه ويستضيفه في بيته تخفيفاً عن عمه ابي طالب كثير العيال قليل المال. واخيراً اسلم مولاه زيد بن حارثة الذي فَضَّل ان يظل في خدمة رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" عن ان يعود معززاً لقومه حين عثر عليه قومه وارادوا تخليصه من الأسر. رغم ان رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" خَيَّرَه بصدق هكذا كان الجميع يحب رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم". وكان زيد بن حارثة ثالث من اسلم. والفارق واضح بين اسلوب رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في نشر الدعوة وبين اسلوب سائر الأنبياء والرسل السابقين حتى اولو العزم منهم.فكلهم جاهروا بالدعوة لعبادة اللـه وحده فور تكليفهم بذلك. وكان هذا امر اللـه لهم ليميز دعوة نبي آخر الزمان عن سائر الدعاوى الممهِدة ... لأنها ستكون الدعوة النهائية التي ستسود بإذن اللـه فلابد من اتخاذ كافة التدابير اللازمة وانجح الأساليب لسيادتها.

كانت الخطوة التالية هي دعوة أقرب اصدقاء النبي وهو ابي بكر بن ابي قحافة.وقد استجاب له فوراً وكان رابع من اسلم. ولكن لماذا ابو بكر؟ كان لهذا الاختيارسببين:

1- علّمَنَا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" ان المرأ على دين خليله. وكان ذلك مما علّمَه اللـه بالفطرة لحمايته. فقد كان ابو بكر مقارب في سلوكياته لمحمد بن عبد اللـه. فلم يشرب الخمر ولم يسجد لصنم ولم يأت موبقة. لذلك كان اول من دعاه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" للإسلام وهم مطمئن ... وقد استجاب بالفعل بإقتناع تام.

2- كان ابو بكر من علية القوم ومن اثرياء قريش. وهذا اسلوب جديد في الدعوة. ان يبدأ المرسَل بدعوة علية القوم. وكان الأنبياء السابقون يوجهون الدعوة بشكل عام للجميع ولا يبدأون بالعلية فكانوا هم الأشد عداءاً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ "13"[1].

ولكن سيدنا محمد "صلى اللـه عليه وسلم" بدأ بأحد علية القوم الذي يثق به. وسمح له بأن ينقل الدعوة لمن يثق بهم. فكان ان اسلم مع ابي بكر خمسة من علية القوم ايضاً. ولا شك ان اسلام علية القوم في البداية قد شجع العبيد والموالي والضعفاء على الدخول في الدين الجديد. بل وشجع آخرين من علية القوم على الدخول في الدين الجديد.

1- البقرة

ثم كانت الخطوة الثالثة بأمر سماوي.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾"214"[1].

فبعد ان اطمئن رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسلم" على استجابة اهل بيته لدعوتـه ثـم اقرب اصدقاءه وثلة من علية القوم. كان عليه ان يدعو عشيرته من بني عبـد منـاف ليعـرف موقفهم منه ومن دعمه في دعوته. في مواجهة العـداء المتوقـع مـن قـريش لأسـباب عديـدة. ورغم ان هذه الدعوة العلنية كانت تتعارض مع منهج السرية في الدعوة الذي بـدأت بـه. الا انه كان هناك هدفاً آخر من هذه الخطوة الإلهية. الا وهـو عمـل إختبـار اولي لـردود افعـال قريش تجاه اعلان محمد بن عبد الـلـه النبوة حين اخبرهم ابو لهب – عم النبي – ساخراً بما اعلنه ابن اخيه.ولم تهتز قريش بل ارجعوا ماتصوروه وهماً عند محمـد الى تحنثـه وتعبـده في السنوات الأخيره في غار حراء. كما ذكرهم ذلك بالمتحنفين وما كانوا يقولونه عن ملة ابـراهيم وبحثهم عنها ... اضف الى ذلك سيرة محمد الطيبة بينهم وحبهم له. ومن هنا يظهر لنا فائدة توجيه النبي لعادة التعبد قبل الدعوة بثلاث سنوات وكذلك الدعوة العلنية لعشـيرته كبـالون اختبار لفكرة نبوة محمد بن عبد الـلـه.

بدأت الدعوة إذن سرية حرصاً على استمرارها وحمايتها من الإجهاض المبكـر.فقـد واصـل رسول الـلــه "صلى الـلــه عليـه وسـلم" دعـوة نوعيـات معينـة مـن اهـل مكـة ممـن يتوقـع استجابتهم له.ومن مختلف الطبقـات. ولكـن التركيـز الأكـبر كـان عـلى المستضـعفين والمـوالي والأرقاء لأن قدرتهم اكبر عـلى تحمـل مـا سيتعرضـون لـه مـن اذى مـن قـريش حـين الجهـر بالدعوة.فالدعوة لن تظل سرية الى الأبد. كما ان هذا الدين يدعو لتخليصهم من ذل الضعف والعبودية. انه املهم الوحيد وسيستميتون في الدفاع عنه ونصرتـه والتمسـك بـه. امـا وجهـاء مكة فكانت دعوتهم للدين الجديد اكـثر حـذراً وكـان انتقـاء مَـن تعـرض عليـه الـدعوة يـتم بحسب المعرفة السابقة بطباعه وأخلاقياته. فكلـما كـان مغرقـاً في المفاسـد كلـما ابتعـدت الدعوة عنه. كما سُمِح لأبي بكر بالمشاركة في القيام بهـذا الـدور بـإذن النبـي "صـلى الـلــه عليه وسلم". بعد ان اثبت حسن اختياره في الخمسة الأوائل الذين دعاهم للدين الجديـد واسـتجابوا. وبالفعـل كانـت اسـتجابة المستضـعفين اكـبر بكثـير مـن اسـتجابة الوجهـاء. فالمستضعفين دائماً هم عصب اي دين. ويلاحظ ان الآيات التي نزلت في هذه المرحلة التي

1- الشعراء

استمرت ثلاث سنوات. لم تكن كثيرة العدد بالقياس بما نزل في باقي فترة الدعوة في مكة.كما ان السور المكية كان موضوعها الأساسي هو تدعيم الإيمان ولم تشتمل على اي عبادات او تكاليف. بل كان الهدف منها هو دعم النبي "صلى اللـه عليه وسلم"

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ "12"[1].

وفيما رواه رب العزة في آياته عن قصص الأنبياء السابقين. كان الحرص الإلهي على إختيار القصص التي تطمئن النبي "صلى اللـه عليه وسلم" والمسلمين الى ان اللـه ناصرهم.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ "3"[2].

لقد روى القرآن احسن القصص للعظة والإطمئنان ودعم الإيمان. مع التركيز على من ظهر منهم في النطاق المحيط بمهد الدعوة ولازالت قصصهم تتردد اصدائها. كما كان الهدف من هذا القصص هو إظهار الفارق بين نبي آخر الزمان وسائر الأنبياء سواء في بداية الدعوة او في النهاية الموعودة من رب العزة او مكانة ونوعية اتباعه اوعمق الدعوة. فالأنبياء السابقون كانت رسالتهم واحدة.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللـهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ "65"[3].

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللـهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "16"[4].

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللـهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ "32"[5].

ولكن معجزات الأنبياء متنوعة وكذلك العقاب من نوع الجبروت.

كما لم يتطرق القرآن لقصص الغالبية العظمى من الأنبياء والرسل خاصة الذين قتلهم قومهم حتى لا يثير الفزع والإحباط والتشكك في النهاية. وان اشار بشكل عام لما سبق ان حدث لبعض الأنبياء دون تفاصيل. وانفراد بني اسرائيل بهذه الجريمة.

1- هود.

2- يوسف

3- الأعراف

4- العنكبوت

5- المؤمنون

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [1"87"].

ولكن مع الإشارة الى حقيقة عدم ذكر قصص بعض الأنبياء والرسل والذي اخبرنا رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" انهم مئة واربعة وعشرين نبياً ورسولاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللـهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللـهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [2"78"].

وبعد ان استوعب النبي صلب الدين الجديد. وصار قادراً على الإقناع والمناظرة فيه مدعماً بقوة الحجة وبلاغة الرسالة المناسبة للمرحلة بدأ الجهر بالدعوة.

مع بداية الجهر بالدعوة انفجر الموقف في مكة واشتعل غضب بطون قريش وتباينت ردود الأفعال. وكانت سياسة النبي "صلى اللـه عليه وسلم" في هذه الفترة –كما امره اللـه- هي عدم دفع الأذى عن النفس بالنسبة للمستضعفين بل وبالنسبة للنبي "صلى اللـه عليه وسلم" نفسه وذلك لعدة اهداف:

1- إختبار قوة الإيمان ومدى تحمل الأذى في سبيل الدين الجديد.

2- عدم اشعال الموقف في ظرف لازال الدين الجديد فيه اضعف. وكذلك عدم الإدعاء مستقبلاً ان الدين الجديد انتشر بالقوة واشعل القتال في البلد الحرام ولم يراع حرمة البيت الحرام.

3- تحمل المسلمون للتعذيب بجلد واصرار اثار تعاطف الكثير من قبائل العرب فضلاً عن اهل مكة نفسها. مما ادى لزيادة الإقبال على الدين الجديد الذي يتحمل اتباعه في سبيله كل هذا العذاب.

4- كان مبدأ "إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان" اكبر دليل على الرحمة ومراعاة فوارق قوة التحمل بين المسلمين في هذا الدين الجديد.

5- سُمِحَ لكبار المسلمين بالتدخل السلمي والودي لإنقاذ المسلمين المعذبين. ببذل المال. مما دعم التعاطف والتراحم بين المستضعفين وعلية القوم من المسلمين وبالطبع كان لتعاطف

1- البقرة

2- غافر

النبي "صلى الـلـه عليه وسلم" نفسه وشده من ازر المعذبين ووعده اياهم بقرب الخلاص بـل وتعرضه هو نفسه للإهانات والتطاولات. اثره في زيادة قوة تحملهم.

وقد آتت هذه السياسة نتائجها وثمارها على المدى الطويل حين سمح الـلـه بالقتال. فقـد كانت هذه السياسة منطقية بعد طول التحمل وفي اطار الظروف الجديدة بوجـود المسـلمين خارج مكة وبذلك لم يكن الصدام داخل حرم مكة المكرمة.

وبالتزامن مع هذه المعاناة المستمرة بل والمتصاعدة كان النبي "صلى الـلــه عليـه وسـلم" يستغل مواسم الحج في لقاء وفود العرب وعرض الدين الجديد عليهم بقوة حجة وسحر بيان القرآن. وذلك رغم محاولات قريش منعه من ذلك. وقد نجحت هذه السياسة في النهايـة مـع وفد الأوس والخزرج من يثرب كما سيرد تفصيلها واثرها.

ومع اشتداد اذى قريش نصح النبي "صلى الـلـه عليه وسلم" المسلمين بالهجرة بعيداً عـن مكة حتى تتحسن الأحوال. وحدد لهم الحبشة موطناً لهذه الهجرة. وذلـك لأن الحبشـة كـان يحكمها النجاشي وهو ملـك عظـيم نصراني لا يُظلـم عنـده احـد. ولا شـك انـه سـيقدر وضـع المسلمين اذا سمع آيات الـلـه في القرآن. واخيراً فإن الحبشـة كانـت مـن بـلاد تجـارة قـريش. لذلك فإن اهلها يألفون اهل مكة ولن يرفضوا وجودهم فيها.

ولاشك ان تحديد موطن الهجرة كان من الـلـه عز وجل. وبدعم منه تعـالى. كـما كـان مـن اهدافها بدء اعتياد المسلمين عـلى الحيـاة بعيـداً عـن مكـة الحبيبـة لنفوسـهم وذلـك تمهيـداً للهجرة الأكبر والأطول زمناً ليثرب بعد ذلك. وهي المرحلة الفاصلة في انتشـار وانتصـار الـدين الجديد.

رغم كل هذه المصاعب التي واجهت الإسلام في بدايته. وكذلك التدافع والتصـاعد الشـديد في الأحداث. الا ان رسول الـلـه "صلى الـلـه عليه وسـلم" لم يغفـل اهميـة خطـوة اساسـية في رسم سياسة تطور وانتشار الدين الجديد. والحفاظ على إنجازاته ومواصلة إنتصاراته.

هذه الخطوة هي بدء تكـوين كـوادر إسـلامية متنوعـة الكفـاءات والأعـمار وقـوة الإيمـان. لتكون خير دعم لرسول الـلـه في طريق الكفاح وفي المراحل النهائيـة والحاسـمة مـن الـدعوة. كما يمكنهم مواصلة طريق انتشار الدين الجديد بعد غياب رسـول الـلــه "صـلى الـلــه عليـه وسلم".

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللـهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللـهُ الشَّاكِرِينَ﴾"144"[1].

وهي الآية التي سيطر بها ابو بكر على إنفعالات المسلمين حيال وفاة رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم".

وقد بدأت هذه السياسة منذ السنوات الأولى للدعوة.وتصاعدت واتسعت بعد الهجرة ليثرب حيث شملت المهاجرين والأنصار لمزيد من الإستفادة من تنوع الكوادر والكفاءات. وكذلك كخطوة هامة لإذابة وتلافي الحساسيات بين المهاجرين والأنصار. وقد اثمرت هذه السياسة في العديد من المواقف الحاسمة في مسار الدعوة سواء في حياة ااو بعد وفاته. فقد احسن ابو بكر الصديق قيادة الدولة الإسلامية حيث واجه المرتدين ثم بدأ عهد الفتوحات والتي واصلها بعده عمر بن الخطاب. مضرب المثل في العدل والنزاهة والزهد على مدى التاريخ. ولو لم يهمل المسلمون الجانب الأمني لتواصلت الإنجازات في عهدي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب بشكل افضل مما حدث.

يقول المولى عز وجل عن هذه الكوادر الإيمانية.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللـهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللـهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا"22"مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللـهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾"23"[2].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللـهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللـهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللـهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾"29"[3].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾"173"[4].

وحين تأكد النبي "صلى اللـه عليه وسلم" من استحالة توطيد اركان الدين الجديد في مكة

1- آل عمران

2- الأحزاب

3- الفتح

4- آل عمران

–مهد الدعوة- قرر اللجوء الى موطن بديل مؤقتاً تتوافر فيه مواصفات انشاء دولة لهذا الدين كقاعدة انطلاق وانتشار له. واهم هذه المواصفات هي احتياج هذا الموطن لما يدعو اليه هذا الدين الجديد وبالتالي يؤمن به بشدة. ثم قدرته على الدفاع عنه واخيراً تقارب طبيعة هذا الموطن مع مهد الدعوة وكذلك تقارب مواطنيه مع المؤمنين الأوائل بهذا الدين وتقديرهم لما عانوه هؤلاء الرواد في سبيل وضع اسس تواجد هذا الدين واستقراره حتى وصل للموطن البديل ... وقد وجد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" هذه المواصفات في يثرب واهلها من الأوس والخزرج للأسباب التالية:

1- يثرب مدينة تجارية ذات موقع استراتيجي. كما انها مدينة زراعية مستقرة إقتصادياً واهلها يتميزون بالشجاعة والفروسية والتعود على القتال. كما انها مدينة حصينة. واخيراً بها اخوال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بني النجار. وفيها قبر والدة الرسول"صلى الله عليه وسلم".

2- كان الأوس والخزرج يعيشون في يثرب مجاورين لقبائل اليهود ويعرفون منهم بأمر نبي آخر الزمان والذي كان اليهود يظنون انه سيخرج منهم وكانوا يتوعدون العرب بسحقهم حين يظهر هذا النبي الذي سيسود.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ "89"[1].

وكان الأوس والخزرج يعرفون منهم اوصاف وصفات هذا النبي. لذلك عندما عرض عليهم النبي "صلى الله عليه وسلم" الدخول في الإسلام في موسم الحج. عرفوه ووافقوا على الفور في الموسم الأول. ثم ارسلوا في الموسم التالي وفداً اكبر للتحالف ليبدأ الإعداد للهجرة.

3- كانت الحروب تمزق الأوس والخزرج بسبب الوقيعة المستمرة بينهما من اليهود. لذلك رأوا في الدين الجديد الأمل في حقن الدماء بينهما والوقاية من دسائس اليهود بينهما. وكذلك مشاركة نبي آخر الزمان في انتصاره وسيادته العالم.

4- كان لتشابه الطباع بين اهل يثرب واهل مكة وكذلك التعاملات الدائمة بينهما اثره في سهولة التقارب بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة. وتقبلهم لنظام التآخي الذي

1- البقرة

اقترحه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" تحت مظلة إيمانهم القوي بالدين الجديد وتقديرهم لما عاناه المسلمون الأوائل في سبيل توطيد دعائمه ورغبة الأنصار في تعويض مافاتهم من نصرة الدين الجديد.

5- بعد اللقاء الأول مع وفد الأوس والخزرج. ارسل رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" احد الصحابة الأجلاء ليعلمهم مبادئ الدين الجديد. حتى يحضروا في العام التالي وقد توطن الدين في اعماقهم. واختار لهذه المهمة احد شباب قريش المدللين والذين زهدوا في الترف واشتروا الآخرة بالدنيا. انه مصعب بن عمير والذي كان فتى قريش المدلل. فكان نموذجاً مؤثراً لقوة الإيمان وتأثير الدين الجديد.

وبعد ان تمت الهجرة وبدأت خطوات انشاء الدولة الجديدة. تم استدعاء مهاجري الحبشة للإنضمام للدولة الناشئة لدعمها وللقيام بدورهم بعد ان ارتاحوا لسنوات في الحبشة بعيداً عن المعاناة. خاصة بعد ان سمح اللـه بالقتال. والذي بدأ بالسعي لإسترداد المهاجرين لأموالهم التي استولت عليها قريش بعد الهجرة بالتعرض لقوافل قريش.

بدأ اذن تكوين دولة دينية من المهاجرين والأنصار في الموطن البديل ذي الظروف المناسبة. ونود ان نوضح ان هجرة المسلمين الى الحبشة ثم ليثرب كانتا مختلفتين عن اية هجرة سابقة لنبي وقومه. فالهجرات السابقة كانت لنبي اللـه ادريس عليه السلام مع من آمن معه من العراق الى مصر. ثم هجرة خليل اللـه ابراهيم-عليه الصلاة والسلام- من العراق الى الشام.ثم هجرة سيدنا موسى واخيه سيدنا هارون- عليهما السلام- ببني اسرائيل من مصر الى ارض سيناء فراراً بدينهم من فرعون. كل هذه الهجرات كانت ارتحال بلا عودة او حتى محاولة العودة.وان كان بنو اسرائيل لايزالوا يحلمون بالعودة لمصر بزعم انها ارض اجدادهم وانهم بانوا حضارة مصر.ولكن هجرة المسلمين كانت هجرة استراتيجية هدفها النهائي العودة الى المهد الأول للدعوة. مكة المكرمة ولكن بعد ان تصبح الظروف مهيأة للعودة حين يسود الدين الجديد.

ومن الأمور التى وضعها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في الحسبان مع بداية انشاء الدولة. ان شكل الدولة غير مألوف للعرب. وكان لابد ان يفهموه ويألفوه ثم يتقنونه. فضلاً عن المصاعب التي تواجهها هذه الدولة من عداء للدين الجديد يحيط بحدود الدولة خارجياً. وعداء اليهود والمنافقين في الداخل. ولهذا كله كانت اهمية إنشاء جهاز الأمن الذي اوضحنا دوره في الباب الثاني من الكتاب.

الفصل الثانى : الدرس النبوى

- الفصل الأول: من الدرس النبوى
- الفصل الثانى: من الدرس النبوى

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللــهَ وَالْيَـوْمَ الْآَخِـرَ وَذَكَـرَ اللـهَ كَثِيرًا﴾"1"21.

بعد موت الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" اجتهد المسلمون فى اتباع ما جاء فى هذه الآيـة فى كافة مجالات العبادات والمعاملات بل وتسابقوا فى دقة الإتباع خاصة فى العبادات. ولكنهم أهملوا التأسى فى أهم مجال عَلّمَهم اياه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" بل وقدموا مـن خلاله النموذج والقدوة لمن جاء بعدهم. ألا وهو مجال الأمن. ذلك المجال الذى لولاه – مـن بعد فضل اللـه – لما تحقق النصر والاستقرار للدين الإسلامى من خـلال الدولـة الإسـلامية فى المدينة. ولكن المسلمين لم يسـتوعبوا درس رسـول اللــه "صـلى اللــه عليـه وسـلم" لهـم ولم يتأسوا به فى هذا المجال الحيوى الهام. وآثروا الاسترخاء والاطمئنان بعد سـيطرتهم عـلى كافـة أرجاء جزيرة العرب.

فأهملوا الجانب الأمنى والاحتياطات التى كانت متبعة بدقـة فى عهـد رسـول اللــه "صـلى اللـه عليه وسلم" واستكانوا للرخاء والاستجمام خاصة بعد فـتح الشـام وفـارس. ولعـل أبلـغ تعبير عن هذا الحال هى عبارة الخليفة عمر بن الخطاب "رضي اللـه عنه" حـين زار دمشـق بعد فتحها و شاهد تبدل حال المسلمين من أبناء جزيرة العرب فقال:"بَـخٍ بَـخٍ. اعـراب رقـت ثيابهم. وتندرت وجوههم. ولانت طباعهم. حتى لا تميزهم عن أهل الشام. اين مـا أنـتم فيـه الآن من الصوف الخشن والنعال المتخصفة وجفوة الاعراب. ما أسرع ما تغـيرتم". وكـان هـذا انطباع خليفة المسلمين للوهلة الأولى من وصوله دمشق. رغم أن عمـر بـن الخطـاب لم يكـن اعرابياً فجاً بل كان حضرياً عرف الكثير مـن حيـاة التمـدن وزار الشـام كثـيراً ولكنـه لم يتـأثر. وتعجب من حال هؤلاء الاعراب وسرعة تحولهم. ولعل ذلك راجع إلى حداثة عهدهم بالإسلام وعدم التعمق فى قيم الإسلام والتشبع بها. وكذلك قلة التأثر برسول اللـه "صـلى اللــه عليـه وسلم" فتغيروا سريعاً وغرتهم الحياة الدنيا وبهرتهم المدنية. ولا نغفل فعل إبليس وشـياطينه بهم. وإذا كان هذا هو حال الاعراب. فما هـى حجـة الصـحابة فى اهـمال أسـس الأمـن التـى وضعها رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم" وشـارك أغلـبهم فى تنفيـذها؟ اسـترخوا وشـعروا بالأمن ونسوا أن العداء لا ينتهى والثأر لا يسقط خاصة مع مَن هـدم الإسـلام مُلكَهـم القـائم على الضلال مثل الفرس.أو مَن اطاح الإسلام بهم ورد كيدهم فى نحرهم مثل بنى إسرائيل.

1- الأحزاب

فهل ظن المسلمون أن بني اسرائيل استسلمت وسلمت بالأمر الواقع؟ انهم يتحدون المولى عز وجل فهل يهدأون حيال المسلمين؟ لقد دفع المسلمون ثمن إهمالهم غالياً بل وسريعاً. دفعوه فى اغتيال عمر بن الخطاب على يد المجوسى الموتور أبو لؤلؤة الماجوسي. نتيجة تحدى المغيرة بن شعبة لأوامر عمر بألا يدخل المدينة اجنبى ثم تغاضي عمر عن تصرف المغيرة. ورغم أن عمر تنبه لتوعد الفتى له وأخبر الصحابة ولكنهم استرخوا فكان ما كان. ودفعوه على مدى عقود حين اغفلوا تحركات اليهودى المتأسلم عبد الله بن سبأ فكانت فتنة عثمان بن عفان ثم مأساة على ابن أبى طالب وغيرها الكثير ربما أخطرها حتى اليوم المذهب الشيعي الذي وضع ابن سبأ اسسه. ولو استمر المسلمون على سياستهم فى زرع العيون الموثوق بها فى الممالك التى فتحها الإسلام. لما نجحت مؤامرات أغلب هذه الممالك فى الإرتداد عن الإسلام والعودة لدياناتهم الوثنية مثل الهند. أو حرفت فى الإسلام ومزجت بينه وبين دينها الوثنى كنوع من الخداع مثل الفرس. ولما مزقت الدولة الإسلامية الثورات وحركات التمرد.

دفع المسلمون ثمن هذا الاهمال غالياً. صحيح أنهم نجحوا فى كشف بعض هذه المؤامرات بالصدفة.مثل مؤامرة أبى مسلم الخراسانى ضد الدولة العباسية الناشئة رغم انه شارك في قيامها ولكن لهدف خفي لم يفصح عنه ولكن الظروف كشفت خطته.وكذلك المجوسية المستترة للشاعر بشار بن بُرد ثم مؤامرة البرامكة. ولكنها حالات نادرة جاءت بغير تخطيط وإنما لعبت الصدفة فيها دوراً كبيراً.

وأغفل المسلمون أيضاً أن شكل وأسلوب الدعوة للإسلام كان يجب أن يتغير بموت رسول الله "صلى الله عليه وسلم". فقد أصبح على المسلمين أن يكون لهم دعاة متمكنين ومهيئين ينتشرون فى كافة بقاع الأرض يعدون شعوبها لتقبل الإسلام قبل أن تصل الجيوش. وربما صارالمسلمون في غنى عن الجيوش. وهو ماحدث في أخريات ايام الرسول "صلى الله عليه وسلم" حين بعث الدعاة الى مختلف البلاد مثلما ارسل علي بن ابي طالب "عليه السلام" الى اليمن. بل كما ارسل مصعب بن عُمَير للأوس والخزرج قبل الهجرة ليمهد للهجرة. هكذا تكون الدعوة للإسلام.

تعجل المسلمون نشر الإسلام ولم يمهدوا لذلك بالشكل الأمثل ولم يتابعوا رسوخ الدعوة. رغم أن المولى – عز وجل – قدم لهم النموذج الأمثل لهذا العمل من خلال الخطة الالهية للتمهيد للإسلام على الأرض. فكان يجب أن يتعلموا منها كيف يرسلون الدعاة وكيف

يدعمونهم حتى يُمَكِّنـوا لـدين اللــه فى الأرض. دون أن يُـتَّهَم الإسـلام زوراً بأنـه انـتشر بحـد السيف.

اكتفى المسلمون بالدعاية التقليدية بعد فتح البلاد.لذلك سرعان ما ارتدت هذه الشـعوب خاصة البعيدة عن الدولة الإسلامية. ولو تمسك المسـلمون بخطـة رسـول اللــه "صـلى اللــه عليه وسلم" فى تأمين الدولة داخليـاً وخارجيـاً. واسـتوعبوا كـذلك الـدرس الالهـى فى التمهيـد للدعاة. لتغير حال الإسلام والمسلمين. ولأستقرت الخلافـات الاسـلامية وأمنـت وكـذلك اسـتمر الإسلام قائماً فى كل بقاع الأرض. ولنحـاول الآن أن نشرح الـدرس النبـوي فى نشر الـدعاة لعلنـا نتدارك ما فات أجدادنا وننصر الإسلام.

الفصل الأول: من الدرس النبوى:

كان توجيه المسلمين للهجرة للحبشة لعدة أسباب،الظاهر منها الابتعاد عن طغيان قريش وتعذيبها للمستضعفين من المسلمين ولكن كان هناك هدفاً أخر هاماً للغاية هو عرض الإسلام كدين جديد فى منطقة خارج الجزيرة العربية ولكن بأسـلوب غـير مبـاشر مـن خـلال المظهـر العام وسلوكيات المسلمين أمام شعب الحبشة. وشعب الحبشة وملكهم النجـاشى نصـارى. أى أهل كتاب. يوحدون اللـه ... كما أن انجيلهم به الإشـارة لنبـى أخـر الزمـان والـذى يعرفـون أوصافه وأوصاف المسلمين جيداً بدليل تعرف ورقة بن نوفل على رسـول اللــه "صـلى اللــه عليه وسلم" ... ولكن هؤلاء الدعاة الأول لم يكن مسموحاً لهم أو مطلوبـاً مـنهم التحـدث أو الدعوة المباشرة للدين الإسلامى لأن ذلك يمثل تحدياً وخطراً عـلى الـدين الـنصراني السـائد فى الحبشة ولن يسمح النجاشي بذلك لأن في ذلك تهديد لسلطانه وسطوته. رغم انـه اسـلم بعـد ذلك هو وشعبه حينما عرض عليه رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم" الإسـلام في الخطـاب الشهير. ولم يضطر المسلمون للتحـدث عـن الإسـلام آنـذاك إلا بطلـب مـن النجـاشى رداً عـلى إدعاءات عمرو بن العاص حين حاول اقناع النجاشى بأنهم خارجون عن اهلهـم وديـن آبـائهم ويجب ردهم لقريش.

ولكن لماذا اختار رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسـلم" الحبشـة مكانـاً لهجـرة المسـلمين؟ هل لأنها بلد يعيش بها اهل كتاب؟ أم لأنها بعيدة عن جزيرة العرب التي تنـتشر بهـا عبـادة الأصنام. وكذلك بعيداً عن نفوذ قريش؟

هاتان الصفتان كانتا متوفرتين فى مصر أيضاً. بل أن تجـار قـريش كـانوا يرتـادون الحبشـة كثيراً وعلى صلة وثيقة بالنجاشى. بعكس مصر التي لم تكـن سـوقاً لتجـارة قـريش. إذن هنـاك خطر فى وجود المسلمين في الحبشة وتبدو مصر اكثر اماناً.

ولكن مصر لم تكن فى ذلك الوقت التربة المناسبة لإيواء او لعرض الدين الجديد.لأن الـروم كانوا يحتلون مصر.ورغم أنهم نصارى مثل أهل مصر. إلا أنهم كـانوا يخـالفونهم فى المـذهب. وكان اهل مصر متمسكون بمذهبهم لذلك كان الـروم يضـطهدونهم بقسـوة بـل ويعـذبونهم لإكراههم على إتباع مذهبهم بإعتبار انهم من يحكمون مصر لذلك يجـب ان يتبـع المحتلـون مذهب المحتلين ... لذلك لم يكن هناك مُناخ آمن لهؤلاء الهاربين بـدينهم مـن قـريش. وسـط شعب مضطهد، ومحتلين يضطهدون المخالفين لهم فى المذهب فكيف بالمخالفين لهم فى الدين ... من هنا اختار الرسول "صلى اللـه عليه وسلم" الحبشة دون مصر لهجرة المسلمين.

ونلاحظ أن المسلمين الذين هاجروا للحبشة كانوا مزيجاً من أثرياء قـريش المهـددين مـن اهلهم مثل ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعه واخيه في الإسلام سالم. والمستضـعفين. وكـذلك ذوى المنعة فى قومهم ولا يخافون قريش ولكنهم بتوجيه مـن الرسـول "صـلى اللــه عليـه وسـلم" هاجروا لدعم أخوتهم. ولعل أبرز هؤلاء كان جعفر بن ابى طالب ابن عم رسول اللــه "صـلى اللـه عليه وسلم" والذى كان فى حماية بنى هاشم وعلى رأسهم أخيه علي وعمه حمزة. رضي اللـه عنهما وارضاهما.

بهذه البراعة والدقة يتم اختيار المكـان المناسـب لتواجـد الـدعاه سـواء المبـاشرين الـذين يـدعون للـدين الجديـد علنـاً. اوغـير المبـاشرين الـذين يـدعون للـدين الجديـد بسـلوكياتهم ومظهرهم ومعاملاتهم. وهو الاسلوب الذى اتبعه التجار المسلمون بعد عقود فى نشر الإسـلام إجتهادياً في مختلف بقاع العالم، واهمها افريقيا.

الفصل الثانى: من الدرس النبوى:

كان بعد بيعة العقبة الأولى مع الأوس والخزرج والإتفاق المبدئي على هجـرة مسـلمى مكـة ليثرب لكي يحموهم وييسروا لهم نشر دين اللـه في وقت لم يكن مصرحاً للمسـلمين بالقتـال. وكان موعد الاتفاق النهائى فى موسم الحج التالى حيث تمت بيعة العقبة الثانية. ولكن الم يكن من الممكن أن يحدث خلال هذا العام ما يغير اتجاه الأوس والخزرج تجاه اتفاقهم مع رسـول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم"؟ فرغم ما ابدوه فى البيعة الأولى من اقتناع تام بالدين الجديـد ولكنهم كانوا قلة. فقط اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج. فمن يضمن أن يقتنع باقي الأوس والخزرج ويحضروا فى العام التالى ليتموا الإتفاق؟

كان الضمان الوحيد أن يرسل معهم من يدعم الإيمان عندهم. يعيش بينهم وينشر الـدين الجديد ليزيد عدد المؤمنين. يبهرهم بعلمه وتفقهه وأيضـاً سـلوكياته وزهـده فى نعـيم الـدنيا ليشترى به الجنة ... أى يقوم بالدعوة المباشرة وغير المباشرة معاً.وذلك الاسـلوب المـزدوج هـو أقوى أسلوب للدعوة.

لقد اختار رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" مصعب بن عُمَـير - فتـى قـريش المـدلل- ليرسله ليثرب لـيعلمهم الـدين الجديـد. هـو الفتـى الفقيـه المتشـبع بالـدين الجديـد. حسـن الحديث والطباع. بالإضافة لما هو معروف عنه من أنه ترك الحياة المترفـة إلى شـظف العـيش تمسكاً بالإسلام. كل هذه العوامـل التـى تـوافرت فى الداعيـة حققـت أكـبر قـدر مـن النجـاح لمهمته.لذلك تمت بيعه العقبة الثانية ونجحت الهجرة.

أما أهم فصول هذا الدرس فقد بدأ من العام الثانى للهجـرة واشـترك فى تنفيـذه مجموعـة من المدرسين المساعدين للأستاذ الأكبر ... ولكن بتوجيهاته.

في الباب الثاني من الكتاب. اوضـحنا كيـف نشـأ نظـام الإسـتخبار الأول في التـاريخ في دولـة الإسلام في المدينة المنورة. وكيف كانت الأخبار تصل للمدينة من كـل ارجـاء الجزيـرة العربيـة عن القبائل التي تستعد للهجوم على المدينة. ولم تخطئ هذه الأخبار ابداً. رغم حـرص رسـول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم" على التأكد احياناً مـن اخبـار المصـدر المقـيم وذلـك في الأخبـار الهامة.

واكدنا ان هذه المصادر لابد وانها كانت مؤمنة وإلا لما امكن الإطمئنان الى صدق اخبارها.وهنا في الفصل الثالث من الدرس النبوي. نعرف كيف امكن تجنيد كل هؤلاء العيون؟ الدولة الناشئة تكتفي بتوطيد اركانها وحماية الجبهة الداخلية وتأمين الحدود الخارجية والسعي بإصرار لمطاردة قوافل قريش لإسترداد اموال المهاجرين التي استولت عليها قريش.ولم تكن تسعى في هذه المرحلة لنشر الدين الجديد بشكل موسع. على مستوى القبائل.فكيف اذن يتم تجنيد عيون مؤمنة من مختلف القبائل؟ كان الأمر يتطلب إختيار مجموعة من الدعاة المسلمين المؤثرين اتصور ان اغلبهم في البداية كانوا من المهاجرين. وعلى هؤلاء الدعاة ان يتحركوا بهدوء وحذر ويندسوا وسط القبائل واختيار من يتوسموا فيهم الخير من ابناء القبيلة من حيث استعداده للإسلام. ويقنعه بالمهمة المكلف بها بعد اسلامه ألا وهي ابلاغهم عن أي تحركات ضد المدينة من قبيلته او القبائل المجاورة. وقد اثبتت النتائج نجاح هؤلاء الدعاة في مهمتهم العسيرة في ذلك الوقت. كما عرفنا من نجاح اغلب سرايا وغزوات المسلمين.في مختلف مراحل كفاح الدولة الإسلامية.

وقد يتصور البعض ان المهمة كانت شبه مستحيلة بسبب العدد الضخم من العيون المطلوب تجنيدهم في مختلف القبائل. ولكن الحقيقة ان نطاق التحرك لم يكن بالضخامة التي يتصورها البعض لعدة اسباب:

1- لم يكن عدد القبائل المطلوب زرع عملاء بها كبير. مما يصعب المهمة.

2- كان المهاجرون من اهل مكة لهم علاقات واسعة مع ابناء القبائل الأخري. الذين كانوا يترددون على مكة للتجارة والحج. كما ان الكثير منهم شهد معاناة المسلمين من قريش وثباتهم على دينهم. ولاشك ان الكثيرين منهم كانوا متعاطفين مع المسلمين وربما اسلموا سراً ولم يستطيعوا الجهر بذلك خوفاً من اقوامهم. ومن المتوقع ان يكون الدعاة قد استفادوا من درس رسول الله"صلى الله عليه وسلم" في الإهتمام في توجيه الدعوة للدين الجديد بالمستضعفين. فعمدوا هم ايضاً الى المستضعفين لدعوتهم للإسلام سراً وتجنيدهم بهدف خدمة الدولة الإسلامية لكي ينتشر الدين الجديد ويسود قبائلهم فيأمنون على انفسهم ويتخلصون من ذل العبودية.

3- المتوقع ايضاً ان رسول اللـه"صلى اللـه عليه وسلم" استخدم اسلوب العميل الدوار أي العميل الذي يغطي اخبار قبيلته والقبائل الحليفة والمجاورة. وبذلك يقل عدد هؤلاء العملاء المطلوبين.

وبذلك كانت عملية تجنيد العملاء درساً نبوياً هاماً في كيفية نشر الدعوة للدين الجديد سراً على نطاق واسع وبالتوغل والانتشار الآمن وسط القبائل والشعوب وبهدف جلب معلومات امنية خارجية.

ونأتي للدرس التالي والذي كان في مرحلة متقدمة من استقرار دولة الإسلام حيث بدأ رسول اللـه "صلى اللـه عليه وسلم" في التبليغ المباشر الرسمي لدعوة الإسلام. فقد ارسل رسائل مع سفراء لكبار حكام وملوك منطقته يدعوهم للإسلام ويحذرهم ويحملهم مسئولية شعوبهم وما سيصيبهم ان لم يؤمنوا بالدين الإسلامي. وكان نص الرسائل نصاً دبلوماسياً حاسماً محققاً شروط التبليغ الشرعي كما امره اللـه عز وجل. وكانت هذه الرسائل بمثابة إنذار واضح لهؤلاء الحكام. ومن لم يستجب ويعرض الدين الجديد على شعبه. تولت الجيوش الإسلامية بعد سنوات فتح هذه البلاد لتبليغ رسالة الدين الجديد لكافة الشعوب دون إكراه على الدخول في هذا الدين.

ولو ان المسلمين استفادوا من الدرس النبوي في بث الدعاة المستترين كمقدمة للجيوش للتغلغل وسط الشعوب ونشر الإسلام بالأسلوب المباشر وغيرالمباشر. كان ذلك سيسهل من مهمة الجيوش وربما لم تكن هناك ضرورة للجيوش إلا للقضاء على اعداء الدين ومن يحولون دون وصول الدعوة للشعوب. كما كان عمل الدعاة التمهيدي سيؤدي لمزيد من ترسيخ الإسلام في هذه الشعوب فلا ينقلبوا سريعاً على الإسلام ويعودون لدياناتهم السابقة.خاصة لو تابع الخلفاء تدعيم اسس الدين عند هذه الشعوب.

وكان النموذج المثالي للدعاة – بعد موت الرسول "صلى اللـه عليه وسلم"- دون تخطيط او تنسيق او توجيه او دعم او متابعة. هو النشاط الدعائي الإسلامي والإقتصادي غير المباشر للتجار المسلمين في مختلف اقطار الأرض. وبعضها اقطار لم تبلغها الجيوش. فهذه الأنشطة الدعائية تصل الى اماكن وتحقق انجازات ونجاحات لا تحققها الجيوش.وما كان احوج الإسلام لهذه الأنشطة في بداياته. وما احوجه لها الآن بصورة اكبر.

وعودة للحديث عن دور التجار المسلمين لنشر الإسلام. فقد امتد نشـاط التجـار لمختلـف ارجاء الأرض. فكان للتجارة وطـرق التجـارة دوراً أساسـياً فى إنتشـار الـدين الإسـلامى. هـذا لا يعني أن هؤلاء التجار كانوا مبشرين أو دعاة للدين الإسلامى، بل كانوا مجـرد تجـار يبحثـون عن الرزق فقط، غير أنهم ساهموا فى نشر الإسلام واللغة العربية.

وكان السلوك الشخصى لهؤلاء التجار فى البلاد التـى حلـوا بهـا ومـا امتـازوا بـه مـن أمانـة وصدق وطهارة، تتبدى فى وضوءهم اليومى خمس مرات، قـد اجتـذب أهـالى الـبلاد الـوثنيين التى نزلوا بها فى أفريقيا جنوب الصـحراء والسـاحل الشرقـى لإفريقيـا كـما كـان زواج هـؤلاء التجار من نساء هذه المجتمعات التى تعتمد على نظام الانحدار الأمومى فى مناطق كثـيرة فى أفريقيا، وما يتبع ذلك من إسلام النسل.

وأخيراً كانت مصاحبة الدعاة والصوفية لهؤلاء التجار فى طرق تجارتهم عامل مساعد عـلى إنتشار الإسلام. ويذكر ابن خلدون أن القوافل التى كانت تمر فى طريـق مصر - غانـا قـد بلـغ عددها 12 ألف جمل. وبفضل هذه الحركة التجارية نشأت مراكـز حضـارية كثـيرة، أصـبحت فيما بعد مراكز إشعاع هامة لنشر الإسلام، مثل تمبكتو وجني حول حوض النيجر الأوسط، إلي جانب مراكز هامـة لـنشر الإسـلام في شرق افريقيـا مثـل سـواكن وزيلـع وبربـرة ومقديشـيو. بالإضافة لذلك فقد قام اثرياء التجار في هذه البلاد بإرسال الطـلاب المتفـوقين للقـاهرة لإتمـام تعليمهم.

وقد حفظ القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشي في صـناعة الإنشـا" نمـاذج مـن مكاتبـات الملوك والأمراء في غرب إفريقيا مع سلاطين المماليك. ويتضح منهـا ان مكاتبـات هـؤلاء كانـت باللغة العربية، مما يدل علي انتشـار اللغـة العربيـة هنـاك وإتخاذهـا لغـة رسـمية للـديوان الحكومي، وكان ذلك بفعل التجـار المصريـين والمسـلمين الـذين اتخـذهم ملـوك هـذه الـبلاد مستشارين ومساعدين لهم، حتى ان الحي الملكي كان يوجد به دائماً مسجد كبير، بالقرب من القصر، ليؤدى فيه هؤلاء التجارصلاتهم، حتى فى البلاد التي لم يكن قد انتشر فيها الإسلام.

لقد دخل الإسلام غرب إفريقيا بمجهودات فردية قام بها تجار شمال إفريقيـا الـذين كـانوا مسلمين وكانوا بمثابة دعاة هواة، ولو تم تدريبهم وتهيئتهم على نشر الدعوة الإسلامية لكانت النتائج اكثر ايجابية ورسوخاً.

ومن هنا يتضح ان الاسلام دخل الى افريقيا بعدة طرق:

1- الفتوحات الاسلامية و شملت شمال افريقيا.

2- التجار المسلمين.

3- الهجرات العربية لافريقيا.

4- دعاة المسلمين الذين جابوا القارة لنشر الاسلام.

5- دور بعض الطرق الصوفية في نشر الاسلام.

6- الافارقة انفسهم الذين اعتنقوا الاسلام فقاموا بنشره بين بني جلدتهم واستطاعوا ذلك، خاصة انهم اسسوا العديد من الممالك الاسلامية في افريقيا مثل مملكة الكانم والبرنو وغانة وصنغاي ومالي، وغيرها الكثير من الممالك التي ساهمت بشكل كبير في نشر الاسلام في افريقيا.

اما من اين وصل الاسلام رسمياً لافريقيا:

فيمكن القول ان شمال افريقيا دخلها الاسلام بعد فتح مصر، اما شرق افريقيا فوصلها منذ ان هاجر اليها المسلمون الاوائل الى الحبشة حيث اسلم نصارى الحبشة وقاموا بنشر الاسلام، بالاضافة لهجرات عربية اسلامية متعددة جاءت الى شرق افريقيا على مدار تاريخ الدولة الاسلامية، اما غرب افريقيا ووسطها فانتشر فيها الاسلام عن طريق حركة المرابطين.ولا نستطيع ان نغفل دور البعثات العُمانية في نشرالإسلام في افريقيا.ولكن لا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لبداية الاتصالات العمانية الإفريقية. فمنذ أقدم العصور جاء العمانيون إلى الساحل الشرقي لإفريقيا المواجه لشبه الجزيرة العربية وكان لهم تبادل تجاري مع السكان الأفارقة[1]. ولكن الذي لا شك فيه هو أن هذه العلاقات بدأت قبل ظهور الإسلام. فقد اشتهر العمانيون بركوب البحر. وعرفوا الانتقال من البحر الأحمر الشرقي إلى الساحل الغربي منه. وتسجل كل المصادر التاريخية نبوغهم في هذا المجال.وارتباط حضارتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية به.

وقد كان الوجود العماني في شرق أفريقيا بكل المقاييس. أكبر كثافة. وأكثر عمقاً منها في آسيا. أو بالتحديد جنوب شرقي آسيا. ولذلك كان تأثيرهم في هذه المنطقة أشد وأقوى[2] فقد اعتمد – بجانب الروابط الملاحية والتجارية – على الهجرة العمانية الدائمة فردية وجماعية. حيث تعوّد الشعب العماني على رحلات منظّمة إلى شرق إفريقيا.

1- "يراجع حصاد ندوة العلاقات العمانية المصرية، وزارة التراث القومي والثقافة، ع"2" يناير1994م"

2- "د/ نايف السهيل، المرجع السابق ص185".

ولا شكّ أن احتكاك الأفارقة بالعرب المسلمين أدى إلى نتائج عميقة لم تقتصر على التجارية أو المعاملات المادية. بل لقد كان لأسلوب التعامل. وما حمله العرب المسلمون معهم من مبادئ يدعو إليها الإسلام. أعمق الأثر في الأفارقة.

والحق إن المصادر كلها تشير إلى دور التجار في هذا الصدد. لأن العلاقات الإقتصادية كانت من الدوافع التي ساعدت على أن يتجه العمانيون إلى هذه المناطق النائية. ويستقروا فيها. ويكوّنوا بها إمارات عربية نمت وازدهرت بالتدريج. وشهد بعظمتها وازدهارها وتحضرها كل من زار المنطقة من العرب والأجانب على السواء. وكانت هذه المهاجر العمانية على الساحل الإفريقي الشرقي مصدر إشعاع حضاري أثر في المناطق الإفريقية المجاورة[1].

ونستطيع القول بوضوح إن كافة المصادر التاريخية تؤكد على الصلة بين عمان في كل العصور وبين الشرق والجنوب الإفريقي. حتى أنهم وصلوا إلى تنزانيا. ومدغشقر. وجنوب الصومال. وجزر القمر. ومنطقة نورديفان. وكلوة. ومِمبا. وزنجبار كما توضح ذلك مصادر كثيرة.

أما في شرق إفريقيا نفسها فقد توغلوا في الأحراش والغابات غير هيابين ولا وجلين. وكأن ركوب المخاطر في البحر ساعدهم على ركوبها في البر أيضاً. وهكذا وصل الإباضية العمانيون إلى جنوب وحول البحيرات الاستوائية. وإلى بحيرة نيانسا. ومنابع نهر الزمبيزي. وموزمبيق. وبحيرة تنجنيقا. وفيكتوريا. والبرت. وكيوجا المعروفة الآن باسم بورندي. ورواندا. وغربي كينيا. وغربي وجنوب أوغندا. ومملكة كارنجا "زيمبابوي". وقد استطاعوا بمهارتهم وقوة عزيمتهم أن يصلوا عن طريق ممتد بين الساحل والداخل. وتدفقوا عبر هذا الطريق مستخدمين الإبل في رحلات تستغرق شهوراً.

وكانت هذه الطرق بالتحديد هي السبيل الوحيد لوصول الإسلام إلى هذه المناطق الداخلية النائية في إفريقيا[2].

ومع مرور الأيام تحولت هذه العلاقات التي بدأت بالتجارة إلى علاقات حضارية عميقة في كل مجالات الحياة. فتزاوج رجال عمان بنساء من إفريقيا. فجاء الجيل الجديد تعبيراً عن هذا المزج الحضاري الذي ترجم نفسه سريعاً في تزاوج أخر بين اللغة العربية التي حملها الإباضية إلى إفريقيا وأخلصوا في نشر تعاليم الإسلام بها. وبين لغة الأفارقة أنفسهم.

1- "حصاد ندوة العلاقات، يناير 1994م".

2- "د/ السهيل، مرجع سابق ص 19."

فنشأت في زنجبار وما حولها اللغة السواحيلية التي جاءت وليدة تزاوج العربي الافريقي. والتي يتكلم بها أهل المشرق والجنوب الإفريقي حتى اليوم[1].

وقد برزت بعض المدن الساحلية زاهية بحضارتها العربية الإسلامية الجديدة. مثل لامو الواقعة شمال ممباسا. ويرجع تأسيسها إلى مستهل القرن الثامن الهجري. وقامت بها حكومة ديموقراطية معتنقة المذهب الإباضي. كما برزت في هذا المجال شخصيات عمانية اشتهرت بالجرأة في اقتحام المخاطر. ولا يكاد يصل القرن العاشر الهجري حتى استطاع الأئمة الإباضية العمانيون أن يمدوا سلطانهم على الشمال الشرقي من أرض الصومال حتى نهر رفوما. وأن يقيموا فيها إمارات تابعة لهم. وضعوا على رأسها رؤساء من العائلات العربية في ممباسا وزنجبار. وغيرهما من المناطق الهامة[2].

اما في جنوب شرق آسيا فإن قصة انتشار الإسلام به تُعَدُّ من أعظم قصص انتشار الإسلام في العالم؛ فالمسلمون لم يذهبوا إلى هذه المناطق الشاسعة المساحة العظيمة السكان بجيوش فاتحة، ولم يخوضوا مع أهلها حروبًا تُذكر، وإنما ذهبوا إليها كتُّجار يحملون أخلاقَ الإسلام، وهَمَّ الدعوة إلى الله، وذلك بالحسنى والمعاملة الحسنة، فحقَّقوا القاعدة الأصيلة التي تؤكد أن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضي أو البُلدان.

فقد حمل التجار المسلمون بضائعهم، ورحلوا من المشرق الإسلامي إلى تلك البلاد النائية عن طريق البحر، وكان لعرب جنوب الجزيرة العربية اليمنيِّين والعُمَانيِّين النصيب الأوفى في ذلك، فأخذوا يبيعون ويبتاعون، ووجد أهل تلك البلاد النائية فيهم الصدق، وعرَفوا فيهم العفَّة والأمانة، ثم علموا أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها؛ فحُبِّب الإسلام إلى نفوسهم؛ الأمر الذي لم يظلوا عليه طويلاً حتى باتوا يَدِينُون بالإسلام، وأصبحوا من أبنائه المخلصين.

ولكن الهجمة الإستعمارية الشرسة ضد هذه المنطقة مابين البرتغال والأسبان والإنجليز والهولنديين. بتعصبهم للنصرانية. مكن الحملات التبشيرية من التحرك بحرية ودعم كامل.ضد الإسلام فتقلص الوجود الإسلامي في هذه المناطق ولكنه مازال يقاوم حتى الآن.

وحتى امريكا الجنوبية لم يهملها المسلمون. فالمصادر التاريخية تشير إلى أن المسلمين

1- "المصدر السابق".

2- "د/ حسنى أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي القاهرة 1987م ص 14. و141 و439".

كانوا الأسبق في التعرف على فنزويلا قبل أن يكتشفها الرحالة الإيطالي كريستوفر كولومبوس حيث تؤكد الدلائل المادية أن المكتشفين الأوائل للقارة اللاتينية هم المسلمون وذلك عندما أبحر ثمانية من المسلمين من لشبونة – التي كانت خاضعة وقتها للخلافة الإسلامية بالأندلس في القرن العاشرالميلادي محاولين اكتشاف ما وراء المحيط الأطلنطي الذي كان يلقبه المسلمون وقتها بـ"بحر الظلمات"واستمروا في إبحارهم حتى وصلوا إلى أمريكا الجنوبية ولتكون هذه هي رحلة المسلمين الأولى إلى فنزويلا.

ثم تأتي الرحلة الثانية للمسلمين عبر بعض الرحالة المسلمين الذين شاركوا كولومبوس في رحلاته الاستكشافية لأمريكا الجنوبية ومن بينها فنزويلا التي ما أن دخلهاكولومبوس ورأى بيوتاً مبنية على قنوات المياه حتى تذكر قريته"فالينسيا"بإسبانيا فسماها "فنزويلا".

وتشير كثير من الدراسات إلى أن المسلمين سبقوا كولومبوس في الوصول إلى أمريكا اللاتينية. فبعد عدة سنوات من البحث والدراسة في تاريخ أمريكا اللاتينية كشف الباحثان عبد الهادي بازورتو ودانيال دنتن في محاضرة ألقياها في جامعة كاليفورنيا عن جوانب تشابه في طرق المعيشة التي كان يمارسها السكان الأصليون من الهنود الحمر "المعروفون تاريخيًا بقبائل الآزتك" مع المسلمين. كما عرض المحاضران عددًا من الوثائق وسردا مجموعة من القصص التي تناقلتها أجيال متعاقبة من الآزتك ظهر فيها إشارات واضحة إلى آثار إسلامية كانت موجودة في أمريكا قبل وصول كريستوفر كولومبوس والمستكشفين الأوروبيين إليها. مما يعد دليلاً على أن الإسلام وصل إلى أفراد تلك القبائل الهندية في الأمريكتين قبل وصول النصرانية التي جاء بها الأوروبيون إلى تلك الأرض بعد ذلك بعدة قرون. وتشير دراسات أخرى أن عددًا من البحارة المسلمين من بقايا الممالك الأندلسية كانوا من أفراد البعثة الاستكشافية التي قادها كولومبوس نحو الأمريكتين في عام 1492م. نظرًا لتفوقهم في علوم الفلك والملاحة وصناعة السفن. إضافة إلى ذلك. فقد كانت نسبة كبيرة من العبيد الأفارقة الذين جُلِبوا إلى أمريكا اللاتينية من شمال إفريقيا وشرقها كانوا من المسلمين. وانتهى بهم المطاف في البرازيل وفنزويلا وكولومبيا. ويقدر عدد المسلمين في أمريكا اللاتينية اليوم بأربعة ملايين مسلم.

هذا وتكشف الدلائل الأثرية الموجودة الآن في كثير من متاحف دول أمريكا اللاتينية ومنها شيلي أن المسلمين هم الذين اكتشفوا قارة أمريكا قبل أن يكتشفها "كولومبس". وذلك عندما أبحر 8 من المسلمين من لشبونة في القرن العاشر الميلادي. محاولين اكتشاف ما وراء "بحر الظلمات". وهو الاسم الذي كان يطلقه المسلمون على المحيط الأطلسي إلى أن نزلوا في أمريكا الجنوبية.

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم.

2- جامع التفاسير – القرطبي.

3- تفسير الطبري.

4- في ظلال القرآن – سيد قطب.

5- صحيح البخاري.

6-صحيح مسلم.

7- كتب الصحاح في الحديث.

8- العهد القديم.

9- البداية والنهاية – ابن كثير

10- تاريخ الأمم والملوك – الطبري.

11- المغازي - الواقدي.

12- الطبقات الكبرى – ابن سعد.

13- سيرة النبي – ابن هشام.

14- السيرة الحلبية – نور الدين الحلبي.

15- الرحيق المختوم – المباركفوري.

16- زوجات النبي – د. بنت الشاطئ.

17- اسد الغابة في معرفة الصحابة – ابن الأثير.

18- الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني.

19- الإستيعاب – ابن عبد البر.

20- الكامل في التاريخ – ابن المبرد.

21- وفيات المشاهير– شمس الدين الذهبي.

22- تاريخ الإسلام – شمس الدين الذهبي.

23- زاد المعاد في هدى خير العباد – ابن القيم الجوزية.

24- المواقع العلمية على الإنترنت.

25- موقع الدرر السنية – باب البحث في الأحاديث.

محتويات الكتاب

المحتويات	الصفحات
الباب الأول: الحياة الآمنة قبل الإسلام	11
الفصل الأول: بداية الخلق	13
لماذا خلق الـلـه العالم؟	15
خلق الملائكة	18
خلق الجن	21
خلق الانسان	24
فماذا فعل الجن ... أزعج الملائكة؟	24
من هو إبليس؟	27
الخروج من الجنة	30
الأفعى	35
الحياة على الأرض	40
الإنتشار فى المعمورة	44
المواجهة الأولى والأخيرة	44
الفصل الثانى: مملكة إبليس	47
مثلث برمودا	51
الجريمة الأولى	65
الإيمان هو سبيل الأمان	66
آدم يتدخل	67
إدريس أول الأنبياء	73
الأبناء الخمس	75
البداية قوم عاد	80
الفصل الثالث: بنو إسرائيل	89
قوم ثمود	91
المرحلة الأولى: من آدم الى ماقبل نوح	101
المرحلة الثانية: من نوح الى ماقبل ابراهيم عليهما السلام	101
المرحلة الثالثة: من ابراهيم وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين عليهما السلام	102
فمن هم بنو اسرائيل؟	115
تاريخ بني اسرائيل	117

الباب الثانى: الأمن فى الأسلام	127
الفصل الأول: البداية	131
سرية عُمَير بن عدي: رمضان من العام الثاني للهجرة	146
غزوة بني قينقاع: شوال العام الثاني للهجرة	148
غزوة السويق: ذي الحجة العام الثاني للهجرة	149
غزوة قرقرة الكدر: محرم من العام الثاني للهجرة	150
سرية قتل كعب بن الأشرف: ربيع الأول من العام الثالث للهجرة	150
غزوة غطفان "ذو أمر": ربيع الاول من العام الثالث للهجرة	151
سرية زيد بن حارثة للقردة: جمادى الآخر من العام الثالث للهجرة	153
غزوة أُحُد: شوال من العام الثالث للهجرة	154
غزوة حمراء الأسد: في اليوم التالي مباشرة لغزوة أحد	156
سرية عبد الـلـه بن انيس: محرم من العام الثالث للهجرة	159
الفصل الثاني: الإنطلاق	161
غزوة بئر معونة: صفر من العام الثالث للهجرة	163
غزوة بني النضير: ربيع الأول من العام الرابع للهجرة.	163
سرية عمرو بن أمية الضمري: ربيع الأول من العام الرابع للهجرة.	166
غزوة بدر الآخرة: شوال من العام الرابع للهجرة	167
غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ: المحرم من العام الرابع للهجرة.	171
غزوة دومة الجندل: ربيع الأول من العام الخامس للهجرة	172
غزوة بني المُصطلق: شعبان من العام الخامس للهجرة	173
غزوة الخندق: شوال من العام الخامس من الهجرة	176
الفصل الثالث: الذروة	187
غزوة بني قريظة: شوال من العام الخامس للهجرة	189
سرية عبد الـلـه بن عتيك: ذو القعدة من العام الخامس للهجرة	190
سرية عبد الـلـه بن رواحة: شوال من العام السادس للهجرة	192
صلح الحُديبية: ذو القعدة من العام السادس للهجرة	193
غزوة خيبر: محرم من العام السابع من الهجرة	199
فتح مكة: رمضان العام الثامن الهجرى	201
الباب الثالث: الدرس الألهى والدرس النبوى	207
الفصل الأول: الدرس الألهى	211
ماذا فعل الـلـه كأول خطوة للتمهيد لنشر الدعوة الإسلامية؟	214
الفصل الثانى: الدرس النبوى	239
قائمة المراجع	253



يدَّعي الغرب أن علم المخابرات هو اختراع القرن العشرين، ولكن هذا الكتاب يؤكد بالأدلة التاريخية والعلمية الدامغة أن دولة الإسلام في المدينة المنورة هي أول دولة ابتكرت نظاماً لتأمين دولتها داخليًّا وخارجيًّا، وجمع معلومات دقيقة عن العدو، يُضاهي أحدث نُظم المخابرات العصرية.

كانت المعلومة المؤكدة في كل المراجع أن "علم المخابرات" هو وليد القرن العشرين ، وقد استوعبتُ بدرجة كبيرة هذا العلم بشقيه الداخلي والخارجي مقتنعاً تماماً أنه نشاط مهم جداً وضروري لأمن أي دولة.

تصميم الغلاف: محمد سيد

ISBN 978-977-319-238-9

9 789773 192389 >

العربي للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة

ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566

www.alarabipublishing.com.eg